

أَهْلُكَ بِكَيْنِ

علي مولا

تأليف: تساو يو
ترجمة: فؤاد حسن

من المسرحة ١١

فؤاد حسن

- ممثل ومخرج مسرحي
- من مواليد منبج ١٩٦٣م.
- خريج المعهد العالي للفنون المسرحية - قسم التمثيل ١٩٨٦م.
- عمل معيداً في المعهد المذكور لمدة أربع سنوات، أوفد بعدها إلى جمهورية الصين الشعبية لمتابعة تحصيله العلمي في مسرح الشرق الأقصى ١٩٩٠-١٩٩٥م.
- عمل وما زال أستاذاً محاضراً في المعهد العالي للفنون المسرحية بدمشق لعدد من المواد أهمها (فن التمثيل - المسرح الشرقي - مبادئ فن الإخراج - مختبر مسرحي).
- ❖ من ترجماته المنشورة حتى الآن:
 - مسرحية «المقهى» للكاتب الصيني لاو شه.
 - دراسة «الثقافة الجنسية الصينية عبر التاريخ» ج ١.
 - عدد من الأبحاث والدراسات والمسرحيات القصيرة.

۱۹۱۴۵۰

اَهْلُ بَكِيْن

أَهْلُكُمْ بِكِينُكُمْ

تأليف: تساو يو
ترجمة: فؤاد حسن

منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب

وزارة الثقافة - دمشق ٢٠٠٨

العنوان الأصلي للكتاب :

曹禺文集

مجموعة أعمال تساويو
المجلد الثاني

-
- أهل بكين / تأليف تساويو؛ ترجمة فؤاد حسن . -
دمشق : الهيئة العامة السورية للكتاب، ٢٠٠٨ .
٣٣٦ ص؛ ٢٠ سم.
(من المسرح ؛ ١١)

١- ٨٩٥، ١ ت س ١ أ ٢- العنوان ٣- تساويو
٤- حسن ٥- السلسلة

مكتبة الأسد

من المسرح

«١١»



作者像

(一九三八年)

صورة للمؤلف

١٩٣٨

تساو يو حياته وأعماله

تساو يو Cao Yu (١٩١٠-١٩٩٦) اسمه الأصلي وان جيا باو، ولقبه شي الصغير. ولد في مدينة تيان جينغ في ١٩١٠/٩/٢٤ م. ولد في أسرة أرستقراطية لأب يكتب الشعر والرواية والمقال. يرجع الفضل الأول في اهتمام تساو يو بالأدب إلى والده. وكان جده لأبيه معلماً فقيراً في أحد الأرياف. درس والده العلوم العسكرية في اليابان، وعند عودته إلى الصين عمل ضابطاً. كان أشبه بأمر حرب، أو قائد فرقة إلا أنه لم يخض معركة على حد تعبير تساو يو نفسه. كان يسعى وراء تحقيق ملذاته؛ وقد أعجب بلينين لأنه جعل من بلده بلداً قوياً. تزوج من فتاة ريفية أنجبت له ولداً وبتاً. كان تساو يو الابن الوحيد لزوجته الثانية، والتي ماتت بعد ولادته بثلاثة أيام، ثم تزوج للمرة الثالثة من شقيقة زوجته التوأم. وقد أحب تساو يو خالته

زوجة أيه حباً جماً. كان يطمح في سنوات شبابه الأولى أن يكون مخترعاً، وقد قام بتصميم عربة بخارية. علّمه أبوه كتابة الشعر، فكتب وهو في العاشرة من عمره البيت التالي:

ينهمر الثلج بغزارة، وليس للفقير بيت يعود إليه.

تلقى تعليمه الابتدائي في البيت على أيدي مدرسين خاصين ولم يلتحق بالمدرسة الابتدائية.

عاش سنوات طفولته الأولى في مدينة تيان جينغ، وهي مدينة تجارية وملتقى المواصلات البرية والبحرية. وقد شاهد بأم عينه ما كانت تقوم به العناصر الإمبريالية وطبقات المجتمع العليا من فساد وبلطجة، ورأى بؤس حياة العمال والطبقات الدنيا من المجتمع ممن كانوا يعملون ليلاً ونهاراً وفي أسوأ الظروف في سبيل لقمة العيش، وسمع صياح عامة الناس وهم ينادون لبيع أولادهم في أزقة المدينة، الأمر الذي دفعه في سن مبكرة للوقوف مع الفقراء ضد الإمبريالية وأعوانها. بدا ذلك واضحاً في أعماله المسرحية التالية.

قرأ تساو يو قبل التحاقه بالمدرسة المتوسطة روائع الأدب الكلاسيكي الصيني مثل «حلم القصور الحمراء»، «الضفة»، «قصة المقصورة الغريبة»^(١)، كما تمكن بمساعدة خالته من

(١) روايات من الأدب الكلاسيكي الصيني.

الاطلاع على بعض الأدب الغربي مثل روايات موبوسان،
ومسرحيات شكسبير.

التحق بمدرسة نان كاي الثانوية عام (١٩٢٢). حيث درس
أهم الشخصيات السياسية والأدبية والفنية، ولعل من أهمهم رئيس
وزراء الصين السابق تشوان لاي. في تلك المدرسة أسس تساو يو
مع مجموعة من الطلبة فرقة مسرحية وبدأ نشاطه المسرحي فاشترك
في تمثيل «الكفاح» للكاتب الإنكليزي (John-Galsworthy)
و«البخيل» لمولير، و«النساجون» «لهاوبتمان»، و«عدو الشعب»
لإبسن، وقد ساهمت تلك الأعمال في لفت نظره وتعميق معرفته
في مشاكل المجتمع الصيني.

كانت رغبة والده أن يدرس الطب، فتقدم تساو يو بطلب
الانتساب إلى جامعة الطب في بكين مرتين، إلا أنه تخلف
عن امتحانات القبول. بعد حصوله على الثانوية العامة التحق
بقسم العلوم السياسية في جامعة نان كاي، وفي العام التالي
انتقل إلى قسم الآداب الأجنبية في جامعة تشينغ هوا في بكين.
وكان يقضي معظم وقته في قراءة الأدب العالمي، فقرأ التراجم لـ
اليونانية وأعجب بيوريبيدس وسوفوكليس؛ وقرأ شكسبير،
يوجين أونيل وتشيفخوف؛ كما قرأ الفكر الديني والفكر المادي؛

أعجب بأعمال برناردشو ، وفكرة المدينة الفاضلة عند أفلاطون ،
وفكرة الإنسان الحارق عند نيتشه؛ لقد تأثر بلوشن ، غومورو^(١) ،
وابسن؛ لقد تأثر بكل هؤلاء إلا أنه لم يقع أسيراً لأي منهم .

كان كثيراً ما يذهب مع نفر من أصدقائه إلى قوانغ خه
لحضور عروض أوبرا بكين ، وإلى جسر السماء للاستماع إلى
فن الغناء والقص الشعبيين . لقد شكل الفكر والأدب الشرقي
والغربي ، قديمه وحديثه زاد تساوي الفكري والفني والذي
تبلور وظهر جلياً في أعماله المسرحية اللاحقة .

في عام (١٩٣٣) كتب مسرحيته الأولى «العاصفة
الرعدية» وهو لم يزل في سنته الجامعية الأخيرة . ولم تُنشر
المسرحية إلا بعد سنة ، بعد أن قرأها الكاتب الصيني الكبير
باجين^(٢) وأثنى عليها .

تصور المسرحية التناقض الفكري الحاد ، والاضطهاد والصراع
الطبقيين من خلال أسرة تشو بو يوان الرأسمالي وأسرة لو التي
يعمل ابنها في منجم فحم تابع للأسرة الأولى ويقود إضراب العمال

(١) لوشن : (١٨٨١-١٩٣٦) أديب صيني معاصر .

- غومورو : (١٨٩٢-١٩٧٨) كاتب ، شاعر ومسرحي صيني معاصر .

(٢) - باجين : (١٩٠٤ -) روائي صيني معاصر .

ضد رب العمل ، بالإضافة إلى بعض العلاقات المحرمة والشاذة بين شخصيات المسرحية والتي تفضح وتعري تاريخ الأسرتين على حد سواء . امتازت المسرحية بحبكة غنية وقوية ، قصة مؤثرة ، صراع حاد وعنيف ، أسلوب بسيط ومهيب ، وجو مأساوي عميق ، بمضمون قومي وشكل فني غربي .

عمل تساو يو بعد تخرجه من الجامعة مدرساً للغة الإنكليزية في إحدى المدارس الثانوية في خه بي لفترة قصيرة ، عاد بعدها إلى جامعة تشينغ هوا لمتابعة تعليمه العالي ، ثم اضطر بسبب الضائقة المادية إلى العودة إلى تيان جينغ حيث عُين معلماً في معهد إعداد المعلمات هناك .

زار تساو يو مدينة شنغهاي لأول مرة عام (١٩٣٤) . وقد رأى ما يتعرض له الشعب الصيني هناك تحت وطأة وتسלט الكومينتانغ وعملاء المستعمر وأعوانه من استغلال واضطهاد؛ فقر وبطالة في المدن ، ومرض ومعاناة في الريف ، كثرة الهجرة من الريف إلى المدن مما زاد الطين بلة ، والنساء اللواتي اضطررن لبيع أجسادهن في سبيل لقمة العيش . و من معاناة الشعب الصيني هناك استمد موضوع مسرحيته الثانية «شروق الشمس» .

في الفترة التي عمل فيها تساو يو معلماً في نان جينغ ،

سكن قرياً من السجن النموذجي الأول . وقد ذكره منظر السجناء ، وما يقومون به من أعمال سخرة ، بقصص جدته عن حياة الفلاحين في الريف الصيني المغموسة بالدم والدموع فكتب مسرحيته الثالثة «البرية» التي طرح فيها موضوع الثأر في الريف الصيني ، بأسلوب رومانسي رمزي ، مزج فيه بين التاريخ والواقع ، والحقيقة والوهم ، متأثراً بأسلوب الأوبرات المحلية التي تعتمد على المبالغة في التصوير .

انتقل تساو يو إلى نان جينغ عام (١٩٣٦) وعمل هناك مدرساً للمسرح في مدرسة أنشأها الكوميتانغ ، ثم أستاذاً في جامعة فودان . وعندما اندلعت حرب المقاومة ضد اليابان (١٩٣٧-١٩٤٥) وبدأت المدن الصينية تتساقط تباعاً بيد المستعمر الياباني ، كان تساو يو ينتقل من مدينة إلى أخرى ، وفي كل مدينة يصل إليها يؤسس فرقة للمسرح ويقوم بإخراج مسرحية ، من بين تلك المسرحيات الميدانية «الأم المجنونة» ، «اليقظة» ، كما قام بإعداد مسرحية «ثمان وعشرون كلمة سوداء» عن مسرحية «تعبئة عامة» للكاتب سونغ تشي ده وبالتعاون معه؛ وقام بتمثيل أحد أدوارها ، وهو يحض فيها على مقاومة المستعمر الياباني وعملائه وأعوانه من الكوميتانغ المتآمرين معه .

في ربيع (١٩٣٩) وصل وفرقة إلى مقاطعة سيتشوان ، وهناك كتب مسرحية «التحول» خلال شهر واحد ، بعد أن جمع مادتها على مدار سنتين ، وفيها يمجّد حب الوطن والتضحية في سبيله . استطاع تساو يو بمهارته وفطنته أن يمجّد الحزب الشيوعي ، ويذم الكومينتانغ ، بأسلوب التلميح لا التصريح بحيث كان واضحاً للعامة ، وخفياً على الكومينتانغ ، لدرجة ظن معها الكومينتانغ أن المسرحية تمجيد لهم . تدور أحداث المسرحية داخل مشفى ، حيث تقوم الطبيبة دينغ بإنقاذ جندي جريح ، فتقدم جدة الجريح لأمه وشاح حفيدها إلى الطبيبة تعبيراً عن امتنانها ، وفي نهاية المسرحية تهدي الطبيبة الشاح إلى جندي شفي من إصابته وهو في طريق عودته إلى الخطوط الأمامية مرة ثانية .

في عام (١٩٤٠) نشر تساو يو مسرحيته ذات الفصل الواحد «أنا أفكر الآن» ، قام باقتباسها عن مسرحية «سترة المخمل الحمراء» للكاتبة المكسيكية (Josephina-Niggli) .

نقل تساو يو المسرحية من بيئتها المكسيكية ، إلى حي جسر السماء في بكين ، حيث يعتبر هذا الحي مركزاً لكل أنواع الفنون الشعبية . هجا فيها الزنى ، ودعا إلى الوقاية من التفریط في العلاقات غير الشرعية .

وفي العام نفسه كتب تساو يو رائعته «أهل بكين» التي تدور حول أسرة إقطاعية ذات حسب ونسب منهاره. ومع أن رب الأسرة مازال يحلم بأن تستعيد الأسرة أمجادها، يُلزم ابنه بالبحث عن عمل، ويُلزم حفيده بقراءة الكتب حتى منتصف الليل، إلا أن ذلك لم يحل دون انهيار الأسرة في نهاية المطاف، فالذي مات مات، والذي رحل رحل، حتى التابوت الذي أعده رب الأسرة لنفسه وأنفق عليه أموالاً طائلة لم يستطع المحافظة عليه، وراح للأسرة المجاورة لقاء دين لها. إنها دراما ترصد التفاصيل اليومية في حياة أسرة، أسرة فئران، في مجتمع فئران، يقتاتون على كل شيء ويتلفون كل شيء، ولا يعملون أي شيء. شخصياتها من لحم ودم، ذلك أن تساو يو لا يكتب إلا عن شخصيات يعرفها، ولهذا جاءت شخصياته واضحة، نابضة بالحياة، متبينة في سلوكها، وشعورها وطريقة تفكيرها.

تكاد تخلو المسرحية من أي إيديولوجيا، بعد أن خبا وهج الثورة عما كان عليه في النصوص السابقة، وازداد الكاتب حكمة ونضجاً، وازداد وعيه عمقاً، وفكره غنى. فالشمس التي بشر بها لم تشرق كما كان يحلم.

عندما كتب تساو يو مسرحيته هذه، كانت البلاد تمر بحرب

ضروس مع المستعمر الياباني وزبانيته؛ وقد عاب البعض عليه أن يكتب أثناء الحرب مسرحية، ولا علاقة بالحرب. لكن تساوي أدرك بحسه الفني وفكره الثاقب وبعد نظره أن الانتصار على الجبهة الخارجية مرهون بالانتصار على الجبهة الداخلية، ورأى أن المجتمع القديم، بعاداته المتخلفة وفكره الرجعي، يشكل حجر عثرة يعوق التقدم نحو مجتمع مستقل، حر، جديد، ويحول دون تحقيق النصر المطلوب. إن معرفة المجتمع معرفة عميقة وواعية، وفضح مظاهر التخلف والفساد فيه التي تستتر وراء «الحسب والنسب» و: «الادعاء الثقافي» تجعل الانتصار في المعركة الخارجية ممكناً وحتمياً. لذا أراد تساوي للمجتمع القديم بكل مساوئه أن يُدفن في تابوت زنغ هاو.

في العام (١٩٤٢) نشر تساوي مسرحية «الأسرة» التي أعدها عن رواية بنفس الاسم للكاتب الصيني باجين. لم يتقيد تساوي بالرواية تماماً، بل استخدم تقنية المونولوج الداخلي للتعبير عن فكر وشعور شخصياته، وهي تقنية لم تكن مستخدمة في المسرح الصيني الحديث.

كتب تساوي في هذه المرحلة أيضاً مسرحية «الجرس»، وترجم «روميو وجوليت»، واقتبس «الطلاء» عن مسرحية يوجين لايبش «الرماد في العيون».

سافر تساو يو مع الكاتب الصيني لاو شه عام (١٩٤٦) إلى الولايات المتحدة الأمريكية للتدريس ، حيث تعرف هناك على الروائيين الأمريكيين إرنست همنغواي وجون شتاينبك ، كما التقى المسرحي الألماني بريشت مرتين . وقد سأله بريشت بينما كان في زيارته : ” لمَ لم تذهب إلى الصين . فأجاب بريشت : «إنني أجبذ ذلك ، إلا أن الوقت غير مناسب» . بعد أحد عشر شهراً عاد تساو يو إلى الصين بينما بقي لاو شه . وعمل بعد عودته عام (١٩٤٧) كاتب سيناريو ومخرجاً سينمائياً في مدينة شنغهاي .

في الفترة الممتدة ما بين عودته وقيام الثورة الثقافية (١٩٦٦) كتب تساو يو مسرحية «السماء الصافية» (١٩٥٤) ، وهي أول نص يكتبه بعد استقلال الصين؛ ثم المسرحية التاريخية «أمير الانتقام» (١٩٦١) ، وكانت قد ساءت العلاقات بين الصين والاتحاد السوفياتي آنذاك ، وقد جاء فيها أن الصين بلد قوي وينبغي أن يعتمد على نفسه دون الحاجة إلى الآخر ، والآخر هنا طبعاً الاتحاد السوفياتي؛ ثم سيناريو فيلم «يوم مشرق» الذي قام بإخراجه أيضاً (١٩٤٨/١٩٤٩) .

تعرض تساو يو أثناء الثورة الثقافية (١٩٦٦-١٩٧٦) ،

شأن جميع المثقفين الشرفاء في الصين ، إلى الاضطهاد والعزل والإبعاد ، كما تعرض البعض منهم إلى السجن . طال الشلل في هذه المرحلة جميع نواحي الحياة الفكرية والفنية والأدبية ، توقف خلالها الكثير من الكتاب عن الكتابة ومنهم تساو يو . وبعد انقضاء الثورة الثقافية وعودة النشاط إلى الأوساط الفنية والأدبية ، كتب تساو يو مسرحيته التاريخية الثانية «وانغ تشاو جون» (١٩٧٨) ، وكما فعل في مسرحيته التاريخية السابقة ، لجأ أيضاً إلى تبسيط وعصرنة اللغة الصينية القديمة بحيث يمكن للجيل الجديد فهمها واستيعابها ، مع تفسير بعض المفردات القديمة دون الإساءة إلى الجانب التاريخي ، كما استخدم بعض الأغاني القومية المعروفة في سياق الحكمة للتعبير عن مشاعر الحب بين العاشق والمعشوق من ناحية ، وللتأكيد على الصداقة وروابط الدم بين القوميات المختلفة . وقد أعدها تساو يو للسينما عام (١٩٨١) .

شغل تساو يو ، بعد تحرير الصين عام (١٩٤٩) ، الكثير من المناصب إذ عمل نائباً لمدير معهد الفنون المسرحية المركزي ، ومديراً لمسرح الفنون الشعبية في بكين ، وعضو سكرتارية اتحاد الكتاب الصينيين ، ونائب رئيس جمعية الكتاب المسرحيين

الصينيين . وقد انتُخب لعدة دورات مندوباً في مجلس النواب الصيني . كما انتُخب في عام (١٩٧٨) عضواً في اللجنة الدائمة للمجلس الوطني الخامس لنواب الشعب . اقتصر عمله في السنوات الأخيرة من حياته على المساهمة في سياسة البلاد العامة وبعض الأنشطة الاجتماعية .

تساو يو فنان شامل وكاتب واسع المعرفة ، غني الثقافة ، متعدد الاهتمامات . زار أمريكا وأوروبا ، وتعرف على أدبهما وفنونهما . تُرجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم ؛ وعُرضت مسرحياته على الكثير من مسارح العالم من أمريكا إلى اليابان . لغته غنية وموحية ، أسلوبه سهل ممتع ، الصراع في مسرحياته معقد ومتشابك ، شخصياته نابضة بالحياة ، عوالمها غنية ، مرسومة بدقة وإتقان .

ولكن لماذا «أهل بكين؟» يحمل عنوان المسرحية أكثر من معنى؛ المعنى الأول هو «أهل بكين» تحديداً لأن أحداث المسرحية تدور في مدينة بكين؛ والمعنى الثاني هو «رجل بكين» لأن إحدى شخصيات المسرحية تحمل هذا الاسم؛ أما المعنى الآخر فهو «إنسان بكين» في إشارة واضحة إلى «إنسان بكين» الذي اكتُشفت آثاره في «تل عظم التين» قرب بلدة تشو كو ديان في ضواحي مدينة بكين وذلك في ١٩٢٩/١/٢ .

ومن ناحية أخرى فإن الترجمة الحرفية لعنوان المسرحية هي
«البكيني» ؛ أي الذي يقطن بكين وينتسب إليها ، كأن نقول
الدمشقي ، أو الحلبي ، أو التونسي ... وهكذا . وقد اعتمدت
«أهل بكين» لشموليته ولاعتماده في معظم الترجمات .

فؤاد حسن الحسن

دمشق ٢٠٠٣/١٠/٢٠

أهل بكين*

مسرحية في ثلاثة فصول

* مجموعة أعمال تشاو يو - الجزء الثاني - منشورات دار المسرحية الصينية - الطبعة الأولى ١٩٨٩.

«الصديقُ الحميمُ قريبٌ وإن نأت به الديارُ»

وانغ بو^(١)

(١) وانغ بو: WANG BO (٦٥٠ - ٦٧٦) شاعر من أسرة تانغ

الشخصيات

- زنج هاو: عجوز من أسرة أرستقراطية استوطنت في بكين ، ٦٣ سنة
- زنج ون تشينغ: ابنه الكبير ، ٣٦ سنة
- زنج صه يي: زوجة ابنه الكبير ، ٣٩/٣٨ سنة.
- زنج ون تساي: ابنته ، ٣٣ سنة.
- جيانغ تاي: صهره ، زوج ون تساي ، تلقى تعليمه خارج البلاد ، ٣٨/٣٧ سنة
- زنج تينغ: حفيده ، ابن ون تشينغ وصه يي ، ١٧ سنة.
- زنج روي تشن: زوجة حفيده تينغ ، ١٨ سنة.
- صوفانغ: ابنة أخت زوجته ، ٣٠ سنة تقريباً.
- المريية تشن: مربية زنج ون تشينغ ، ٦٠ سنة تقريباً.

- تشو الصغير: حفيد المريية تشن ، ١٥ سنة .
- تشانغ شون: خادم أسرة زنج .
- يوان رن قان: باحث في علم الأجناس ، ٣٨ سنة .
- يوان يوا: ابنة يوان الوحيدة ، ١٦ سنة .
- رجل بكين: سائق فريق يوان رن قان للبحث العلمي .
- شرطي:
- تاجر تواييت: أول ، ثان ، ثالث ، رابع .

المكان

الفصل الأول: عيد منتصف الحريف . قاعة صغيرة في منزل زنع .

الفصل الثاني: الساعة الحادية عشرة من الليلة نفسها . المكان نفسه .

الفصل الثالث: بعد مرور شهر ، الساعة الثالثة بعد منتصف الليل . المكان نفسه .

الفصل الأول

عيد منتصف الخريف ، وقت الظهيرة ، قاعة صغيرة ملونة في منزل زنف القديم ، كل شيء هادئ ، لا أحد في القاعة ، دقات ضعيفة بطيئة وكبيرة لساعة قديمة فوق طاولة تتكئ إلى الجدار الذي على اليمين . تخلق أسراب الحمام في الخارج ، وتحمل نسمات الخريف أصوات الحمام إلينا بين الحين والآخر ، فتطرب الآذان . تحمل موسيقى السماء هذه حتى المرضى داخل المنزل لأن يرفعوا رؤوسهم من خلال نوافذ القاعة الخلفية ناظرين إلى السماء . بعض السحب تطفو على وجه السماء اللازوردي .

هذه القاعة عبارة عن صالة كبيرة تحيط بها غرف جانبية وأربعة أبواب . الباب الذي على اليمين يؤدي إلى غرفة الابن الكبير ، علق عليه ستارة خضراء شفافة . الباب الذي على اليسار يؤدي إلى غرفة الابنة وزوجها ، وهو باب صغير ووسخ يوحى بقلّة الاهتمام ، لا يعلق عليه أي شيء .

الجدار الخلفي للصالة عبارة عن قواطع خشبية، خزانة
جدارية ومكتب صغير. تنفرج القواطع الخشبية لتشكل بابين
جانبيين يشغلان ثلثي الجدار. عتبة حجرية تفصل بين القاعة
وصالة الضيوف. تبدو السماء صافية تسر الناظرين عندما تفتح
القواطع الخشبية. الباب الرئيسي في الجهة المقابلة وهو ذو طراز
كان شائعاً في تلك الأيام. فتحت أبواب القاعة وشبايكها
باتجاه البهو الذي تظله أشجار البلح والبلع والخور.

تنعكس أشعة الشمس عبر نوافذ القاعة فينتشر الضوء في
كل مكان ويبدو كما لو أنه يطفو على بركة ماء، تعكس تيجان
الأعمدة والعوارض القائمة وزخارف السقف الأشعة فتبدو
القاعة شاحبة قليلاً. يغلق سيد البيت الدرفات المؤدية إلى صالة
الضيوف، بينما يتسرب ضوء ضعيف من غرفة المكتب عبر
شباك دائري مغطى بشبكة غربال، مما يجعل هذا الجزء من القاعة
ظليلاً ومنعشاً. لا يفضل سيد البيت العجوز مغادرة غرفة نومه
في الأيام العادية، وهو قليلاً ما يخرج للترويح عن نفسه. لغرفة
المكتب هذه أهميتها. كتب سيد البيت فوق بابها بخط صيني
قديم وبشكل لافت للنظر عبارة «غرفة التريّة». هي في الحقيقة
مكتب صغير أشبه بخزانة جدارية تشغل ثلث الجدار الخلفي.

يمكن رؤية أغصان شجر الخرنوب من نافذة غرفة المكتب ،
وإلى اليسار باب (غير مرئي) يؤدي إلى الفناء وإلى غرفة
نوم السيد العجوز . داخل المكتب وعلى طول الجدار تصطف
الكتب والمؤلفات ذات التجليد النافر ، وأمام النافذة ملف نائم
الذي يحبه سيد البيت ، مقعد من خشب الأبنوس ، محبرة ،
تحف قديمة وجميلة . هنا ينشد السادة الشعر أو يرسمون ،
يقرؤون الكتاب المقدس أحياناً ، أو يخوضون في أحاديث مملة
حول التنجيم إلى أن يتسلل النعاس إلى عيونهم .

كانت هذه القاعة الصغيرة مكاناً للأحاديث السرية في الأيام
الحوالي . ففي عصر الأسرة الذهبي كانت تغص بالضيوف ،
حيث سَنَّ الجد الأكبر مؤسس الأسرة جملة من القوانين :
الأصدقاء الحميمون يطلب منهم الجلوس وانتظار السيد ، أو
دعوتهم إلى «غرفة الترية» لتبادل الأحاديث السرية ، أو إلى
الغرف الداخلية لتبادل الأحاديث الطويلة . أما الشباب أصحاب
القضايا فعليهم الانتظار في قاعة الضيوف الكبيرة . كذا مرت
سنوات العز والدلال ، عندما كان الشيوخ شباباً ، أرستقراطيين
أنيقين ، بمعنويات عالية ، يجلسون يتجاذبون أطراف الحديث
كل يوم ، يربون الطيور ويسمعون الأغاني .

لقد مرت عشرات السنين ، وهذه الغرف ما زالت مكاناً يتبادل أولاد وأحفاد أسرة زنج فيه أطراف الحديث . كل ما خلّفه السلف اجتمع في هذا المكان ، لكن لم يكن بمقدور الخلف الطالع أن يعيد للبيت احترامه ومكانته ، كما لم يستطع إحياء ذكرى العصور الماضية لهذا المكان الذي ضحك وتحدث واستراح فيه الكثير من الأشراف ، لا بل عجلوا في انهياره . حتى أن أوامر وخلافات زوجة الابن الأكبر مع زوجها تكاد لا تفارق هذا المكان . هذه القاعة أشبه بالموزع ، وقد شُيدت باهتمام شديد . ما زلنا نرى في تيجان الأعمدة بعضاً من آثار الماضي المدهشة . ولأن الأسرة قد أفل نجمها ، فقد اضطر سيد البيت إلى تأجير صالة الضيوف والغرفة الغربية لباحث في علم الأجناس ، ومنع على المستأجر استخدام الفسحة التي أمام الغرفة . هذا المكان هو الحصن الأخير للسيد زنج . حديقة البيت مقفرة ومهجورة منذ زمن بعيد ، وعوارض أعمدة البيت بهتت ألوانها . جدار الآجر الكلسي تأكلت معظم أجزائه ، كما لو أن المكان كله يحتضر ، إلا أن سيد البيت العجوز لا يزال يصارع ويقاوم الانهيار على مضض .

إن نظرة سريعة على هذا المكان لا توحى بأنه بشع . دقائق الساعة الثقيلة كما الحلق البشمي عظيمة للغاية ، والنافذة - وهي نمط تقليدي يتواجد في معظم بيوت بكين القديمة - وراء الساعة ذات أشكال زجاجية مثمثة مصقولة وبراقة ومغطاة بستارة مشمشية اللون ، تُسدل عادة عندما تكون زئغ صه بي في حالة مزاجية سيئة . وضع أمام الساعة وبشكل عشوائي تيممة ملفوفة بقماش مذهب . هذه التيممة هي أحد الأشياء التي ورثها الأحفاد عن أجدادهم . زوج من مزهريات مصنوعة من أحجار كريمة مرسوم عليها منظر لأزهار الغفت ، كانت قد أحضرتهما زئغ صه بي عند زواجها قبل عشرين سنة ، موضوعتان على جانبي التيممة . طاولة مربعة الشكل على اليمين ، مغطاة بسجادة أرجوانية وعليها بعض الأشياء القديمة ، تستخدم للطعام أحياناً . يوضع على الطاولة صحن كبير يحتوي على زعرور صيني أحمر ، عنب ، كستناء ، جوز ، جبوب طيبة جبلية ، تمر أسود ، أجاص ، يوسفى ، وهي ذات ألوان يسيل لها اللعاب . حول الطاولة كرسيان أو ثلاثة بمساند وكرسي بدون مسند وهي ممسوحة بشكل جيد . طاولة نصف دائرية من خشب الصندل الأرجواني إلى اليسار بجانب باب غرفة ون تساي ، عليها لفائف

عطوس حريرية خضراء وبعض الكتب القديمة، وفي وسطها حوض تعوم فيه سمكة ذهبية اللون، وعلى الجدار فوق الطاولة علقت لوحة كباد أصبعاني. عدد من الكراسي وطريزة أمام الطاولة رتبها صهر العائلة بطريقة غريبة. على الجدار المقابل لوحة للخطاط «دونغ تشي تشانغ»^(١). على مقربة من «غرفة التريبة» علق عود سباعي الأوتار، تتدلى منه شراريف حريرية برتقالية اللون. في المساحة بين غرفة التريبة والصالة علقت لوحة بامبو سوداء. ينتصب مصباح قماشي مربع الأضلاع مرسوم عليه طيور وأزهار ذو قاعدة من خشب الأبنوس على هيئة تنين إلى يمين اللوحة، ينبعث منه ضوء أزرق خافت. إلى يسار اللوحة خاوية خزفية تحتوي على لفافات ورقية، وعلى جانبيها مكعبان خشبيان، فوق أحدهما حقيبة جلدية.

البيت هادئ ورتيب، يسمع صوت الحمام بين الحين والآخر. السقا يدفع دراجته بصعوبة وتمهل شديد في الزقاق الطويل، حيث يسمع صرير عجلاتها على الطريق الإسفلتي الضيق. صوت العجلات المكفهر ذاك يتعد مرة ويقترب مرة، وبين الفينة والأخرى يمتزج صياح السقا برنين جرسه (هو عبارة

(١) DONG QI CHANG (١٥٥٥ - ١٦٣٦)

عن ملقط داخله مسمار يصدر صوتاً أشبه بصوت الجرس)، إنه أشبه بطنين نحلة عاملة. بوق شاحذ الأمواس والسكاكين هو الآخر يكسر تلك الرتابة.

نفوح رائحة لطيفة من كهربان الزبادي داخل البيت، وعندما تهب نسمة تحمل معها عبر النوافذ رائحة أزهار الغار.

منتصف النهار. تدخل زنج صه بي من الباب الرئيسي يتبعها باحترام وقلق تشانغ شون خادم الأسرة وهو في الثلاثين من عمره.

تعطي زنج صه بي انطباعاً تدريجياً بأنها من عائلة مثقفة. تدعي الثقافة والأدب، ذكية وذات تجربة، تفتعل الابتسامة وتضمر الشر، مخادعة، أنانية، ثرثرة، لا تنتقد نفسها. تظن أنها كريمة ومتسامحة، إلا أن الجميع يعرف تآمرها الذئبي. كثيراً ما تصرخ قائلة «بلغ السيل الزبى»، وهي تعتقد أن لا أهمية للناس، وأنها لن تخسر معركتها مع أحد. تسيء الظن دائماً وتصر على أنها ذات إحساس مرهف، يظهر خبثها أكثر ما يظهر في أواخر جملها، وهي بارعة في حياكة المؤامرات والدسائس. متكلفة بكلامها، بتواضعها، بيرها وشفقتها... وكل ما تتصف به المرأة ذات الخلق، تظن أنها ذات سمعة فاضلة

بين أفراد الأسرة، إلا أن الجميع يكرهها، مأكرة كثعلب، غالباً ما يظهر ذيله. تكره السيد العجوز لدرجة الموت، تتهم زوجة ابنها بالطمع، وتدعي لنفسها الكرم. إنها تهوى الطعن في الخفاء، تسيء معاملة زوجة ابنها، بينما تتظاهر بالشفقة عليها أمام الآخرين. يصفها بعضهم بالقسوة، ويصفها البعض بأنها غير طبيعية. أما قسوتها فلأنها تظهر عكس ما تخفي، ولا يعرف أحد ما يخفيه رأسها من مؤامرات؛ وأما أنها غير طبيعية فذلك لأنها متطيرة، جبانة، متخوفة من الفقر والموت، فهي مثلاً إن رأت بجانب الجدار نبتة ذاوية يجتاحها غضب شديد، يحملها على تقطيع النبتة، فإن رآها أحدهم تظاهرت بالشفقة والاهتمام بها، تعتقد بأنها ذكية، قوية عنيفة، طموحة؛ مما تأسف عليه هو زواجها من أسرة مثقفة منهرة، لذا فهي تحقد على نفسها كيف تحولت إلى امرأة طاوئة. متوسطة الطول، في عينيها حَوْلٌ بسيط، جبهتها عريضة وأنفها عال، شفتاها غليظتان، أسنانها بارزة، حاجباها سوداوان دقيقان كذؤابة سيف مصبوغان بدقة وصرامة. جذرة في أفعالها وأقوالها، تختلس النظر إلى من تتحدث إليه. لم تتم الأربعين من عمرها، بدينة، تبتذو على وجهها آثار الاستسقاء، ترتدي فستان تشياو^(١) أصفر فاتحاً ذا

(١) فستان صيني تقليدي مشقوق من الجانبين

أزهار ، حذاء ساتان مطرزاً بالذهبي ، تعلق في وسطها سلسلة مفاتيح براقه ، بيدها دفتر توفير ، مغضنة الحاجبين .

تشانغ شون : (مبتسماً) ماذا ترى سيدتي؟

صه يي: (مثرثرة) اطلب ممن ينتظرون أمام الباب أن يرحلوا .

تشانغ شون: ولكنهم يقولون إن الدين يجب أن يُدفع الآن ...

صه يي: الآن ليس عندي نقود .

تشانغ شون: يقولون ، (بحرج) يقولون ...

صه يي: (تقطب حاجبيها) ماذا يقولون؟

تشانغ شون: يقولون إنهم دهنوا التابوت بناءً على أوامر السيد العجوز ، لقد دهنوه بدهان فوجيان^(١) الذي اختاره السيد وقد أدخلوه إلى مكانه المخصص (مبتسماً) وقيل لهم أن يأخذوا الأجر الذي يطلبونه من سيدة البيت .

صه يي: (تبتسم بدهاء) ليطلبوا أجرهم من السيد الكبير ، قل لهم أن هذا التابوت ليس لتنام فيه سيدة البيت . وإن هم لا يريدون الانتظار فليأخذوا التابوت ويرحلوا ، ثم إن وجوده في البيت يثير تشاؤمي .

(١) مقاطعة صينية

تشانغ شون: (بتهديب) أنا أرى أن نعطيهم قليلاً من المال يا سيدتي ، فقد أتموا دهن الثابوت بمناسبة عيد الحريف العظيم .
صه يي: (فجأة) كم تتقاضى من هؤلاء لتساعدهم في هذيانهم .

تشانغ شون: (مبتسماً ، يحاول الدفاع عن نفسه) لا يا سيدتي ، أنت ترين . .

(تدخل المريمية من الباب الرئيسي للقاعة غاضبة ، امرأة في الستين من عمرها عملت لسنوات طويلة في بيت زنغ ، كمرضة للسيد ون تشينغ . جاءت إلى البيت في عصر ازدهاره منذ أربعين سنة ، وكانت الخادمة الكفء لسيدة البيت الراحلة . قادمة من الريف ، قلبها على لسانها ، تربطها بأولاد وبنات زنغ رابطة دم . عاد بها أولادها إلى الريف لتعيش هناك في بيت ريفي صغير لكنها تعود بين الحين والآخر إلى منزل سيدها محملة بالخضار والفواكه . اصطحبت في هذه المرة حفيدها الذي كان يعودها ، خطواتها ثابتة ، شعرها أشيب ، موردة الوجه ، صوتها قوي ، وكل ذلك يدل على أن بنيتها لا زالت متينة . سمعها خفيف ، تعلو وجهها ابتسامة توحى بالسعادة .

لقد سارت حياتها على أكمل وجه . حنونة ، ثرثرة ، مطلعة على جميع مشاكل أسرة زنع ، تقول ما ينبغي أن تقوله ، لا تتدخل فيما لا يعنها . ترتدي سترة زرقاء فاتحة ، صدرية جوخ زرقاء ، سروالاً أسود وخفّاً أسود .

تشانغ شون: (مندهشاً) آه ، المرضعة تشن هنا .

المربية: (متوترة ، تبحث عن مكان لتضع حملها فيه) إنه لأمر عجيب يا سيدتي ما أكثر الدائنون في عيد الخريف ، الجميع يريد أن يسترد دينه! (تلتفت متذمرة) اذهب يا تشانغ واطلب من هؤلاء أن يرحلوا من هنا فأنا لم أر السيدة . (ما تزال متوترة) .

صه يي: (بابتسامة مصطنعة) متى وصلت يا سيدة تشن؟

تشانغ شون: (بلهجة اعتذار) ماذا تقصدين يا سيدتي؟

المربية: (تشير بيدها) اطلب منهم أن يغوروا من هنا (تلتفت إلى سيدة البيت وملامح الغضب لا تزال بادية على وجهها) لم أر مثل هذا ، لقد أثاروا غضبي . هل يحق لهؤلاء أن يسدوا المدخل طلباً لدينهم (تلتفت إلى تشانغ غاضبة) قل لهؤلاء إن هذا هو بيت السيد زنع ، لقد قبضت أنا المرأة العجوز آلاف القطع الفضية من سيد هذا البيت (بغضب) كيف يجرو هؤلاء على منعي من الدخول .

صه يي: (تهز رأسها مبتسمة وتتوجه إلى تشانغ) حقاً، من يجروء على فعل ذلك، من منا لا يعرف المرضعة تشن؟

المربية: (بابتسامة عريضة) لا داعي للمجاملة يا سيدة الدار، ليس المهم أن يعرفوا من أنا، ولكن ألا يعرفون بيت من هذا، فأمر يدعو إلى الغضب حقاً، عندما قدمت إلى هذا البيت، كان لا يدخله إلا النبلاء (إلى تشانغ) إن سيدك من الأثرياء، وما يرد البيت في سنة، يكفي لشراء الأراضى، ويغطي نفقات الكنة والأولاد والأحفاد. (مبتسمة) فأخرج تلك الوسوس من رأسك.

تشانغ شون: (مبتسماً) وهو كذلك يا سيدة تشن.

صه يي: تفضلي يا سيدة تشن.

المربية: إيه، من سيتعرف على الكرات الملونة هذه؟ عندما جئت كانت السيدة زنج أنسة صغيرة (مقارنة) وكان سيدي أكبر منها بقليل حينذاك...

صه يي: (تطلب من المرضعة الجلوس وتجلس قُبالتها) . اجلسي، لا عليك يا سيدة تشن هوني عنك.

المربية: إيه، في عيد الحريف...

صه يي: سيدة تشن، ماذا فعل هؤلاء لك؟

المربية: (لم تسمع) آه؟
تشانغ شون: إنها صماء ، لم تسمعك . دعك منها
يا سيدتي .

المربية: ماذا تقولين؟
تشانغ شون: (بصوت عالٍ) السيدة تسألك ماذا فعل
هؤلاء لك؟

المربية: (تخرج من جيها ورقة) انظري ، لقد اعترضوا
طريقي ودسوا هذه الورقة بيدي ، ولم يكن لي بد من أخذها .
صه يي: (تتناول الورقة) آه ، هذه!

المربية: (تضرب كفاً بكف) اقرأي ، ماذا هناك؟ .
صه يي: (تتصفح الورقة) آه ، ترميم الصور أيضاً بأجر .
تشانغ ، أخبر الخدم أن السيد ليس هنا .

المربية: آه ، ما به السيد تشينغ!
صه يي: (تخرج نقوداً) أعطه العشرين يواناً هذه ، يمكنك
أن تحسم منها ما تشاء! في انتظار عودة السيد الكبير لنرى كم مرة
تم ترميم هذه اللوحات ليصار إلى حسابها بشكل دقيق .
تشانغ شون: وأجر الخياطة ، ومخزن الثمار ، ودهان التابوت ...

صه يي: (وقد نفذ صبرها) انظر إلي ، واجهني ، هل يجب أن أعيد ما قلته .

تشانغ شون: (يشير إلى الباب الذي على اليسار ، بصوت منخفض) يا سيدتي السيد زوج المحروسة غاضب منذ الصباح ، وهو يقول إن الممر سوف ينهار ، ويسأل هل سترممونه أم لا؟

صه يي: (متجهمه) قل له إننا نريد ترميمه ولكننا لا نستطيع القيام بذلك الآن . قل له إنه لا يزال صالحاً للسكن ، ثم إن السيد الكبير ينوي بيع البيت .

تشانغ شون: (لم يفهم) سيدتي ، إن الغرفة تدلف هي الأخرى ، ليلة البارحة ...

صه يي: (بحق) أنا آسفة ، ليس معي نقود ، سأتحديث إلى السيد الكبير بعد قليل ، وسوف نبني له بيتاً على الطراز الغربي ليعيش فيه .

[يتراجع تشانغ محرجاً ، صوت خارج المسرح ينادي: سيد تشانغ سيد تشانغ!]

تشانغ شون: حاضر ... (يخرج)

صه يي: (تلفت بوجه بشوش) سيدة تشن ، هل أنت متعبة ، أليس الجو حاراً؟

المربية: (تبدو عليها ملامح الخيبة) حقاً يا سيدة الدار أن صغيري السيد تشينغ ليس في البيت ...

صه يي: لا تغضبي ، إن سيدك الصغير هناك (تشير للغرفة التي إلى اليمين) لم يستيقظ بعد ، سوف يخرج ليهنئ مرضعته بالعيد .
المربية: (ضاحكة) لا تمزحي يا سيدتي ، فأنا مرضعة ، والخدام خادم والسيد سيد إنه يقارب الأربعين ، عنده ابن وكنة وتريدن منه أن يخرج ويهنئ ...

صه يي: (وقد استهوتها العملية) إذا دعيني أهنئك أولاً!
المربية: (تمنعها) حسناً ، حسناً ، إنني أموت من شدة الخجل ، أنت سيدة كبيرة وحماة ، لا ، لا ... (تجذب كل منهما الأخرى ، السيدة زنع في الحقيقة لا تعني ما تقول لذا ...)
صه يي: (تلم ابتسامتها) آه ، كما تشائين .
المربية: (بسرور) إنه لأمر مدهش ، لقد قطعت مسافة طويلة من أجل ...

صه يي: (تقاطعها) أن تري السيد تشينغ .
المربية: (مدهشة ، تداري ضحكتها) أنت ممثلة ذكية ، لقد جئت لكي أراكم أيضاً أنت ، صوفانغ ، السيد الكبير ، السيدة ابنته ، السيد حفيده وزوجته ، إن لم أر هذه الأسرة الكبيرة فسوف أعود فوراً .

صه يي: ولماذا؟

المربية: يجب أن أعود مساءً إلى بيتي ، لقد وعدت كنتي ...

صه يي: وهل يُعقل هذا ، تأتين من الريف إلى المدينة وتعودين بهذه السرعة دون أن تقيمي بيننا لبعض الوقت؟

المربية: (بزهو) آه ، قضيت أربعين سنة في هذا البيت؛ تزوج ابني ولم أغادر هذا البيت . انظري أيهما بيتي . سيدتي ، اصطحبت حفيدي ليحمل لك بعض الأشياء من الريف .

صه يي: حقاً ، ماذا يمكنني أن أفعل أمام لطفك هذا؟

المربية: (بصدق) إيه ، إنها أشياء بسيطة . (تتجه إلى صالة الضيوف ، تبتسم معذرة) أين أخبئ وجهي منك ، إنها أشياء بسيطة جمعتها منذ الصباح الباكر ... (تنادي) ولدي ، صغيري ، أين ذهب هذا الولد المخبول بطرفة عين . يا ولد ، يا ولد ، (تخرج إلى البهو منادية) .

[يترامى صوت أسراب الحمام في السماء هادئاً مريحاً . صوت بائع مثلجات جوال يأتي من مكان بعيد ، قرعة أقداحه تطرب الأذان ، وتصدر رنيناً رخيماً «دن دون ، دن دون ، دن دن دون ، دن دون دن دن دن دون» هو أشبه بلكنة أهل بكين ، وهي ترجمة لمشاعر بائع سعيد ينادي «بارد وحلو

ويروي العطشان ، ومن لا يصدق ليأت ويتذوق . في نهاية
جملته الموسيقية تلك يرفع صوته بشكل غنائي مزمجرأ كالرعد
«وصل بائع العصير ، آه ، يا للرائحة العطرة» ثم يلي ذلك وصلة
موسيقية ثانية «دن دون دون ، دن دون دون ، دن دون دن
دن دون» [

(تقترب صه يي من الحقيبة الجلدية وتبدأ بطي الملابس)

صه يي: (تلتفت إلى اليمين) ون تشينغ ، هل استيقظت؟
(لا أحد يجيب)

صه يي: ون تشينغ ، لقد جاءت مرييتك .

[صوت ون تشينغ من الداخل ، صوت أجوف ومتعب: لقد
سمعت ذلك ، لماذا لم تطليبي منها الدخول؟]

صه يي: أطلب منها الدخول؟ لتملأ غرفة نومنا برائحة الثوم
الكريهة ، إن كنت تقبل بذلك فأنا لا أقبل . هل ستذهب اليوم
أم لا ، لقد هيأت لك ملابسك .

[صوت من الداخل: (بهدوء) هل طار الحمام كله؟]

صه يي: (لا تكثرث لسؤاله) لقد سألتك هل ستذهب أم لا؟

[الصوت: (بافتتان) لقد طار الحمام عالياً هذا اليوم ، حتى لا

أكاد اسمع صوته]

صه يي: (تقترب من باب غرفتها) حسناً، ما الذي يدور في ذهنك؟ قلت هل ...

[الصوت: (يمط الكلمات بحزن) سوف أذهب، سوف أذهب، سأذهب، إنني راحل بكل تأكيد].

صه يي: (تقترب أكثر من الباب وترفع الستارة، تفتح الباب وتلقي نظرة إلى الداخل تصرخ مندهشة لما رأت) أوه، لقد عدت مرة أخرى!

(تسمع وقع خطوات المربية، تغلق الباب وتعود صه يي إلى متابعة عملها. تدخل المربية بصحبة حفيدها تشو الصغير. تشو الصغير في الرابعة عشرة من عمره، يلبس ما يلبسه الأولاد في الريف من ثياب جديدة أيام الأعياد. جوارب، خفافة، جلاباب صوف أزرق طويل مطرّز، أكمام قصيرة وقبة فضفاضة. بهتت ألوان الجلاباب من كثرة الغسيل، ورقعة حمراء في قبته من جهة الخلف. الجلاباب مغضن ... يبدو أنه يخفي شيئاً في عبه ... يبدو تشو الصغير قوي البنية ولطيف الملامح. تندرج عيناه ماسحاً المكان بنظرة سريعة وهو يلهث، إنه أشبه بغزال فرّ من الغابة. رأسه كروي أشبه بالقرع، وجهه أحمر مستدير، أنفه أفطس، فمه صغير ومرتفع، ملامحه طيبة وساذجة. يبدو

بين حاجبيه تعبير شيطاني . يحمل بإحدى يديه لعبتين لأرنب
وخنزير؛ ويحمل في يده الأخرى قفص حمام ، وتحت إبطه
دجاجة ، يلحق به تشانغ شون وهو يحمل سلة كبيرة فيها
دجاج ، بيض ، ملفوف صيني ، رز ، وكرفس ... يقف
الاثنان بيلاهة والعرق يتصبب منهما)

المربية: هيا ، هيا ، هيا (تثرثر) يا لك من ولد ، انظر إلى
نفسك كيف تتصبب عرقاً من دعاك لشرب عصير القراصيا؟ ثم
إن تناول هذه الأشياء الباردة يضر بمعدتك . (تلتفت إلى تشانغ
شون) قل شيئاً يا تشانغ . (تشير إلى حفيدها) من اشترى لك
هذه الألعاب؟

تشو الصغير: (ينظر بطرف عينيه إلى تشانغ) إنه ... السيد تشانغ
المربية: (تلتفت إلى تشانغ مبتسمةً ومعاتبَةً) لا تضحك ، لن
أشكرك على فعلتك هذه .

صه يي: حسناً ، لا توبخيه .

المربية: يا ولد ، لم تسلم على السيدة زنج بعد . ضع الأشياء
من يدك ، هيا .

(يضع تشو الصغير قفص الحمام الفارغ على الأرض ، ويضع
الدجاجة في السلة التي يحملها تشانغ)

صه يي: لا داعي لذلك ، جئتما من مكان بعيد ولا شك أنكما متعبان .

المربية: (ترى أن تشو لا يريد أن يتخلى عن ألعابه ، تأخذها منه) ضعهما لن يأخذهما أحد (تحمّلهما لتشانغ ، تشانغ في غاية الحرج وهو يحمل كومة من الأشياء) .

صه يي: لا تجثُ ، إنه لأمر مزعج .

المربية: (تضحك) انظري إلى هذا الولد الريفى ! لقد نسي كل التعليمات التي لقتها له طوال الطريق . (تضغط على رأسه) احنِ رأسك لأسياذك يا ولد .

(يلتفت تشو الصغير إلى جدته ، يبدو مذهولاً ، ينتظر حتى ترفع جدته يدها عن رأسه ليبحثو على الأرض مطأطأاً الرأس ، ثم ينهض مباشرة)

صه يي: (كانت قد أخرجت صرّة حمراء صغيرة) حفظك الله من كلّ سوء وأطال في عمرك! خذ هذا واشتر بعض الحلوى . (يقف تشو ببلاهة)

المربية: آه ، عظيم ، وفوق كل هذا تمنحني نقوداً . (إلى تشو) خذها ، لا تخجل ، هي أيضاً بمقام مرييتك . (يأخذ تشو الصرة) قل لها شكراً (يلتفت تشو إلى تشانغ ويستعيد لعبته منه)

وهو يضحك ببلادة) هذا الولد لا يقف كما يجب ولا يجلس كما يجب ، ولا يحكي كما يجب ، اجلسي ياسيدي ، آ ، الطقس حار! (تسحب كرسيًا وتجلس) قلت لحفيدي أثناء الطريق ...

تشانغ شون: (وقد نفذ صبره) هل أظل حاملاً الأغراض هكذا! المربية: (تلتفت ضاحكة) ذكرني ، لقد نسيت! (تأخذ السلة منه بينما توجه كلامها إلى السيدة) سيدتي ، لا يوجد في الريف ما يؤكل ، هذه بعض الأشياء التي زرعتها بنفسي ، قليل من الكرات ، والكرفس فليفله ، خيار فلفل ، لوبيا ، وقليل من ... صه يي: هذا كثير ، كثير جداً .

المربية: وهذا قليل من الرز ، وييض ، ودجاجة .

صه يي: لقد نقلت مؤونة بيتك كلها ، يا عيب الشوم ، بعد أن كابدت عناء حملها لن أطلب منك العودة بها ... (تلتفت إلى تشانغ) خذ هذه الأغراض يا تشانغ .

المربية: (إلى تشانغ) لقد أحضرت لك فجلتين كبيرتين . (تبحث عنهما)

تشانغ شون: (ضاحكاً) لا تبحثي عنهما ، فقد صارتا في معدتي .

(يحمل تشانغ السلة ويخرج من باب صالة الضيوف)

تشو الصغير: (يهمس) جدتي .

المربية: ما بك؟

تشو الصغير: (بصوت منخفض) هل أخرجها أم لا؟

المربية: (محتارة) ماذا؟

(ينظر تشو إلى جدته ثم فجأة يحاول إخراج الحمامة من عبه)

المربية: (تذكر فجأة) آه! (مضطربة) أين هي؟ أين هي؟

تشو الصغير: (يبدو خجلاً بينما تستخرج من ثيابه حمامة

رمادية صغيرة ، لها غرة ولريشها بريق ، وبقع بنفسجية اللون

تغطي جسمها ، تبدو جميلة وكأنها جرس نفيس) هنا!

المربية: (تمسك بالحمامة ، وتكلمها بصوت مرتجف من شدة

السعادة) صغيرتي ، عزيزتي ، أنت هنا! لا عجب أن شعرت

بشيء ينقصني (إلى السيدة زنج) انظري إلى هذا الولد! في الحقيقة

أحضرت زوجاً من الحمام لصغيري السيد تشينغ . وضعتهما في

القفص ، وأثناء الطريق أخرجهما ليلعب بهما فطارت واحدة . ومن

حسن حظ صغيري السيد تشينغ بقيت الأجل ، المسي ريشها يا

سيدتي . (تحاول أن تضعها في يدي السيدة زنج) قلبها يخفق!

صه يي: (تنفر بشكل غريزي من الحمامة، تتراجع إلى الوراء، تضحك بقوة) حسناً، حسناً، حسناً. (تنادي باتجاه الباب الذي على اليسار) ون تشينغ، لقد أحضرت لك المرية حمامة!

المربية: (لم يسعها إلا أن تنادي) صغيري وسيدي تشينغ .
[صوت زنج ون تشينغ من داخل الغرفة: «السيدة تشن»]
المربية: (تحمل الحمامة وتتوجه إلى غرفة السيد تشينغ)
سوف أحملها لك كي تراها (تهم بالدخول)
صه يي: (بسرعة) لا تدخل.

المربية: (مأخوذة) ماذا؟
صه يي: إنه، إنه لم ينهض بعد .
المربية: (مغتبطة) ولم الخوف إذاً، سوف أجلس إلى جانبه على السرير وأتحدث إليه . (تمشي)
صه يي: توقفي . الغرفة وسخة .

المربية: (بحب) إيه، لا عليك . (تمشي)
صه يي: (تنادي) ون تشينغ، هل بدلت ثيابك أم لا؟
[صوت ون تشينغ من الداخل: إني أبدلها الآن!]

المربية: (تضحك) إيه، كم كبرت ومازلت أخاف منك. (تدفع الباب)

[صوت ون تشينغ من الداخل: لا تدخل، لا تدخل.]

صه يي: (تمنعها من الدخول) انتظري لحظة، إنه لا يحب أن يراه أحد بينما هو يغير ملابسه...

المربية: (بخفية) حسناً، لا عليك، من الصعب أن يغير المرء طبعه. (بحنان) كان السيد تشينغ في السادسة عشرة عندما كنت أساعده في تبديل ملابسه يا سيدتي. (تعيد الحمامة إلى تشو الصغير) حسناً، أطلق سراحها إذا! (توجه كلامها إلى الداخل) كيف حالك مؤخراً يا سيدي.

صه يي: (تسحب كرسيًا) تفضلي اجلسي.

[صوت ون تشينغ: (بحرارة) بخير، وأنت يا سيدتي؟]

المربية: (بصوت عالٍ) أنا بخير! (يعود لوجهها بريقه) لقد رُزقت بحفيدة.

(يعيد تشو الصغير في هذه الأثناء الحمامة إلى القفص)

[صوت ون تشينغ: مبروك لك.]

المربية: (بصوت عالٍ) ولكنها ليست سمينة! (تجلس)

صه يي: يقول مبروك لك .
المربية: إيه، ما المبروك في هذا، ليست إلا بتاً!
[صوت ون تشينغ: كم يوماً ستقيمين هذه المرة .]
المربية: (تمد عنقها وترفع صوتها) آ، لقد أتمت شهرها الأول .
صه يي: إنه يسأل كم يوماً ستقيمين عندنا .
المربية: (تهز رأسها) لا ، سوف أعود فوراً .
[صوت ون تشينغ: (لم يسمع) آ؟]
المربية: (تقف ، بصوت عالٍ) سوف أعود فوراً يا سيدي .
[صوت ون تشينغ: ما الذي يشغلك ؟]
المربية: آ؟
[صوت ون تشينغ: (بصوت عالٍ) ما الذي يشغلك ؟]
المربية: (لم تسمع) ماذا؟
تشو الصغير: (لم يستطع مقاومة الضحك) جدتي ، أنت صمّاء فعلاً ، هو يسأل ما الذي يشغلك ؟
المربية: (تصرخ وتعيد الكلام بحيرة) ما الذي يشغلني؟ (متضايقة ، ثم تبتسم) إيه ، ولمّ الكلام بصوت منخفض . حسناً ، سوف انتظره حتى يخرج سيدي ، سوف أذهب لرؤية الآنسة صوفانغ !

صه يي: لا بأس، سوف أرسل من يستدعيك بعد قليل. (تأخذ من صحن موضوع فوق الطاولة سيخاً من الزعرور الصيني المغطس بالسكر) تشو خذ هذا لك. (تعطيه له)

المربية: قل شكراً لـ ولد! (يأخذ تشو الحلوى ويضعها في فمه) تأكل! وتأكل! (تسحب الحلوى من فمه فجأة) توقف عن الأكل! انظر! (عينا تشو معلقة بسيخ الحلوى) ضغ هذه الألعاب من يدك وتعال معي!

(يضع تشو ألعابه، ويعز عليه ذلك، تمسك جدته يده وتخرج به من باب غرفة التريبة)

صه يي: اللعنة! (تضع الألعاب جانباً، وتحمل قفص الحمام...)
[صوت ون تشينغ من الداخل: سيدة تشن!]

صه يي: خرجت.

(يخرج زوجها زنج ون تشينغ من الغرفة التي على اليمين. إنه وسيم وأنيق لا تجد ما يماثله بين الشعراء: نحيف، يرتدي ثوباً طويلاً، ألوانه بسيطة ومتناسقة، يبدو فاطر الهمة في حديثه وفي سلوكه. ومع ذلك فهذه طبيعته، يوحى بالطيبة من النظرة الأولى، ذكي، يحمل جبينه ملامح الفطنة. وجهه

شاحب، جبينه عريض، وجنتاه بارزتان، شفتاه شاحبتان،
يبدو شديد الشفافية، عينان غائرتان فقدتا بريقهما، حزبتان
كثيبتان. عندما يحدق تبرق عيناه، عروق صدغيه نافرة قليلاً،
عاش وترعرع في وسط بكين المثقف، يقضي معظم وقته في
لعب الشطرنج، ونظم الشعر، والرسم. الحياة في بكين مملة،
ففي الربيع تُطلق الطائرات الورقية، وفي ليالي الصيف يذهب
الناس للتنزه على ضفاف بحيرة «بي هاي»، وفي الخريف تكثر
الرحلات إلى الجبل العطري للاستمتاع بمنظر الأوراق الحمراء،
أما في أيام الشتاء الصافية فيرسم الناس تحت نوافذ بيوتهم.
يلجأ لنظم الشعر في الأوقات الموحشة، وإلى اللامبالاة في
الحالات النفسية الصعبة، حيث يجلس وحيداً يشرب الشاي،
لقد قضى نصف حياته في كسل وخمول. بسبب دلال والديه
له منذ الصغر، فقد تزوج بسن مبكرة، هزيل الجسم، خاوي
اللغة، هادئ السلوك. زار أماكن كثيرة، ذكي جداً، كان
يُوصف بالعقري في طفولته. في سن السادسة والثلاثين انقلبت
أُمور حياته، وأصبحت خاوية لا روح فيها، يبدو في نهاية اليوم
كمن فقد شيئاً. خفيف الظل، حديثه حسن، سلوكه صريح
ولطيف، ولكنه يوحى بفتور الهمة في الفعل والتفكير والاهتمام

والكلام ، وفي حركاته ووقفاته ونظراته وفي كل شؤونه مما يستدعيه بذل جهود كبيرة . سأمه من الحياة وفقدانه لأي أمل حمله على التكاسل . تسرب الكسل إلى شعوره ، وشل قدرته على النظر إلى الحياة باعتبارها صدفة فارغة ، مع أنه شديد التهذيب ، إلا أن روحه تفيض بالبريق أحياناً ، وملامحه بالغرابة . إنه أحد أبناء الأسر المثقفة وهو نتيجة لثقافة بكنين الفاسدة ما قبل الاستقلال . إنه مسلوب الإرادة . ألم ما يثقل صدره . كانت حياته بعد الزواج موحشة ، مُهملة ، قليلاً ما يجد في حياته الخاوية تلك ملاذاً هادئاً ، لم يتوقع أن يبلغ قلبه رشده ، وتعود روحه إلى جسده كطائر يعود إلى عشه عند الفجر . اعتقد أن يجد في الحياة الزوجية الراحة والطمأنينة ، وخشي أن يعبر عن عواطفه ويُفتضح أمره . حياته الزوجية بمثابة قيد رهيب ، وقلق كامن ، مثل الماء في بئر قديم . بصمت استبدل وزوجته سعادتهما بشقاء ، وانعدمت على مر السنين والأيام أوامر الوفاق ، وصار التفكير في تحقيق السعادة أمراً مستحيلاً . لقد صبر على ألمه وأضاع بشكل غامض سنواته وأيامه ، إلى أن استكان للأمر الواقع في نهاية المطاف ، وانغمس في نوع من هواية تحطيم الذات . هو الآن في منتصف العمر ، حتى أمله في ملاذ هادئ قد تهاوى ،

علق آماله على ابنه ، إلا أنه هو الآخر تزوج وفق الأوامر ، وحده من حصد الحنية والألم ، ورأى كيف وقع ابنه في الحفرة التي وقع هو فيها . ظروف الأسرة تزداد سوءاً ، وأيام عزّها ولت دون رجعة . تعاظمت عليها المصائب والمحن شيئاً فشيئاً ، مما جعل من روح اللامبالاة والكسل شيئاً مألوفاً ، والتخوف من أي محاولة هروب من البيت ومغادرة المدينة إلى مكان أكثر اتساعاً والاختلاط بالناس والعالم ، لقد فقد الطائر الشجاعة لتعلم الطيران ومغادرة عشه القديم . هو خائف متردد ، اكتفى بالجلوس في البيت والتأمل . لقد كره هذا البيت ، وإذا ما أراد الانفصال عنه ، وجد أنه تنقصه القدرة والإرادة لتحقيق ذلك . عثّة الزمن قرضت روحه شيئاً فشيئاً ، ففقد القدرة على التعبير عن ألمه ، وجلس حبيس البيت . يدخل بينما هو لا يزال يزرّر أزرار سترته

ون تشينغ: (ظل ابتسامة على وجهه) هل خرجت فعلاً؟ لم
لم تطليبي منها البقاء قليلاً؟
صه يي: (غير مكرثة له) هذه الحمامة هديتها لك . (تعطيه
الحمامة وتخرج)

ون تشينغ: (يرفع قفص الحمامة) مسكينة، لقد حملتها
المرية من مكان بعيد (يتأمل الحمامة بإعجاب) آه، لها قبرة!
منقار قصير! (بإعجاب) هذه لا تعيش بمفردها، فكيف... (يرفع
رأسه فيبدو وجهه شاحباً بعض الشيء)

صه يي: ون تشينغ، لم أشعلت المصباح مرة أخرى؟

ون تشينغ: (يكفهر وجهه، يُنزل القفص ببطء)

صه يي: (تثرثر) لقد سألتني والدك أمس عما آلت إليه حالك
مؤخراً؟ فيما إذا أقلت عن الدخان أم لا. قلت له أنك أقلت
عنه منذ زمن (بصوت حاد) غريب! غريب! أخذت الدواء،
وأقلت عن الدخان، غريب أن تثير المتاعب قبيل سفرك؟

ون تشينغ: (يتنهد، يجلس) آه، لا تتدخلني بشؤوني،
دعيني أشعل الضوء لكي أرى.

صه يي: (بازدراء) من يتدخل بشؤونك؟ إننا نعيش معاً،
اهتم بكرامتي قليلاً، هل تريد حقاً أن تكون كما يقول
صهرك، لا تخرج من البيت ولا تعمل شيئاً، فقط تشرب
الشاي وتدخن، تلعب مع الحمام وترسم، أو تظل شارد
الذهن طوال عمرك؟

ون تشينغ: (بهدهوء) ما الذي تريدينه مني ، أَلَسْتُ راحلاً؟
صه يي: تريد أن ترحل ، ابق لي قليلاً من الكرامة ، لا
تتركني مرة ثانية في ظلام دامس

ون تشينغ: (بحزن) أليس هذا هو ما تريدينه مني ؟ ماذا تطلين
أيضاً؟ (يحدق إلى الأمام)

صه يي: (ببرودة) من فضلك لا تتظاهر بالمسكنة . أنا لست
شيطاناً! لا تجعل الآخرين يعتقدون أنني ظالمة ، وأني اضطهدك
طوال الوقت ، فأنا لا أقوى على حمل هذه السمعة . (تذهب
إلى أمام الصندوق)

ون تشينغ: (يحدق في الحمامة) اصمتي ، عند مساء اليوم
لن أكون هنا .

صه يي: (ترفع غطاء الصندوق ، تلتفت إلى تشينغ)
اسمع ، أنا لم أجبرك على عمل شيء ، لذا لا تحمل الآخرين
على الاعتقاد أنني من يطلب منك الرحيل . ما الذي يضايقك
ويجعلك تحمل الجميع على نعتي بالزوجة التي تضطر زوجها إلى
الرحيل ، أنت زوج فاضل ، أما أنا فامرأة غير فاضلة . (تثرثر بينما
تستخرج ملابس زوجها من داخل الصندوق) لقد أهنت بما فيه

الكفاية في هذا البيت ، آه لقد عانيت الأمرين عندما كنت كنة ،
وبعد أن أصبحت حماة ، من الكبير ومن الصغير ، وبين هؤلاء
وهؤلاء هذا السيد ...

ون تشينغ: (وقد سئم ، يرى من الأفضل تغيير الموضوع)
آه ، لقد تم تعليق لوحة البامبو .

صه يي: (تنظر بطرف عينيها) نعم تم تعليقها ...

ون تشينغ: (يذهب ويقف أمام اللوحة) مبطنة بشكل جيد .
صه يي: (بسخرية) أرى أنها مرسومة بشكل جيد! يا له
من أسلوب أنيق في الرسم والخط ، حقاً إنها فتاة موهوبة ،
موهوبة بالفطرة .

ون تشينغ: (بضيق) لا داعي لهذا الكلام لأنه سوف يسعد
الآنسة صو .

صه يي: (بازدراء) إيه ، غريب ، تبدو خائفاً . أتساءل ما
بكما أنتما الاثنان؟ ترسم الآنسة صو لوحة فتعجب بها كل هذا
الإعجاب ، فتنظّم لها الشعر ، وتكتب لها الخط ، ثم تُبطن لها
اللوحة بنفسك ، اسمع ، أنا لست غبية . إنني أؤيد الزواج من
امرأة شابة مائة بالمائة؛ رجل لا يسعى وراء المال والشراب ، إلاّ
يسعى إذن! لكن يوجد هكذا نوع من الرجال ، (بسخرية) فتاة
مثل الآنسة صو ...

ون تشينغ: (بقليل من الغضب) لا تتكلمي جزافاً هكذا على
فرد من أفراد الأسرة. إنها فتاة لم تتزوج بعد!
صه يي: غريب (بتبسم بدهاء) ومن تكون بالنسبة لها لتهتم
بها كل هذا الاهتمام .

ون تشينغ: (بود) ليس لها أم ولا أب وهي تعيش بيننا، ألا
ترأفين بحالها!

صه يي: (تزم شفيتها بدهاء) أنت تشفق عليها، ولكنها لا
تشفق عليك (توجه إليه) أنت لا تريد أن تعترف أنها لا تتكلم في
حقك كلمة واحدة، تبدو متسامحة، لكنها بلا مشاعر. (بثقة)
أنا أرى أن فتاة كهذه، (مثرثرة) هي فتاة تمتلئ خبثاً، كلما قل
الكلام، ازداد الدهاء. لماذا تقيم بينكم ولا تريد أن تتزوج؟ هي
ليست عرجاء ولا عمياء، وتستطيع الرسم، فلماذا ترتضي العنس
على غير العادة، تقتل نفسها في خدمة السيد العجوز؟ (ابتسامة
صفراء) لا أريد ظن السوء بها، وأترك ذلك لخيالك .

ون تشينغ: (ينظر إليها بمرود) لا خيال عندي .

صه يي: (منفجرة) لا خيال عندك، إذا فأنت غبي!

ون تشينغ: (يقطب حاجبيه بحزن) إيه، لا أريد أن أكون
ذكياً (يدخل إلى غرفة التريية مطأطئ الرأس، يقف أمام طاولة
الرسم، يبدو أنه يبحث عن شيء ما)

صه يي: (وقد شعرت بالرضا) أنا ذكية؟ حتى الذكي لا يقوى على العيش في بيتكم هذا لعشرين سنة. كان يجب أن أفعل ما تفعله العرائس، آكل في المطاعم، وأشاهد المسرح، وأتعامل مع هذه الأسرة ككنة كي لا يقطب سيد البيت حاجبيه كلما رأيته، كما لو كنت مُدانة لملك الجحيم. (تتباهى) إيه، امرأة ذات مال وجاه عصبية المزاج في الأربعين من عمرها وتخضع لطاعة حماها، تسهر على راحة كتتها هي الأخرى، وبين هذه وذاك تهتم بزوجها. (تحمل زبدية دواء الجنسغ) حسناً، حسناً، لقد برد الدواء، اشربه بسرعة.

ون تشينغ: (يقطب حاجبيه، لا يقوى على الإصغاء، فجأة، يستخرج من درج الطاولة لوحة مبطنة لمنظر جبال وأنهار، يحمّر وجهه) انظري، من فعل هذا؟ (تسقط من حافة اللوحة حشرة ذات أسنان كبيرة، وقد أحدثت فتحة كبيرة في وسط اللوحة)

صه يي: (تضع الزبدية) ماذا؟

ون تشينغ:

(ينفض اللوحة) انظري، انظري!

صه يي: (بشماتة ولا مبالاة) هذا ليس من فعل ربيتنا صوفانغ.

ون تشينغ: (يعود إلى الطاولة، يفتش في الدرج) هذا فأراً! هذا فأراً! (يقرب ولا يقوى على نفض اللوحة) لقد سبق وقلت، بيت قديم تملؤه الفئران، ويجب شراء سم لها، ولكنك رفضت. **صه يي:** لقد سبق واشترى سيد البيت سمّاً. (ساخرة) فئران اليوم تختلف عن فئران أيام زمان، إنها أكثر ذكاءً. يوضع لها السم فلا تأكله، وتأكل الأشياء التي تسبب الألم لصاحبها. **ون تشينغ:** (حزين) لقد أتلقت اللوحة.

صه يي: (بسخرية ودهاء) ثم ما الغريب في ذلك، اطلب من الأنسة صو أن ترسم لوحة أخرى؟ **ون تشينغ:** (لم يعد يحتمل، بصوت عال) أنت... (يحاول أن يفسر لها الأمر ثم يعدل عن ذلك لأنه لا جدوى من الحديث مع هذا النوع من الناس، يجلس مذهولاً، مُطأطئ الرأس) هذه اللوحة أنا الذي رسمتها.

صه يي: (مستغربة، لكنها تحافظ على لغتها الساخرة) غريب، أن تجتذب لوحة فأراً يقرضها، إنه لأمر مقلق! لقد اجتذبت أملاك الأسرة على مدى السنين الماضية فئراناً كثيرة أتلقت كل شيء، فبدوت كإنسان لا قضية لديه. **ون تشينغ:** (يزفر زفرة طويلة، يترك اللوحة على الأرض، يتسهم بمرارة) إيه، الطعام موجود فليأكل الجميع.

صه يبي: (غاضبة) الطعام موجود فليأكل الجميع؟ لقد ترك لك جدك أملاكاً كثيرة وأنت تتبجح هكذا. والدك مازال حياً، لذا فإن نصف هذه الأملاك لك، وعندما يموت سيد البيت ... [فجأة يُسمع صوت سباب وشتائم من الغرفة التي إلى اليسار، صوت متفطرس يسب ويشتم دون رادع من حياء، ذاك النوع من السباب السوقي الذي اعتادت عليه الجوّاري في غابر الزمان. الصوت: انقلعي! انقلعي! انقلعي! يا أولاد الحرام، يا كلاب.]

صه يبي: (إلى ون) اسمع. [الصوت: (يبدو أنه فتح نافذة على البهو الخلفي للبيت وراح يصرخ) تشانغ شون، تشانغ شون، لين ما! لين ما!]
ون تشينغ: (يمشي حتى باب الصلاة، ينادي) تشانغ شون، تشانغ ...

صه يبي: (منفجرة، تحرق بزوجها وهي مستفزة) لم تناديه؟ (بسبب هدوء ون، تخفض صوتها) دعه يناديه بنفسه، طوال يومه يضرب الدجاج ويشتم الكلاب. (تصر بألسنانها) آه، هو يودعك على طريقته!
[الصوت: (يلهث) تشانغ شون، إنه عيد الخريف، هل متم جميعاً، مُتم كلكم!]

صه يي: (بهذوء ، تبتسم بدهاء) اسمع!
[الصوت: (يعد الأحرف) تشانغ ... شون!]
ون تشينغ: (يتقدم وقد نفذ صبره) تشانغ ...
صه يي: (تمنعه ، يحزم) لا تنادي! لنرَ كم سيستبد
صهرنا بغضبه!

(صوت تكسير زبدية ، يليه بكاء امرأة) . (صمت)
ون تشينغ: (بصوت منخفض) لم تشفَ أختي من مرضها ،
وهاهي تبكي!

صه يي: (تبتسم بازدراء) لا بأس ، إنها تعرف أنه يستأسد
عليها . الطلاب الدارسون في الخارج كثيرون الثرثرة أيضاً!
[الصوت: (يلي كلام صه يي مباشرة) أولاد حرام! (صوت
تكسير بعض الفخاريات والخزفيات)

[الصوت: (يصرخ) هل مات كل سكان هذا البيت؟]
صه يي: (غاضبة ، تتقدم إلى الأمام) حقاً إنه لا يرى أحداً
أمامه! ألم نشتر أغراض بيتنا هذه بنقود أم لا؟
ون تشينغ: (يعترضها ناصحاً ، بصوت منخفض) صه يي ،
لا تتشاجري معه .

(يدخل تشانغ شون من باب صالة الضيوف مندفعاً)
تشانغ شون: (مذعوراً) هل زوج السيدة يناديني؟
ون تشينغ: ادخل إليه بسرعة!

(يدخل تشانغ مسرعاً الغرفة التي إلى اليسار)
صه يي: (غاضبة) «الطعام موجود فليأكل الجميع» (إلى ون)
قدم الطعام لهذا النوع من الذئب، هل يشكرك على ذلك؟
أي إنسان مدهش؟ يكسب المال بالاحتيال، يجب أن يُطلب
القبض عليه أينما وُجد، يختبئ في بيت حميه، ألا يهين هذا
كبريائه؟ (تشير إلى الباب) يجب أن يكسر شيئاً للذكرى بمناسبة
كل عيد. أنا لا أعرف ...

(زنغ تينغ - ابن ون تشينغ وصه يي - يدخل منفعلاً يتصبب
عرقاً من باب صالة الضيوف. هو في السابعة عشرة من عمره،
متزوج منذ أكثر من سنتين زوجته تكبره بسنة، عندما كانا
طفلين، كانت أسرتا جديهما متجاورتين، عقد الجدان بالنيابة
عن حفيديهما عقد الزواج، ومرت السنون والأيام وكبر
الحفيدان أمام ناظري جديهما، وقبل أن يدخل تينغ المدرسة
المتوسطة بستتين، كان الحفيدان يلعبان معاً كرة السلة بسعادة،

يتضاربان بكرات الثلج ، يتعاركان حتى يشج أحدهما رأس الآخر في بعض الأحيان ، وكانا ينتظران يوم سعد لتسوية أمور الزواج ، وذات يوم بين هرج ومرج ، اهتزت به الأرض من قرع الطبل والصنج والمفرقات النارية ، واجه الفتیان ابن الخامسة عشرة وابنة السادسة عشرة الوديعان حدثاً جليلاً ، وقد دُفع بهما أمام لهيب التنين الحارق وهما يؤديان: السجدة الأولى والثانية والثالثة ... عاش الاثنان بعدها سنتين وسبعة شهور في غرفة باردة . في الشهر الأول بعد زواجهما توفيت الجدة قبل أن يأتي ابن الحفيد ، وكان تينغ وزوجته مثل رفيقي درب ، يمر نصف شهر أحياناً لا يتبادلان جملة واحدة ، عاشا حياتهما على مضض ، حياة أشبه بحياة الحيوانات . كان عليه في كل يوم بعد عودته من المكتب أن يستظهر بعضاً من قصائد كتاب «مختارات تشاو مينغ»^(١) ، وأحياناً ينسج بعض القصائد . وعندما يعود إلى غرفة نومه بعد الثانية ليلاً ، يرى من خلال ضوء شاحب زوجته ما تزال جالسة ، ودون أن ينبس بكلمة يندس بهدوء في الفراش

(١) - ZHAO MING WEN XUAN : مختارات شعرية جمعها وألفها LIANG XIAO

TONG « ٥٠١ - ٥٣١ ») ولأنه ابن الإمبراطور ليانغ وو الأكبر أطلق عليه لقب

ولي العهد الوهاج لذا سميت المختارات باسمه . وهي أقدم مختارات شعرية من عصري تشن وهان لازالت حتى الآن .

وينام ، لقد كبر قبل أوانه ، إن الحياة القاسية التي عاشها جعلته
مهموماً طوال الوقت ، فتى صغيراً ، شارد الذهن دائماً ، يتخيل
بصمت الروايات التي سبق وقراها مثل «المقصورة الغريبة» و
«القصور الحمراء» . تلك الروايات التي لم تكن إلا عبارة عن
كذبة جميلة ، والواقع شيء آخر . بعد دخوله المدرسة المتوسطة
بسبعة شهور حدث اختلاف كبير في حياته ، حياة زملاء
المدرسة التي تشبه حياة الأحصنة البرية ، جعلته يستعيد حياته
المفعمة بالحياة ، ووجد أفراد الأسرة في ذلك شيئاً من التهور
الصياني . هذا التهور الذي طرأ فجأة ، لم يرض رب الأسرة ،
كما أثار دهشة واستنكار الأقرباء أيضاً ، ذلك لأنه ينبغي على
أولاد زنغ أن يتصفوا بالرجولة منذ ولادتهم ، وأن يجوبوا البلاد
طولاً وعرضاً ، لقد فتنته الحياة خارج البيت . بدأ يحب الرياح
والشمس والحيوانات والناس وهم يتسلقون الأشجار لقطف
العناب ، لا بل يذهب وحيداً إلى ضفة النهر ليطلق الطائرات
الورقية . خاصة بعد أن جاءت ابنة عالم الأجناس ، فقد اجتذبت
ليشاركها لعبها وشغبتها . لقد تبعها في جميع خطواتها . إن فتى
وراءه مثل هذه الفتاة ، هما أشبه بشعلة متوقدة ، كانت تلعب
معه ، ولا تكف عن الثرثرة وطرح الأسئلة التي يصعب الإجابة

عليها . شعر تينغ أن عالماً جديداً قد انفتح أمامه وبدأ قلبه يخفق فجأة مثل فتى في حبه الأول . الحقيقة أنها التجربة الأولى بالنسبة إليه . بدأ ينسى التقيد بالأنظمة شيئاً فشيئاً ، لدرجة أن ينسى نفسه أمام حيويتها ويشاركها القفز أحياناً ، وأحياناً أخرى ترغمه على منازلتها القتال مما يسبب له بعض الإرباك ، لقد نسي ببساطة أنه شاب في السابعة عشرة من عمره ، كما كان جده وأمه يقولان له إنه الرجل المكلف بالأسرة . وُلد رقيقاً وسيماً مثل أبيه . وجه شاحب ونحيف ، عينان سوداوان تبدوان صافيتين كبركتي ماء ، يلبس جلباباً طويلاً باهت اللون ، خُفاً من القماش ، سروالاً أبيض . قطرات من العرق ما بين حاجبيه

تينغ: (يلمح أمه فيقف) ماما!

ون تشينغ: هل عدت من المدرسة؟

تينغ: إي ، بابا .

صه يي: (متذمرة) تينغ ، تذكرْ ، لا تعمل مثل زوج عمك ، حتى لو متَّ من الجوع فلا تأكل طعام حميك . انظر إلى السيد يوان ، إنه يدفع إيجار الغرفة في نهاية كل شهر ، وإن أكل يدفع ثمن ما يأكل ، وهو مُحترم من الجميع . حقاً أنا لم أر مثل زوج عمك ، حجرة مرحاض صلبة وكريهة الرائحة!

[صوت فتاة من ناحية بهو البيت الأمامي: (بفرح) تينغ! تينغ!]

ون تشينغ: اسمع ، من يناديك؟

[صوت الفتاة: زنج تينغ! زنج تينغ!]

تينغ: (لم يجد بُدّاً من الإجابة أمام والديه) آ!

[صوت الفتاة: (ضاحكة) تينغ ، لقد انتهيت من خلع ملابسك]

هيا تعال!]

صه يي: (بلهجة قاسية) من هذه؟

تينغ: إنها ابنة السيد يوان .

صه يي: وماذا تريد منك؟

تينغ: (مُحرجاً) إنها ، إنها تريدني أن أرشها بالماء .

صه يي: (مندهشة) ماذا ، خلعت ملابسها كي ترشها

بالماء ، هذه الفتاة الصبية!

تينغ: (مفسراً) هي ، هي دائماً هكذا .

صه يي: (توبخه بسخرية) وأنت تلعب معها؟

تينغ: (مبرراً) هي ، هي طلبت .

صه يي: (بصرامة) لا تذهب! في عيد الخريف وتتراشقان

بالماء البارد ، مجنونان! أنا لا أحب هذه الطباع في عائلة السيد

يوان ، لا يحترمان القوانين ، فتاة حمقاء لا حياء فيها .

[صوت الفتاة: (بصوت عالٍ) زنج ... تينغ]

تينغ: (بصوت منخفض) إيه!

صه يي: (تمنعه) لا ترد عليها!

تينغ: (يهم كي يخبرها) ولكن اسمحي لي
أن (يخطو) ...

صه يي: (تمنعه) لا تذهب! أنت ما زلت صغيراً! عمرك
سبعة عشر سنة ومتزوج. كان جدك أصغر منك وكان يُعيل
أسرة! (فجأة) هل عادت زوجتك إلى البيت أم لا؟

تينغ: (يتألم لسماعه كلام أمه، بصوت منخفض) اتصلت
بها هاتفياً.

صه يي: وماذا قالت؟

تينغ: (خائفاً) لست أنا من تكلم معها، لقد طلبت من
عمتي صو أن تفعل ذلك.

صه يي: (غاضبة) ولمَ لم تكلمها أنت، طلبتُ منك أن
تكلمها، فلماذا لم تفعل؟

[صوت الفتاة: (في الوقت نفسه) زنج تينغ، أين اختبأت؟]

تينغ: (مرتبكاً، لا يعرف علي من يجيب) عمتي صو فانغ
كانت قد طلبت منها شراء بعض أخشاب الصندل.

[صوت الفتاة: (غاضبة) إن لم تجبني هذه المرة سوف أغضب.]
صه يي: (تلاحظ أن قلب ابنها مازال يخفق . وقبل أن يخطو
تينغ خطوة ، تبادره بغضب) لا تتحرك ، طلبت منها صوت فانغ
شراء الصندل ، ليكن . (بإصرار) لقد طلبت منك بالذات أن تكلم
زوجتك ، لماذا لم تفعل؟ إني أسألك لماذا لا تسمع كلامي؟ آه؟
تينغ: (يسترق النظر إلى أمه ، ثم يخفض رأسه)
ون تشينغ: (يتنهد) إنهما لا يتكلمان مع بعضهما ، وأنت
تطلبين منه ذلك ، فلم تجبرينه؟ إن الإكراه شيء بغض .
[صوت الفتاة: (تنادي بصوت عالٍ) زغ ... تينغ !]
صه يي: (فجأة ترد عليها) عليك اللعنة! (إلى ون) «الإكراه
شيء بغض» أنت من يحرضه على فعل ذلك ، إني أسألك ، من
تعود إلى بيت أهلها في مثل هذا اليوم ، قوانين أية أسرة هذه؟ ألا
تعلم أن ظروف أسرتنا الآن ليست كما يجب ، الخدم قلة ، وأنا
لن أدخل المطبخ لمساعدته في إعداد الطعام (بسخرية) إيه ، ليس
لدينا نقود نصرفها لاستقدام خدم جدد! (إلى تينغ ، متتهدة) قل
لها ، أينما تذهب يجب عليها أن تقول ، لقد تزوجت من أسرة
مثقفة ، ونحن في أسرتنا لا نهتم إلا بهذه القوانين البالية!

(تدخل الأنسة يوان يوان من باب الصالة راكضة، إنها
الابنة الوحيدة والمدلة لعالم نذر نفسه لدراسة «علم الأجناس»،
تحمل في يدها سطل ماء بارد، تلبس بنظاً صبياناً قصيراً،
تبدو ساقها قويتين وممتلئتين كساقى بقرة صغيرة، تتأمل المكان
بحوية. تبدو عليها ملامح الشقاوة وهي تقيم الدنيا ولا تقعد
طوال اليوم، ولا تهدأ البتة. تلعب عادة مع الصبيان، لدرجة
نسيت معها أنها أنثى. هي في السادسة عشرة من عمرها الآن،
ولكنها تبدو أحياناً أصغر من عمرها، وأحياناً أخرى أكبر من
عمرها. بناءً على نمو جسدها، لها امتلاء جسد فتاة في الثامنة
عشر، وبناءً على روحها، فهي متقلبة مثل سحابة صيفية ماطرة.
عندما تبكي لا تخلو عيناها من ابتسامة، وعندما تضحك تنهمر
دموعها على خديها من شدة الفرح، إنها أشبه بلعبة غريبة
الأطوار. لكنها طبيعية في كل أفعالها، واضحة وصريحة.
مع أنها شقية إلا أنها بعيدة كل البعد عما هو مُتصنع. ماتت
أمها وهي طفلة، وتكفل والدها بتربيتها. إن أسرتي عالم
الأجناس وزينغ، بما توارثاه عبر الأجيال، أسرتان مختلفتان.
بينما يكون الأب يبحث بكل انتباه في جمجمة لإنسان بكين
البداي، وقد تحولت غرفته الصغيرة في مخيلته لغاية تعود إلى
أربعمائة ألف سنة، تدخل ابنته تتأبط سهماً، عارية الرجلين،

حافية القدمين ، نصف عارية ، تغطي جسمها بجلد نمر ، وقد
تقمصت هيئة الإنسان القرد كما كان يصفه لها والدها . تثير
ضجيجاً ، مثل حيوان وحشي مخيف . ثم تقذف أباهاً أخيراً
بحجرة تكاد تصيبه في رأسه ، عندها يرفع الأب رأسه ويتسم
لها بسرور ، إن مثل هذه «الآداب الاجتماعية» لا يمكن الحديث
عنها بين الأسرتين . ذات يوم صيفي ماطر شاهدتها صه بي تقف
في بهو البيت وقد تبللت من المطر ، فأشفقت عليها وأسرعت
لتخبر أباهاً فإذا بالأب عاري الصدر ، يلف وسطه ببشكير ،
يخرج ضاحكاً ليلعب مع ابنته تحت المطر . منظر هذين الطائرين
الغريبين لم يعد يثير استغرابها . تلبس قميصاً بكم قصير ، حذاءً
مطاطياً ، وسروالاً قصيراً . شعرها قصير ووجهها مبلل) .

يوان يوان: (تشير إلى تينغ) مرحباً تينغ ، أنت هنا ، فعلت
فعلتك وهربت (ترفع السطل وتلحق به ضاحكة ، مما يربك تينغ
أمام أمه فلا يعرف ماذا يفعل) .

تينغ: (يصرخ) ماء! ماء! (يختبئ وراء أبيه) .

صه يي: (مندهشة) لا ترشقي الماء البارد (تعترض يوان)
أنسة يوان اسمحي لي بسؤال .

يوان يوان : (تلتفت مبتسمة) ماذا؟

صه يي: (تسأل سؤالاً غير محدد) أين والدك؟
يوان يوان: (تضع السطل من يدها ، بهدوء) إنه في الغرفة
يرسم «إنسان بكين» (فجأة تمسك بتينغ مثل قطعة أمسكت بفأر)
هربت؟ أرني الآن إلى أين ستهرب؟

تينغ: (يضحك بضيق) أنت ، لقد أمسكت بي .

يوان يوان: (بفرح) امش لنصف حسابنا .

صه يي: (ممتعة) آنسة يوان!

يوان يوان: هيا!

ون تشينغ: (ضاحكاً) يوان يوان ، هل تريد أن
أعطيك شيئاً؟

يوان يوان: (تذكر ، لا تريد أن تُفَلت تينغ) آه ، عماه ، أنت
مدين لي بطائرة ورقية ، هيا أعطني ما وعدتني به .

ون تشينغ: (مبتسماً) في الخريف لا تطير الطائرات الورقية .

يوان يوان: (بعناد) ولكنك وعدتني ، أريد أن أطلقها! أريد
أن أطلقها!

ون تشينغ: (بابتسامة خفيفة) لقد أحضرت لك أم أربع وأربعين .

يوان يوان: (تقفز) أين هي؟ (تمد يدها) هاتها! ،

ون تشينغ: (مضطرباً) لقد أكلها الفأر .

يوان يوان: (بمكر) أنت تخدعني .

ون تشينغ: وما العمل ، كان الفأر جائعاً ، استهوته أم أربع وأربعين فأكلها .

يوان يوان: (برهة صمت) انظر إلى نفسك! (تبرق عيناها مثل فانوس صغير)

ون تشينغ: (يواسيها) لا تبك ، مازالت هناك واحدة أخرى .

يوان يوان: (بريق فرح من خلال دموعها) إي ، لا أصدقك .

ون تشينغ: تينغ ، اذهب إلى غرفة المكتب (يشير إلى غرفة التريبة) وأحضر السمكة الذهبية الكبيرة التي هناك .

تينغ: (يقفز) سوف أحضرها .

صه يي: (تستوقفه) تينغ ، لم تقفز هكذا؟

(يكنم تينغ فرحته ، فيذهب باتزان رجل كبير إلى غرفة التريبة)

يوان يوان: (تلاحق به) تينغ! (تشده من يده) أسرع ، هيا (تشده

إلى داخل المكتب ، تلمح هناك بعض الطائرات الورقية الملونة

وقد غطاها الغبار فلا تستطيع أن تكتم فرحتها فتصرخ فرحة)

آه ، كم هي كبيرة! (تهم للإمساك بها)

تينغ: (يطفح وجهه بابتسامة عريضة ، بصوت مرتعش) لا تأخذها ، أنا من سيأخذها! (يمسك بالطائرة) .

يوان يوان: (متمسكة بها) اتركها ، هي لي!

تينغ: تمهلي وإلا مزقتها .

يوان يوان: (تصرخ) هي لي ! إنها لي ! صنعها والدك لي .

(يمسك كل منهما بطرف الطائرة الذهبية) .

صه يي: (في الوقت نفسه) تينغ !

تينغ: (لاهاثاً) لا ، لا ! (يحدق بها ، يمسك كل منهما بالطائرة

بفرح . عشرة أصابع شاحبة وشفافة تمسك بعيدان الطائرة ، يهز يدي يوان حتى تكاد تفلت منها الطائرة) .

يوان يوان: (لا تتوقف عن الصياح) هي لي ، هي لي !

تينغ: (يصرخ فجأة ، ثم يتخلى عن الطائرة ، وينظر إلى

الدم الذي بدا يسيل من إصبعه) .

يوان يوان: (مستغربة) ما بك ؟

صه يي: (بلوم) انظري ! (تمشي إلى أمام ابنها وتلومه) انظر

لقد جُرحت .

ون تشينغ: (ينظر إلى تينغ) جُرحت ؟

تينغ: (تمسك إصبعه) إي .

يوان يوان: (باهتمام) هل تتألم؟

تينغ: (قلقلًا قليلاً) .

صه يي: (تمسك بتينغ) أسرع ، وضع دواءً عليه .

يوان يوان: (تمسك يده) لا داعي! (تمص أصبعه) .

تينغ: (مندهشاً) آه! (يشعر بالسعادة لأن يده لامست

وجهها ، يدفع يده بأمه بخجل) ما ، لا داعي للدواء ، ما ...

يوان يوان: (تمسح بلعابها إصبع تينغ) هل ما زالت تؤلمك؟

تينغ: (بصوت منخفض) زال الألم .

يوان يوان: (تشير إلى الإصبع المجروح ، تبدو كأنها توجه

الكلام إليه) إي ، إن تألمت مرة ثانية سوف أحضر فأساً وأترك .

ون تشينغ: (ضاحكاً) متوحشة!

يوان يوان: (تحمل فجأة السطل وتهتم برش تينغ بالماء)

تينغ + صه: (معاً) آآآ!

يوان يوان: (تبتسم لتينغ) عفوت عنك ، لن أرشك بسطل

الماء هذا . (تمسك بيد تينغ) هيا بنا نطلق الطائرة الورقية . (يأخذ

تينغ الطائرة) إلى اللقاء ماما زنج .

(تقفز يوان للإمساك بتينغ ، ينسكب سطل الماء على الأرض)

صه يي: تينغ!

ون تشينغ: (بلطف) دعيه يذهب!

صه يي: لا تتدخل أنت! (إلى الخارج) تينغ!

(يعود تينغ ، تتبعه يوان يوان الشقية)

تينغ: (ينظر إلى أمه)

صه يي: (تحمل زبدية الدواء) اشرب نقيع الجنسغ هذا ،
فوالدك لم يشربه .

يوان يوان: (بغبطة) نقيع الجنسغ!

تينغ: لا أريد أن أشربه!

صه يي: (بقوة) اشربه!

تينغ: (يأخذ الزبدية ويغب منها قليلاً ثم يبصق ما غبّه) حقاً ،
إنه كريه .

صه يي: كلام فارغ! (تذوقه بنفسها ، فتجد أن مذاقه
فاسداً ، تضعه) إيه!

(في هذه الأثناء تسحب يوان تينغ من يده ، ثم تدفعه بهدوء
إلى الخارج . يخرج تينغ بينما تتأخر يوان عنه بخطوة ...)

صه يي: (فجأة) آنسة يوان!

يوان يوان: (مندهشة) آ! (تلتفت)

صه يي: تعالي!

يوان يوان: (تقترب) ماذا هناك؟

صه يي: (بابتسامة عريضة) أسرتنا تدعوك وأبيك اليوم
لمشاركتنا الاحتفال بالعيد ، فهلا أخبرت والدك بذلك؟

يوان يوان: (بازدراء) تدعوننا لتناول الغداء؟

صه يي: (متملقة على غير العادة) إي ، دعوة خاصة لفتاة
جميلة مثلك يا آنسة يوان .

يوان يوان: (بطيش) كلام فارغ! أنتم تدعون أبي كي يلتقي
بالآنسة صو أنا أعرف هذا .

صه يي: من قال ذلك؟

يوان يوان: (بثقة) السيد جيانغ قال لي ذلك .

صه يي: (بلطف) ألا ترغبين بالحصول على أم جديدة؟

يوان يوان: لا أم لي ، كما أنني لا أريد .

صه يي: (تنصحها) شيء عظيم أن يكون لك أم ، ألا
ترغبين أن تكون الآنسة صو فانغ التي تحبينها أم لك؟

يوان يوان: (بشقاوة) أنا؟

(صوت تينغ من بهو البيت الأمامي: يوان، أسرع، الريح تهب)

يوان يوان: (فجأة تعطي صه بي ورقة ملفوفة) خذي!

صه يي: (باستغراب) ما هذا؟

يوان يوان: إيجار البيت بعثه لك أبي! (تخرج يوان راكضة)

صه يي: (بازدراء) حقاً ليس لهذه الفتاة أسرة تربيها!

ون تشينغ: (بقلق) ما اللعبة التي تعدين لها أنت وجيانغ،

ماذا تدبران للآنسة صوفانغ؟

صه يي: (تشيح بعينها) ماذا ندبر؟ الفتاة يجب أن تتزوج،

لا ينبغي أن تظل ترعى السيد العجوز طوال عمرها بلا زواج.

ون تشينغ: هي لم تتكلم، كيف عرفت ما أنها تريد الزواج؟

صه يي: (تزم فمها) بالنظر ما شافوه، بالعقل ما عرفوه! في

حياتي السابقة لم أفعل خيراً، وفي حياتي الراهنة أريد أن أقوم

بعمل فاضل ولا أريد لها أن تُدفن حية.

ون تشينغ: الزواج شيء جيد، ولكن أن تُعطي للسيد يوان

الذي يدفن رأسه كل اليوم ويبحث في جمجمة إنسان ميت ...

صه يي: لتتزوج أياً كان فماذا تريد؟ لم أنت مهتم بذلك؟

أهل بكين - ٦٢

(بخبث) هل تريد ان تصحبها إلى بيت زوجها، تعد لها طوال
اليوم المحابر والورق، وترتب السرير، وترعاها في المساء؟
ون تشينغ: (ساخطاً) هل أنت إنسان، لم تغتايينها هكذا؟
صه يي: (بخبث) هراء! أنا أسأل إن كنت أنت إنساناً حتى
تنحاز لها بهذا الشكل!

ون تشينغ: إنها فتاة كبيرة، تعيش معنا، وقد خدمت أبي
سنوات طويلة ...

صه يي: (بشكل قاطع) أنا أكره الفتاة التي تموت من أجل
أن تظل تعيش بينما ترسم وتكتب طوال اليوم، تلازم السيد
العجوز، وتظاهر بالذكاء.

ون تشينغ: آه، سوف أرحل. لو وافق أبي، أنتم ...

صه يي: يجب أن يوافق، مادام لا يوجد نقود ويؤجر صالة
الضيوف لغريب، فعليه أيضاً ألا يعيل قريباً عاطلاً عن العمل،
ثم إن ... (تنظر إليه بطرف عينها، بسخرية) هي نفسها تريد
الزواج، وأنت لا تريد لها ذلك ...

ون تشينغ: (يتمالك نفسه، بنزق) من قال إنني لا أريدها أن
تتزوج؟ من قال إنني لا أريدها أن تتزوج؟ من قال إنني لا أريدها
أن تتزوج؟

صه يبي: (تلمح صو فانغ وهي داخله من باب غرفة التريبة الصغير، كما لو أن قطه رأت فأراً، تضحك بمكر) لا تتشاجر معي يا سيدي، فالآنسة صو قادمة!

(إن اسم صو فانغ غير كاف لوصف هذه السيدة الهزيلة القادمة. إنها في الثلاثين من عمرها، وُلدت في أسرة عريقة جنوب نهر تشانغ جيانغ، كان أبوها شخصية ذائعة الصيت. بعد وفاة الأب تدهورت أحوال الأسرة؛ وبعد وفاة الأم، انتقلت إلى أسرة خالتها بناء على وصية الأم، لتعيش في أسرة زنج في بكين، لم تعد بعدها إلى مسقط رأسها. أيام كانت السيدة زنج على قيد الحياة، كانت صو ابنتها المدللة؛ بعد وفاة السيدة، تحولت صو إلى خدمة السيد زنج. أينما يذهب السيد تذهب. كبرت وترعرعت أمام ناظره، وكانت عزاءه الوحيد، إلا أن مستقبل صو كان غامضاً أشبه بسحابة في أفق بعيد، تمر سنوات عمرها ولا أحد يفكر بشكل جدي بمستقبلها.

الانطباع الأول الذي تعطيه للمشاهد هو «الهدوء والحزن». شحوب وجوها أشبه بمياه خريف صافية، يمكن رؤية أحجار ونباتات القاع فيه، وأما قلبها فهو كنز ثمين دفن. إن ما تضرره من غنى داخلي لا مجال له أن يطفو ليزيدها جمالاً. كثيراً ما

تأمل السماء بهدوء ، فيعجز الشعر والرسم عن الوصف . إنها تشبه هالة غامضة من الضباب محبوسة طوال اليوم ، لا أحد يستطيع أن يتكهن درجة حزنها وألمها . هي صامتة في معظم الأوقات . إن سنوات العزلة التي عاشتها في بيت خالتها حولتها إلى إنسان صبور بشكل مدهش ، كانت تضع رأسها في الأرض وهي تسمع أبشع الكلمات . تتحدث ، أحياناً دون أن تدري ، بعاطفة خجلة عما له علاقة بأشعار ورسوم ون تشينغ . إنها تعرف هذا الرجل المتوسط العمر والمنغمس في الحياة طوال اليوم حق المعرفة . وهي تشفق عليه إشفاقاً على نفسها . إنها لطيفة وكريمة وهي كثيراً ما تنسى سعادتها وصحتها لتواسي أمثالها من التعتساء .

إلا أنها ليست ضعيفة ، وقوتها تظهر في صبرها وقدرتها على التحمل . لباسها بسيط ، فستان تشياو أزرق غامق مرقش بنقاط رمادية فاتحة عريض مناسب لقوامها . نحيفة قليلاً ، وجهها دائري ، عيناها واسعتان . نظرة خاطفة إليها توحي بأنها إنسان مؤثر ومثير للشفقة ، تجاوزت الثلاثين من عمرها ومازالت تحتفظ بجمال وجاذبية أيامها الخوالي ، كلامها عذب ومؤثر ، ابتسامتها لطيفة وهي تصغي إلى حديث الآخرين في أغلب الأحيان

صه يي: (توجه إلى صو فانغ بابتسامة عريضة) انظري يا

أختي ، كم يقسو علي ! على وشك الرحيل ويصب جام غضبه علي . (مرة أخرى تعيد أكذوبتها) لمن لا يعرف ، فإن ملامح الشراسة هذه ، لم أكن لأعرفها في بيت أهلي ! أعرف أن الجميع يراني قاسية ، لكن قسوتي بسبب مزاجه (تشير إلى ون) ، ومزاج السيد العجوز ، ومزاج أخته وزوجها ، (تبدو بمظهر المظلوم) وحتى مزاج زوجة ابني ! (بلطف) حقاً ، ليس في هذه الأسرة إلا أختي صو ، إنها طيبة ومتسامحة تهتم بي ، تراعي ...

صو فانغ: (تسمع هذا السيل من الحديث الذي يشبه المديح ، تبتسم بهدوء).

ون تشينغ: (وقد نفذ صبره ، يادر بالكلام) هل استيقظ أبي؟

(تتوقف صه بي عن الكلام . يعم الهدوء الغرفة)

صو فانغ: (مطمئنة) لقد استيقظ باكراً . (تري اللوحة التالفة على الأرض فتحنني لتلتقطها) أليست هذه هي اللوحة التي رسمها ابن خالتي؟

صه يي: (تثرثر مرة ثانية) نعم ، إنه يتشاجر معي منذ الصباح ، لأن فأراً قرض اللوحة .

صو فانغ: (مبادرة) لا داعي للغضب ، سوف آخذها وأرميها لابن خالتي .

ون تشينغ: (يتسم بلطف) لا عليك ، إنها لا تستحق .

صه يي: (إلى ون بينما لاح على وجهها ظل ابتسامة) لا ،
دع الأخت صو أن ترممها . (إلى صو فانغ) أنتما تغنيان المال
نفسه ، اترك لك تذكراً قبل الرحيل .

صو فانغ: (بعد أن سمعت كلام صه يي ، احتارت بين أن
تضع اللوحة أو أن تأخذها ، مترددة) إذاً ، أنا ...

ون تشينغ: (يتدخل لإنقاذها من الموقف) من المؤسف أن
نشغلك في إصلاحها مرة أخرى .

صه يي: (تُدور عينيها) إنه لمؤسف حقاً . (تتنهد) كم أتمنى
أن يكون لي يدا صو الماهرتان ، في الخياطة ، والرسم والكتابة .
اسمعا هذه الطرفة (تضحك بشكل غير طبيعي) يخطر على بالي
أحياناً أن آخذ سكين الخضار ، (تبتسم وتبرق عيناها بشكل
رهيب) وأقطع يديك الماهرتين (بخبث) وأضعهما لي .

صو فانغ: (مدعورة) آه! (تسحب يديها بخوف) .

ون تشينغ: ما المضحك في ذلك؟

صه يي: (تضحك مزهوة) إنني إنسان مهمل ، أقول ولا
أفعل . (تمسك بيدي صو وتمسحهما بلطف) أختي صو فانغ ،
لا تهتمي ، إن قلبي على لساني ، أحاول فلا أستطيع أن أبدو

بمظهر المتشدد بالكلام . كثيراً ما أقول لـون(بازدراء) لو كنت رجلاً ، لما كنت على هذه الهيئة(بود) أليس كذلك يا أخت صو فانغ؟ تكلمي ...

(بينما صو فانغ قلقة ، لا تعرف كيف تجيب ، تدخل روي تشن _ كنة صه بي _ من باب الصلاة حاملة حزمة من خشب الصندل والبخور . روي تشن في الثامنة عشرة ، لكن التجاعيد التي في وجهها تجعل من الصعب على المرء التصديق بأنها دون العشرين من عمرها . إنها تعيش حياة كبت وقهر . تعيش نوعاً من الحياة القلبية المتحمسة . مع أنها من أصل مقاوم إلا أنه لا يبدو لمقاومتها أثر أمام الآخرين . نظراتها حزينة ، ناقمة ، غير راضية . طرفاً فمها مشدودان قليلاً ، ليست بالمرأة الحسنة ، ترفض وضع الأصباغ على وجهها ، ترفض ارتداء الملابس الزاهية ، مع أن حماتها تطلب منها فعل ذلك ، لكنها تتحمل شتائم حماتها على أن تستجيب لطلباتها . عندما تسبها حماتها دون سبب ، تكتفي بالنظر دون مبالاة ، ليس خوفاً ، إنما تتجاهل ذلك عمداً . لقد اتخذت قراراً ألا تبكي أمام الذين تكرههم ، لا تريد أن تبدي ضعفها ، على الرغم من معاناتها . عندما تجلس وحيدة في غرفتها ، تتأمل في أيامها وسنواتها البطيئة

القادمة ، تفقد أي رغبة في الحياة ، وتحاول الانتحار ، ثم يدفعها غضبها للتفكير: يجب على فتاة مثلها أن تغادر البيت وتبحث عن حياتها الخاصة . لكنها مازالت في السادسة عشرة - ويبدو أن عشرات السنين تفصل بينها وبين تحقيق أحلامها - شكلت لها ستا الدراسة في المدرسة المتوسطة الاستعداد الفكري للتححرر من القيود . في حياتها داخل هذا البيت ، بدت كما لو أنها أرغمت على الخروج من ليل براءتها القصير ، لتتحول فجأة إلى امرأة قلقة بما فيه الكفاية . لقد امتلأت حياتها حزناً وشقاءً مما جعل أصدقاء الأمس يُدهشون كيف تحولت حال فتاة صغيرة مثلها بهذه السرعة . زوجها الصغير لا يكلمها . وهي تأتي أن تملق حماتها كي تنال رضاها . لقد أجبرت على الزواج من حفيد أسرة زنع مسايرة للشكليات المقيتة . إنها تعرف أن حياتها على هذا النحو وفي مثل هذه الظروف لا يمكن لها أن تستمر . في أجواء الأسرة المكفهرة ، لا صديق لها سوى صو فانغ . أحياناً تبكي أمام صو المتعاطفة معها ، وتبوح لها بأحزانها وهمومها . ولكنها وصو من جيلين مختلفين . إنها لا ترى لأحلامها مستقبلاً في هذا المكان الضيق ، بينما أفكار ومشاعر صو لا تتجاوز حدود أسرة زنع . هي قارئة جيدة . ذلك لأن عالم

الكتاب يجعلها تفهم عالمها الراهن ، يمنحها ويساعدها في معرفة الصديق الصدوق . لقد روت هذا الجانب من حياتها إلى صو ، أما أفراد أسرة زنج الآخرين فإنهم لا يعرفون شيئاً عن ذلك . وجهها هذه الأيام يبدو متعباً ، ذلك لأن جسمها يمر بنوع من التحول وقلبها يجيش بصراع مخيف . هي لم تنم بشكل مريح ذلك لأن مستقبل حياة كائن صغير جعلها تشعر بالغباء فكيف تفسر عدم سعادتها في هذا البيت ، فهي لم تفهم لم تزوجت من شاب صغير ، ولم ستمنحه طفلاً . من أجل هذا الذي يعجز عن حل مشكلة ، كثيراً ما تخرج وتجهد تفكيرها ليلاً أو نهاراً في سعيها إلى الحل المناسب . تدخل مترددة قليلاً . ترتدي الملابس الباهتة التي تعرف أن حماتها لا تحبها .

روي تشن: ما ، بابا!

صه يي: (بسخرية) لقد اتصلنا هاتفياً نطلب منك العودة إلى البيت . كنت أتحدث مع صوفانغ ، وفكرنا أن نبعث لك سيارة .
روي تشن: أنا ، كنت متعبة قليلاً .

صه يي: (بمكر غريب تضحك بصوت عال) ما دام هذا البيت ليس بيتك فلن أستطيع العناية بك يا صغيرتي؟
صوفانغ: (بالنيابة عن روي) إنها متعبة قليلاً يا سيدتي .

صه يي: وكيف حالك الآن؟

روي تشن: (بصوت منخفض) أحسن .

صه يي: (تنتظر بدهاء) تفضلي ، أنت تخيفيني! اذهبي
وقدمي التحية لاسيادك .

روي تشن: حاضر . (تمشي باتجاه غرفة التربية)

صه يي: (بابتسامة عريضة إلى صوفانغ) أنا متسامحة معها ،
لا أستطيع أن ألعب دور الحماة ، انظري (تلتفت فجأة إلى روي)
إي ، روي تشن ، كيف تغادرين دون أن تسلمي على عمك .
روي تشن: لقد سلمت عليه .

صه يي: (مرتابة ، تلتفت متجهمة إلى ون) هل سمعت؟ (لا
تنتظر الإجابة من ون ، تلتفت إلى روي) أنا لم أسمع .

روي تشن: (تنظر إليها نظرة باردة ، تلتفت إلى ون) بابا!

ون تشينغ: (وقد نفذ صبره) مع السلامة ، مع السلامة!

صه يي: (إلى روي) وصوفانغ؟

روي تشن: (بشكل آلي) خالتي صو .

صه يي: (مرة أخرى إلى صوفانغ وابتسامة دهاء على عرض
وجهها) انظري ، إن كنتنا الصغيرة هذه لا تفهم التقاليد . (إلى

روي ، بمظهر الحنون) أنت لم تشكري خالتك صو ، إنها
تحبك ، وهي التي اتصلت بك منذ قليل .

روي تشن: شكراً خالتي صو .

صه يي: هل تعرفين أن تينغ عاد من المدرسة؟

روي تشن: أعرف .

صه يي: وهل رأيته يطلق الطائرة الورقية مع الآنسة يوان؟

روي تشن: (بصوت منخفض) رأيته .

صه يي: (تحدث إلى صو وتشير إلى روي) انظري ، هل
هناك غبي بهذا الشكل؟ تعرف ، رأيته . (تلتفت فجأة إلى روي)
لَمْ لَمْ تعودى بسرعة وتحافظى عليه؟ (تدعي الذكاء والحيلة) لا
تَظَاهري بالغباء إنه رجلك ، زوجك ، سندك طوال العمر .

ون تشينغ: (بوحشة) ليلعب الأولاد معاً ، لقد أحدثتِ جلبة
لا داعي لها!

صه يي: (متعمدة) من الذي أحدث جلبة ، أنت متحيز لها
وتتحدث بالنيابة عنها . (ترنو إلى صوفانغ) ذلك النوع من النساء ،
بمجرد نظرة تعرفين أنها قادرة على إغواء الرجال والإيقاع بهم .
روي ، هيا أعدي المائدة ، واطلبي من تينغ أن يلبس ثيابه ويقدم
الولاء لأجداده ، ويقلل من التسكع مع تلك الفتاة المجنونة .

(تحمّل روي تشن حزمة خشب الصندل وعيدان البخور)
صه يي: انتظري ، من طلب منك شراء خشب الصندل؟
روي تشن: (لا تجيب)

صو فانغ: (بصوت منخفض) يا زوجة أخي —
صه يي: (تتظاهر بعدم السمع ، إلى روي) هل أصبحت غنية؟ من الذي طلب منك شراء هذه الكومة من الأشياء عديمة الفائدة؟ اللعنة على من يحشر نفسه فيما لا يعنيه .
صو فانغ: (برباطة جأش) أنا ، يا زوجة أخي .

(صمت)

(تخرج روي تشن من باب غرفة التريبة)
صه يي: (تكسر حالة الصمت) إيه ، حقاً ، أنت ترينني هكذا ، ولكن قلبي على لساني ، أتكلم ولا أضمر شيئاً .
متهورة مثل تشانغ في^(١) ، لكن قلبي لا يضمر سوءاً . (تتظاهر بالأسف) آه ، كان علي أن أعرف أن صو من أمرت بذلك —
صو فانغ: (بهدهوء) زوج خالتي طلب شراءها ليستخدمها عند قراءته للكتاب المقدس مساءً .
ون تشينغ: أبي طلب شراءها منذ أيام .

(١) ZHANG FEI أحد شخصيات أوبرا بكين .

صه يي: (بعواطف متدفقة) إن لسيد البيت مزاجاً غريباً، يصعب خدمته، يأمرني باكراً بعدم شرائها، ثم يطلب شراءها بعد ذلك؟ (بحرارة) آه، يا أختي صوفانغ، أنت لا تعرفين كم يحبك ون تشينغ. لولا وجودك بيننا، لا أعرف مقدار الحرج الذي ستسببه لي زوجة ابني أمام سيد البيت. (باهتمام كبير، بصوت منخفض) ألم يكن السيد على ما يرام ليلة البارحة؟
صوفانغ: (تهز رأسها بهدوء) إي.

صه يي: (إلى ون، بزهو) أرأيت! (إلى صو) لقد سمعته يسعل في غرفته فقلت لـ ون: «مسكين، إن السيد يتنفس بصعوبة!» (بأسى) بعد أن سمعته لم أستطع النوم، هزرت ون وقلت له: «اسمع، انتصف الليل، وصو ما تزال تسهر على خدمة والدك. حقاً».

ون تشينغ: مم يشكو والدي هذه المرة؟

صوفانغ: (بوهن) وجع في قدميه، ويحتاج إلى من يدلّكهما له. قال إنه يشعر بانقباض في صدره.

صه يي: (بسرعة) ذاك بالتأكيد

ون تشينغ: (بصدق) وهو من يطلب منك تدليكهما حتى وقت متأخر من الليل؟

صو فانغ: (بتبسم بأسى) أدلكهما له ، لينام قليلاً .
صه يي: (مندهشة) آه ، لا عجب أن استيقظت باكراً
ورأيتُ صو فانغ مازالت كذلك له قدميه .

ون تشينغ: (بتعاطف) وإذا ، لم تنامي حتى الآن ؟
صه يي: (بصوت ملتو) كيف يمكن ألا تنامي طوال
الليل! (تظاهر بالشفقة) آه ، لم لم تنادينني لأنوب عنك . هيا ،
عودي إلى غرفتك ونامي قليلاً . (تدفع صو) سوف تتدهور
صحتك ، ولن تتحملي السهر . (مهمة) آه ، ماذا أقول . هيا ،
أختي الطيبة ، نامي قليلاً وإلا ستمرضين ، أنا قلقة عليك .

صو فانغ: (متأسفة) لا داعي ، لن أستطيع النوم .
صه يي: ون تشينغ ، انظر حقاً لا يوجد من هو أكثر براً
من صو فانغ . إنني أحب صو لطبعها هذا ، (تمتدح صو فانغ)
لا تتكلم ، تهتم بالآخرين ، مخلصه ، لطيفة ، لا تنبس بينت
شفة . (تلفت إلى ون) ون ، لو كنتُ رجلاً ، لتزوجت بفتاة
مثل صو فانغ ، ولكنك سعيداً طوال عمري .

ون تشينغ: صو فانغ ، ألا تقدمين لأبي شراب الجنسنغ ؟
صو فانغ: إي ، صحيح .

صه يي: قولي هذا من الأول ، لقد أعددتَه منذ الصباح الباكر (تحمّل زبدية الدواء)

ون تشينغ: ألم يقل تينغ منذ قليل أن هذا الدواء —

صه يي: لا تصغ لكلامه الفارغ. سوف أذهب لتسخينه! (تضحك) قيل «الكنة القبيحة تهتم بحميها أيضاً!» قبيحة وبشعة ، ما باليد حيلة. (تمشي خطوتين ثم تلتفت) صحيح ، زبدية الخضار تلك التي في المطبخ أَلَسَتْ أَنْتِ التي أعددتها للسيد ون زادا للطريق؟

صو فانغ: آه — إي — !

صه يي: (ساخرة) يا لسعادتك يا ون تشينغ ، إن صو فانغ مهتمة بك! تسهر الليل بطوله قبيل رحيلك لكي تُعد لك طعام السفر وأنت لم تشكرها على ذلك بعد؟

(تخرج صه يي ضاحكة. هدوء ، يُسمع صوت الحمام المحلق في السماء بشكل مريح)

ون تشينغ: (يشعر بتأنيب الضمير ، تمتلئ عيناه بالدموع ، بصوت منخفض) صو فانغ أنا ، أنا —

صو فانغ: (تخفض رأسها ولا تتكلم)

ون تشينغ: (ينظر إليها وقد خفضت رأسها، يتلعثم) لقد جاءت المرية، جاءت لرؤيتنا.

صوفانغ: (لم تعد تحتمل أحزانها) هي، هي في البهو.

(تعود صه بي فجأة من باب غرفة الترية وهي مشغولة بنفسها)
صه يي: (تمد يدها ضاحكة) ون، مريبتك تريدك في الخارج. اذهب إليها بسرعة، ألا يكفي ما تكلمته مع صوفانغ؟
هيا بسرعة!

تنظر صوفانغ إلى ون الذي يلحق بصه بي دون أن ينبس بكلمة. صوت الحمام مستوحشاً في السماء؛ وصوت عجلات عربة الماء على الطريق الحجرية رتيباً. رنين جرس عراف أعمى يأتي من مكان بعيد. صوت بائع جوال ينادي «عصير القراصيا...» . [

صوفانغ: (شاردة، تجلس وحيدة على كرسي قريب)

(نسمة خفيفة تهز اللوحات المعلقة على الجدار)

[**صوت يوان في الخارج:** (تطلق الطائرة الورقية وتهتف)
طيري، طيري، علي!

تدخل المرية ومعها تشو الصغير. عينا تشو معلقتان بالطائرة الورقية، وقد لوّحت الشمس وجهه. [

المربية: آنسة صو!

تشو الصغير: (لا يتوقف عن الهاتف) جدتي، السمكة الذهبية تخلق في السماء، السمكة الذهبية تخلق في السماء! (يشير إلى الفضاء الخارجي ويهتف) آه، السمكة الذهبية تهوي مرة أخرى من السماء. السمكة الذهبية —

المربية: (ترى صو وحيدة تبكي، إلى حفيدها بصوت واطئ) لا تصرخ واخرج من هنا.

(يخرج تشو مسرعاً. تقترب المربية من صو)

المربية: (بحب) آنسة صو، ما بك؟

صو فانغ: (تخفض رأسها) أنا، أنا — (تبلع ريقها)

(صمت)

المربية: (تتنهد، تربت على كتفها بلطف) لا تبك يا آنسة صو، لقد غبتُ سنوات وعدتُ وأنت ما تزالين تبكين؟

صو فانغ: (ترفع رأسها) حقاً إني أريد أن أبكي بكاء مريراً، سيدتي، حياة كحياتي هذه لا معنى لها! (تتكئ على الطاولة باكية)

المربية: (تخفض رأسها وتمسح دموعها) لا تبك يا صغيرتي، لقد نصحتك أكثر من مرة، (بألم) تزوجي، الزواج ستر.

أهل بكين - ٧م

بالزواج تملكين حياتك . (بينما تمسح دموعها تحاول أن تبتسم)
عدم المؤاخذه ، كيف لامرأة في مثل سنك أن تقضي عمرها
في بيت زوج خالتها . (تعود صو للبكاء مرة أخرى) لا بأس ،
تزوجي يا ابنتي ، هذا البيت ليس بيتك ! (تجهش صو بالبكاء ،
بهمس) لقد تحدثت منذ قليل مع السيد يوان ، إنه —

صو فانغ: (تمالك نفسها) لا ، لا داعي لمثل هذا الكلام .

المربية: (بحنان) حقاً ، أستمنا متفقان الطالع ؟

صو فانغ: (تحاول أن تنهي الحديث بتوسل) سيدتي .

المربية: (تهز رأسها) إن ربة هذا البيت امرأة قاسية . إني
أرى مقدار المعاناة التي تسببها لزوجها ، عندما أفكر في هذا ،
يعتصر الألم قلبي . (بأسى) آه ، لا أحد راض في هذه الحياة ،
انظري ، أنت والسيد ون ثنائيان —

(تدخل روي من باب غرفة الترية)

روي تشن: آنسة صو ، السيد يطلبك .

صو فانغ: إي ! (تنهض وتمسح دموعها ، تتجه للخروج من

غرفة الترية)

روي تشن: السيد في غرفته ! (تلتفت صو للخروج من باب
الصالة ، تلمح روي الدموع في عيني صو ، تلحق بها وبصوت
منخفض) عمتي صو ، أنت —

[تتقدم صو مطأطئة الرأس .

السيدة صه بي تنادي في بهو البيت —

صوت صه يي: روي تشن!]

روي تشن: (تقف) نعم!

[صوت صه يي: (بحدة) روي تشن ، إلى أين ذهبت مرة

أخرى؟]

روي تشن: أنا هنا! (تلحق بصو)

صو فانغ: (تقف عند باب الصلاة) هيا اذهبي!

روي تشن: لا . (تمشي صو ، تتبعها روي؛ تخرج صو أولاً .

تدخل صه بي من باب غرفة الترية)

صه يي: روي تشن ، أنت — (تري المرية) آ ، المرية

تشن (تبتسم وتشير إلى البهو) تفضلي ، السيد تشينغ يبحث
عنا في بهو البيت .

المربية: (بفرحة لا تقاوم) السيد تشينغ . أين هو؟

صه يي: في البهو .

(تخرج المرية من باب غرفة الترية فرحة . تقترب روي من

باب الصلاة)

روي تشن: ما .

صه يي: (تنظر إليها بخبث) أنت صماء! (تلفت في كل اتجاه) بحثت عنك في كل مكان .
روي تشن: أنا ، أنا ، ———

صه يي: (تصرخ) انصرفي! (تهم روي بالخروج ، تكز على أسنانها) تبدين كالشبح (تضرب الأرض بقدمها) كيف لم تموتي بعد!
(تخرج روي من باب غرفة التربة بهدوء)

صه يي: (تجه إلى باب الصالة منادية) تينغ ، تينغ!
(يدخل تينغ من باب الصالة)
تينغ: (يتصب عرقاً) ما .

صه يي: (تعنفه) أمك تناديك ، هل عرفت؟
تينغ: (يبتسم معذراً) عرفت .

صه يي: (هدأت ثأثرتها قليلاً) هيا البس ثيابك بسرعة
واذهب وقدم فروض الطاعة لأجدادك! (يهم تينغ بالمغادرة باتجاه
غرفة التربة ، تستوقفه) يا ولدي ، لا تلعب بعد الآن مع الأنسة
يوان ، إنها فتاة وقحة ، لا تحترم القوانين (بترغيب وترهيب)
إن كنت مستاء من روي ، ما أن تنهي دراستك المتوسطة حتى
أزوجك بأخرى ، اهتم بدراستك لتنال رضا أمك ، سوف ———

[بينما يصغي تينغ لكلام أمه على مضض يدخل تشانغ شون من غرفة صهر العائلة التي إلى اليسار ، يستغل تينغ الفرصة فينسل خارجاً من باب غرفة التريبة . يسمع من داخل الغرفة: (أثناء فتح الباب) وغدا! وغدا! وغدا! (يُغلق الباب)]

صه يي: ماذا حدث يا تشانغ؟
تشانغ شون: (لاهثاً) سيدتي ، يرغب تشانغ بالحصول على إجازة طويلة .

صه يي: ما بك؟
تشانغ شون: (يلوح بيديه) لا أقوى على خدمة صهركم المصون ، إنه يسب ويشتم طوال اليوم ويشير الفوضى في كل مكان .

صه يي: (مغتاظة) إنه كلب مسعور ، لم تنزل إلى مستواه؟
تشانغ شون: (يتنفس بصعوبة) لا ، ابحتي عن غيري! أهرب من الدائنين كل يوم ولا أفتح فمي —

[يُفتح الباب فجأة «أوغاد —» . يُسمع صوت امرأة: «لا تخرج لا تخرج!» صوت رجل: «اتركيني ، أريد أن أراها!»]
صه يي: (تبدو أنها أحست بشيء ما ، بصوت منخفض)
تشانغ ، تعال هنا ، دعه يصرخ .

(يخرج الاثنان من باب غرفة التريبة . يندفع في الوقت نفسه جيانغ تاي وزوجته ون تساي وهما شبه متماسكين . فجأة يترك جيانغ زوجته ، بينما هي تحقق به بعينين جاحظتين . يمسك يده رزمة أوراق نقدية ويلوح بها .

جيانغ تاي مختص بالكيمياء ، تلقى علومه خارج البلاد ، عاد إلى بكين ليعيش الحياة على هواه ، كما يعيشها أبناء الذوات في بكين ، هو في الثلاثين من عمره ، يحمل ملامح الحية ، يرى نفسه ذكياً ، ولكن ليس له ذكاء أصدقائه إذا ما التقى بهم في وسط اجتماعي . إنه يشعر بالدونية بين رفاقه ، لذا لا تسير الأمور لصالحه في أغلب الأحيان . هو ليس خبيثاً في جوهره ، إلا أنه اكتسب ذلك بعد عودته إلى البلاد . هو لا يعرف لماذا تخلى عن اختصاصه ، ولم كان راغباً في عمل وظيفي . شغل وظائف عدة إلا أنها لم تنل رضاه ، حتى وقع تحت وطأة ديون كثيرة في آخر أعماله ، وقيل إنه اختلس أموالاً عامة ، مما تسبب في تشويه سمعته . عندما لا يكون لديه أموال كافية ، يصبح متذمراً طوال اليوم ، ويكثر من الشراب فيتشاجر مع زوجته . فقير ، شرّاني ، يتكئ على الطاولة ويشتم ، ويكثر من تكسير الصحون والزبادي .

هذا لا يعني أنه خال من الإيجابيات ، فهو صريح ، ويقول الحقيقة ومنصف في بعض الأحيان ، يستأسد على زوجته فجأة ، وعندما تناقشه زوجته في حالات الصفاء ، يستخف بها قائلاً: «ما الذي تفهمينه أنت؟» ثم له ميزة أخرى ، فهو يعرف جميع أماكن اللهو في بكين . إنه يهتم بالطعام ، وهو أكل شره ، يتذوق جميع أنواع الطعام ، ويطبخ كل الوصفات السرية ، وهو يتحدث عن كل ذلك بطريقة منمقة ووصف رائع ، مثل عمل نثري من أعمال يوان تسه تساي^(١) . يهوى التبجح ، ويصف كيف كان مترفاً وحرّاً وشجاعاً ، وكيف كان ينال مديح وثناء أصدقائه له ، لدرجة يصعب تصديقه .

هو لا يكف عن الحديث عن وسائل الثروة . ولكن حديثه لا يتعدى إلا حبراً على ورق ، ولم يوضع موضع التنفيذ إلا مرة واحدة ، عندما أراد أن يقيم معملًا للصابون ، حيث أعد فرنًا في قبو منزل بيت آل زنج ، وغلى كمية كبيرة من مادة صفراء في قدر كبير ، لكن المادة بقيت لينة مثل شحم بقري ولم تتحول إلى صابون ، ذلك لأنه لم يفهم طريقة صناعة الصابون المكتوبة

(١) YUAN ZI CSI هو [YUAN MEI :] تسه تساي هو لقبه . شاعر ونثر مشهور عاش ما بين (١٧١٩-١٧٩٨) .

في مراجعته الدراسية بشكل جيد، فكان أن ترك القرن والقدر في قبو المنزل، ولم يستخدمهما أحد بعد ذلك.

بعد فشله ذاك، لم يتكلم عن وسائل جمع الثروة لفترة طويلة. إلا أنه لم يقو على الاختباء طويلاً في البيت فقال لزوجته مرة: «لا بد أن أتمكن يوماً ما من اختراع نوع من الدواء مثل بلسم للآلام وحينذاك—» وعليه عاودته أحلامه مرة أخرى في جمع الثروة، إلا أنها بقيت في إطار الأحلام فقط. فهو ينقصه الفاعلية والحظ لتحقيق ذلك. راودته في الآونة الأخيرة وعلى حين غرة فكرة عمل ضخمة، العمل في التجارة، فحاول إقناع زوجته أن تعطيه المال ليعمل في الاستيراد والتصدير في شنغهاي، وحثها على بيع البيت لتوفير الرأسمال المطلوب، إلا أن حماه لم يوافق كالعادة. ولكي يتحاشى غضب والد زوجته، كان يلجأ للمداينة والشكوى.

ليس طويل القامة، عريض الجبين، أرنبتا أنفه منتفختان، شفتاه عريضتان، وله شارب خفيف وجميل. تحمل عيناه تعبيراً مضطرباً اضطراب حديثه.

يرتدي زياً غريباً، ذا قماش جيد ومخيط بطريقة جيدة، يضع ربطة عنق. أشعث الشعر، وهندامه غير مرتب.

زوجته ون تساي في الثلاثين من عمرها ، كانت قبل عشر سنوات على قدر كبير من الجمال ، دُلِّلها زوجها لسنوات بعد الزواج . بعد أن ألزَمها المرض الفراش ، تغيرت ملامحها . هزيلة ضعيفة ، أكثر أفراد العائلة شحوباً ، لدرجة لا تكاد معها أن تلمح فتنة السنوات الماضية . متخاذلة . حائرة . ما قرأتها في مكتبة البيت من كتب قديمة ، جعلها امرأة مطيعة لزوجها ، مستسلمة لجميع أوامره ، راضية باضطهاد زوجها لها في الأيام الأخيرة . طال عليها المرض ، تدخل مرتجفة قليلاً ، شفتاها شاحبتان ، شعرها غير مرتب ، تلبس فستان تشيباو^(١) رمادي اللون قديم ، وحذاء بال من الساتان

ون تساي: (متوسلة) تخرج هكذا ، أي هيئة هذه؟
جيانغ تاي: (يفتح عينيه على اتساعهما) أعطيه النقود! أي هيئة هذه؟ نسكن ، ندفع إيجار السكن ، نأكل ، فندفع ثمن الطعام .
ون تساي: (بضعف) لا تصرخ هكذا ، لا تجعل الخدم يضحكون عليك .

جيانغ تاي: (مغتاظاً) وما المضحك في هذا؟ عندما ندفع كل أموالنا ، ننتقل من هنا . (يلوح بربطة النقود ويصرخ) قلت لك أعطه النقود ، لم لم تفعل ذلك؟ (يخطو إلى الأمام) سوف أذهب بنفسني وأعطِ النقود لأبيك!

(١) QIPAO فستان صيني تقليدي مشقوق من الجانبين .

ون تساي: (تمنعه بشدة ، ترتجف مثل فراشة على وشك الموت) جيانغ تاي احفظ لي ماء وجهي ، فهذه أسرتي!

(تمد صه بي رأسها من باب غرفة التريبة تسترق السمع)
جيانغ تاي: (ييصق) أسرتك ، إن الحياة في خان أكثر كرامة من الحياة هنا. (يشير إلى الجزء الآخر من البيت) إن أخذت قرشاً بعد أن يموت السيد الكبير ، فسوف أطلقك .

ون تساي: (متوسلة) من أين سمعت هذا الكلام الفارغ؟ من قال لك أن زوجة أخي لا ترغب في إقامتنا هنا؟ ثم من قال أنك تفكر بنقود أبي؟

جيانغ تاي: (بغطرسه) غريب ، أأطمع في قليل من النقود؟ (بغضب) إن أفراد أسرتك كلهم أوغاد ، أرذال ، لم يروا النقود في حياتهم ، خاصة زوجة أخيك تلك!

ون تساي: (بصوت منخفض جبان) لم تصرخ؟ لا شك أنها في الغرفة المجاورة!

جيانغ تاي: (بقوة) أصرخ كي تسمعي ، لأرى ماذا هي فاعلة؟ لأرى ماذا بإمكانها أن تفعل؟ سوف أقتلها ، سوف أقتلها!

(تنسل صه بي هاربة بعد أن سمعت هذا الكلام المخيف)

ون تساي: (تتنهد) مهما قيل فهي من أقربائنا .

جيانغ تاي: أي أقرباء؟ (متذمراً) الأقرباء خرا كلاب! عندما يكون معي نقود تتعرف علي ، وعندما لا يكون معي نقود ، لا تقيم لي أي شأن ، انظري إلى وجوههم الكريهة تلك ، (بحقد) أوغاد! عندما اقترضوا المال مني واشتروا به الأراضي ، أسألهم هل يذكرون ذلك أم لا؟ لقد فقدت وظيفتي بسببهم أسألهم هل يعرفون ذلك أم لا؟ قدمت لأبيك ثلاثة آلاف ايوان أمس ، هل ترين أن السيد الكبير ———

ون تساي: (متلفتة) لقد تكلمتُ مع أبي!
جيانغ تاي: (بغضب) لا تريدين الذهاب! أنت تجلبين العار لي! تعتقدين أن أباك الصائم المصلي يخاف الله ، حمل تابوته إلى البيت ، ودهنه بشكل ممتاز ، ودفن صوفانغ في البيت ، ومنعها من الزواج!

ون تساي: (بصوت ضعيف) لا تقل هذا الكلام الفارغ!
جيانغ تاي: (بشراسة) أسألك سؤالاً ، هل يخاف الموت أم لا؟
ون تساي: (بابتسامة جافة) ومن لا يخاف الموت؟
جيانغ تاي: مادام يعرف أنه سيموت ، لماذا كلما تقدم لصو عريس يضع كل العيوب فيه ويرفض زواجها منه؟
ون تساي: (متسامحة) إن ذلك لصالحها .

جيانغ تاي: (محملقاً) كلام فارغ — أنانية! أنانية! إنها
الأنانية! بكلمة واحدة، إنه تعامي عن الحقيقة! سوف أذهب
فوراً! سوف أنقلع فوراً، اللعنة عليه!

(يدخل تينغ من باب غرفة التربة)

تينغ: عمتي، زوج عمتي، جدي يطلب منكما الحضور.
جيانغ تاي: لن أذهب.

ون تساي: تينغ، لا تسمع كلامه، سوف نذهب.

تينغ: قالت أُمي سوف تنتظر كما لإشعال الشموع.

جيانغ تاي: لن أذهب، أنا لم أقدم القرايين لأسرتي بعد.

ون تساي: (متوسلة) هيا، بدّل ثيابك، ———

(تدخل صوفانغ من باب غرفة التربة. تحمل بين يديها
ثياب طفل صغير)

صوفانغ: (باحثة) روي تشن؟

ون تساي: ليست هنا.

صوفانغ: ما زلتما هنا، الجميع في قاعة الأسلاف
ينتظرونكما!

ون تساي: (مستعطفة) اذهب هذه المرة من أجل خاطري!

جيانغ تاي: (يدور عينيه) أخبريه أنه لا وقت عندي لخدمته .

(يخرج جيانغ من باب صالة الضيوف دون أن يلتفت)

ون تساي: (تلحق به) جيانغ تاي لا تذهب ، إصغ إلي .

(تخرج ون . يهم تينغ بالخروج من باب صالة الضيوف)

صو فانغ: تينغ ، لا تذهب .

تينغ: عمتي صو .

صو فانغ: أنت — (تحاول الكلام فلا تستطيع)

تينغ: ماذا؟

صو فانغ: (أخيراً) لم لا تُعامل زوجتك بلطف؟

تينغ: (لا يرد)

صو فانغ: (مؤكد) أنتما زوجان .

تينغ: (بالم) لا تلفظي هذه الجملة .

صو فانغ: لو كانت أختك مثلاً ، هل تقبل طوال اليوم

تينغ: (بحزن) عمتي صو!

(يشعر أن أحداً قادم ، يلتفتان فيشاهدان روي تشن تدخل

من باب غرفة التربة حزينة مهمومة)

روي تشن: (ترفع رأسها ، فترى تينغ) آه ، أنت هنا .

صو فانغ: (فوراً) هيا تحدثا معاً. (تهم بالخروج من باب صالة الضيوف)

[يُسمع صوت يوان في البهو تنادي: تينغ ، تعال بسرعة! يسمع الجميع نداء يوان بشكل واضح ، يسرع تينغ بالخروج قبل صو .]

صو فانغ: تينغ ...

(يخرج تينغ مسرعاً دون أن يلتفت . تلتفت صو إلى روي وقد طفح وجهها بالحزن ، تقترب منها ببطء)

روي تشن: عمتي صو! (ترتمي على صدر صو وتجهش بالبكاء)

صو فانغ: (مواسية) لا تبك يا روي .

روي تشن: (لا تمالك نفسها) أنا ، لا ، لا يمكن .

صو فانغ: (تشدها) أرى أن تذهبي إلى غرفتك وتستريح .

روي تشن: (تهز رأسها) لا ، ألم تطلب أمه مني إعداد الطعام؟

صو فانغ: (مستفسرة) لمَ خرجت باكراً من البيت؟

روي تشن: لشأن خاص .

صو فانغ: (تمسح وجه روي بحنان) أرى أن تنامي بعض الوقت ، إن عينيك حمراوان .

روي تشن: (بائسة) لا ، سوف تظن أمه أنني ممتارضة .

صو فانغ: (بعطف) أما زلتِ تتيقين؟

روي تشن: أحسن قليلاً .

صو فانغ: روي ، اسمحي لي أن أتكلم بالنيابة عنك .

روي تشن: (بإصرار) لا ، لا .

صو فانغ: أخبري تينغ أولاً .

روي تشن: (مهمومة) ماذا يفهم تينغ؟ إنه ولد .

صو فانغ: (تعرض المساعدة) ولكن لمَ لا تتكلمين؟

روي تشن: (تهز رأسها) عمتي صو ، أنت لا تفهمين .

صو فانغ: (دون أن تفهم) لماذا؟ (بوجه بشوش) إنه لأمر لا

يخفى على أحد .

روي تشن: (تنظر إلى صو بمرارة) عمتي صو ، لو كان

بإمكانني أن أكون مثلك ، لما تزوجت أبداً .

صو فانغ: (تنظر إليها بشفقة) لمَ تتكلمين كلام الأولاد هذا؟

روي تشن: (بألم) عمتي صو ، نحن أولاد ، نهاية السنة

أكون في الثامنة عشر ويكون تينغ في السابعة عشر . نحن الاثنان

مغفلان ونحتاج من يأخذ بيدنا. لا يعرف أحدنا الآخر، ولا تربطنا أي مشاعر حتى أننا لا نتكلم مع بعضنا بعضاً. مرّت سنتان. (بالم) أما الآن ...

صوفانغ: (بسذاجة) إن عمك يحبك.

دوي تشن: صحيح، ولكنني أسأل لماذا؟ لماذا من أجل أن يحمل ابن حفيده، يُجبر حشرتين مسكنتين على إنجاب حشرة مسكينة أخرى؟

صوفانغ: (مواسية) إنه يقول إن الأولاد يجعلون الأسرة سعيدة، الأولاد يجعلون رابطة الحب بين الزوجين أكثر قوة.

دوي تشن: (تهز رأسها) لا يا عمتي، أنا لا أؤمن بذلك، لا يمكن لعلاقتنا أن تكون أحسن مما هي عليه. (مؤكدّة) حتى لو أحبني تينغ فأنّا لن نستطيع العيش في أسرة كهذه. (باشمئزاز) إنني أخاف النظر في وجه مثل هذا العجوز! (تشديد صوت) عمتي، لو لم تكوني في هذا البيت، لمّت قبل أواني.

صوفانغ: (متأثرة) لا تقولي هذا. ما زلت صغيرة، سوف تكون الأسرة سعيدة إن أنت أنجبت لها طفلاً.

دوي تشن: (بحزن) عمتي، كيف ستكون سعيدة؟ لم تجد الأسرة حتى الآن وسيلة لتسديد ديونها، والسيد الكبير يقول إنه يريد بيع البيت ...

صوفانغ: (تخفض رأسها) إي.

روي تشن: إن مجيء فرد جديد سوف يزيد من الأعباء،
وتينغ لم يُنه دراسته الثانوية بعد .

صو فانغ: (تبتسم بلطف) لا تفكري مثل الكبار . إن لم
نتحمل مشاق الحياة من أجل الأطفال ، فلن نتحملها إذاً؟
النجبي المولود وسوف أهتم به بالنيابة عنك . سوف أساعدك ، لا
تخافي ، لقد تركت لي أُمي مبلغاً من المال ، حين تُغلق أمامنا كل
الطرق ، يمكننا أن ننفقه على المولود .

روي تشن: (متأثرة) عمتي صو ، إن لك قلباً ...

صو فانغ: (تنهمر دموعها من شدة الفرح) لكن ، روي ،
سوف أتكلم بالنيابة عنك بعد قليل ، سوف أخبر الجميع ،
أخبر حماك أولاً ، عندما تفكر بحمل حفيدها ، فلن تبقى على
ما هي عليه .

روي تشن: (بسرعة) لا ، لا ، أنت لا تعرفين ، أنا لا أريد
أن أخبر حماتي بهذا . لا ، لا ، يجب ألا تخبري أياً كان بهذا
الأمر . (متأثرة) عمتي صو ، لولاك ، لولاك ... آه ، عمتي
صو ، أنا مرتبكة ، رأيت في المنام أمس أُمي وقد عادت إلى
الحياة ، وأنا ما أزال طفلة صغيرة . (بالم) آه ، يا عمتي صو ، لو
لم أتزوج ، ولم أكبر أبداً (تجهش بالبكاء مرة أخرى)

صو فانغ: (مواسية) لا تبكي ، لا تدعي دموعك تنساب مرة

أخرى . انظري ماذا أحضرت لك! (تفتح الصرّة وتستخرج منها ملابس طفل مطرّزة) روي ، انظري هل هي مناسبة؟
روي تشن: (تأمل ملابس الطفل الرائعة ، تحاول أن تتكلم فلا تستطيع) آ؟

صو فانغ: هل أعجبتك؟
روي تشن: (ترتجف) كيف أعددت كل هذا؟ (على الرغم من خجلها إلا أنها لم تستطع إخفاء فرحتها) مازال ، مازال الوقت مبكراً .

صو فانغ: أعددتها من باب التسلية ، لقد تدرّبت بها على الحياطة .

روي تشن: (تأمل الثياب واحداً تلو الآخر ، بفرح) رائعة ، رائعة ، حقاً إنها رائعة . (فجأة تضع الثياب من يدها) ولكن ، ليس عندك نقود ، فلماذا أنفقت كل هذه المبالغ ، من أجل ، من أجل ...

صو فانغ: (بشفقة) ذلك لأنني أحبك ، لا تغضبي ياروي ، نحن الإثنان لا أم لنا ولا أب إنما عائلة على الآخرين .

روي تشن: (تخفض رأسها ، تشد على يد صو) عمتي صو . (تنهمر دموعها فجأة)

صو فانغ: (بلطف) كوني أماً بسرعة ، لماذا تظنين أنه لا

يريد طفلاً؟ بمجيء الطفل سوف يهتم بك شيئاً فشيئاً. (تمسح دموع روي بمنديلها) اعذريه قليلاً ، هو الآخر مازال صغيراً! (تهز رأسها ، بأسى) آه أنتم الاثنان ما تزالان صغيران ، ماذا يفهم ابنا السابعة والثامنة عشر. (تشد على يد روي ، بصدق) روي تشن ، إياك والإقدام على ما قلته لي ليلة البارحة .

روي تشن: (بصوت منخفض) ما حاجتي إلى هذا الكائن الصغير؟ (شاردة) إنه لا يحبني .

صوفانغ: (بصراحة) روي ، كيف لا يحبك ، ثم لا ذنب للطفل . كلما كبر ، تغير مزاجه اتجاهك ، كيف لا تكون الأسرة سعيدة بوجود طفل ، سوف يطمئن باله أكثر. (تحقق بها) هل تفكرين حقاً بما قالته لك صديقتك في الرحيل إلى أي مكان؟ (أسى) آه ، هل حقاً أسرتنا هناك؟

روي تشن: (بغيط) لا أريد أسرة ، لا أريد هذه الأسرة .

صوفانغ: (تشد على يد روي ، تهز رأسها) لا ، أنت صغيرة ، لا تعرفين كيف تنقضي حياة من لا أسرة لها ، (تبكي) حيث يدوي قلبها في عزلة رهيبة . (لا تمالك نفسها) منذ صغري وأنا . . (فجأة) لا تستطيع المقاومة ، تنحى جانباً ، بآلم) روي ، هل سمعتني ، لا يجب ألا تفعل ذلك الأمر ، يجب ألا تسقطي الجنين .

روي تشن: آه

صو فانغ: لقد ذهبت للقاء ذلك الطبيب الشرير؟

روي تشن: (لا تجيب)

[يُسمع صوت ون تشينغ وهو ينادي: روي تشن!]

صو فانغ: قل لي الحقيقة.

روي تشن: (تنظر إليها) إي

[صوت ون تشينغ: روي تشن!]

صو فانغ: لا تذهبي بعد ذلك مرة أخرى.

روي تشن: (بألم) إي

صو فانغ: (مؤكد) بالتأكيد؟

(في الوقت الذي تهز فيه روي رأسها بالموافقة ، يدخل ون

تشينغ من باب غرفة التريبة)

ون تشينغ: (يرفع ناظره فيرى صو فانغ) آ ، أنت هنا! (إلى

روي) روي تشن ، أحضري لي ثوبي .

روي تشن: حاضرة عماه!

(تدخل روي إلى غرفة ون تشينغ . صمت ، الاثنان لا يتكلمان)

ون تشينغ: (يرسل آهة طويلة) صو فانغ ، سوف أرحل ،

وبعد ذلك ستظلمين وحدك...

(تندفع فجأة من باب صالة الضيوف يوان يوان مفعمة بالفرح)

يوان يوان: (هاتفه) عماه ، عماه!
ون تشينغ: (يلتفت مبتسماً) ماذا؟
يوان يوان: قال تشو الصغير أن جدته أحضرت لك زوجاً
من الحمام .

ون تشينغ: (يشير إلى الحمامة داخل القفص) إنها هناك .
يوان يوان: (ترفع القفص) آه ، لم تبقى إلا واحدة؟
ون تشينغ: (بألم) الأخرى طارت في منتصف الطريق .
يوان يوان: (معجبة بالحمامة ، بسذاجة) هل لهذه الحمامة اسم؟
ون تشينغ: (يهز رأسه بلطف) نعم .
يوان يوان: (ببساطة) ما اسمها؟
ون تشينغ: (بهذوء) اسمها ، اسمها «وحيدة» .
يوان يوان: إنها رائعة! (تتوسل بدلال) عماه ، هل يمكن
أن تعطينها؟
ون تشينغ: حسناً .

يوان يوان: (مندهشة) شكراً لك! أنت عم رائع! (تحمل
القفص وتخرج راكضة) تشو! تشو!
(تخرج يوان يوان من باب صالة الضيوف منادية . صمت ،
يُسمع صوت الحمام محلّقاً في السماء)

ون تشينغ: (يبدل ما بوسعه) شكراً لك على اللوحة التي أهديتها .

صو فانغ: (تخفض رأسها ولا تجيب)

ون تشينغ: (يُخرج ببطء رسالة ملونة من جيبه) لقد كتبت أمس بعض القصائد . (يقرب منها على استحياء) إنها ، إنها هنا .

صو فانغ: (تستلم الرسالة)

ون تشينغ: (بتهذيب) اقرئها فيما بعد .

صو فانغ: (تنظر إليه) بعد قليل ، لن أستطيع أن أودعك .

(تدخل صه بي من باب غرفة التربة فجأة)

صه بي: (مندهشة) آه ، أنتما هنا . (إلى صو) السيد الكبير يريدك .

صو فانغ: (لا تزال الرسالة في يدها) حاضرة . (تمشي باتجاه باب غرفة التربة)

صه بي: (تلمح الرسالة في يد صو ، تبرق عيناها فجأة) أي ، هناك ورقة أخرى على الأرض!

صو فانغ: (تلتفت بطريقة لا إرادية) آ؟

ون تشينغ: (مرتبكاً) أين؟ (ينشغل بالبحث في المكان)

صه بي: (تضحك بحدة) آه ، إنها واحدة فقط! (تنظر إلى

صو) وهي في يدك!

[صوت السيد العجوز ينادي: (بصوت مرتجف) صوفانغ!]

صوفانغ: نعم!

(تخرج صوفانغ من باب غرفة التريبة)

صه يي: (متجهمة) ما الذي تدبرانه مرة أخرى من وراء ظهري .

ون تشينغ: (بخوف) ماذا ... لاشيء .

صه يي: ماذا أعطيتها منذ قليل؟

ون تشينغ: (مدافعاً عن نفسه) لا شيء .

صه يي: (بقوة) هراء ، لن تستطيع أن تخدعني! قل ، ماذا كانت تمسك بيدها؟ قل ...

ون تشينغ: أنا ...

(تعود روي تشن من غرفة ون تشينغ حاملة ثيابه)

روي تشن: عمي ، ثيابك! (تعطيها لون)

صه يي: (إلى روي بغضب) اذهبي من هنا ، عمك

صوتتظرك .

(تخرج روي تشن من باب غرفة التريبة . يرتدي ون

ثيابه بصمت)

صه يي: (مثرثرة) طوال حياتي وأنا كريمة متسامحة ،

وللأسف لم أحصد إلا المرارة . لن أقف عند ما تدبرانه من وراء

ظهري ، (تبدو بمظهر المغلوبة على أمرها) عرفت منذ وقت مبكر أن هذه العائلة لن تشكل أسرة. سوف يُباع البيت «وعندما تسقط الشجرة تهرب القروء»، أن تعيش مع زوجة ابنك ، فهذا حسن ، أو أن تعيش مع فلذة كبذك صوفانغ ، فهذا حسن أيضاً ، أما أنا فسوف أذهب إلى الدير ، أتعبد هناك ، متنازلة عن الحريات الأربع^(١). (تخاف أنه لم يصدقها) لا تظن أنني أتكلم كلاماً فارغاً لقد سبق وذهبت إلى الدير ، واتفقت مع كبير الرهبان هناك .

ون تشينغ: (يعلم أن ما تقوله ما هو إلا تهديد ، لكنه لا يقوى على احتمال ذلك) هل يستحق ذلك العناء؟ هل يستحق العناء؟
صه يي: (شاكية) لقد قمت بالنيابة عنك في تربية أولاد وبنات أسرة زنغ ، لقد تعبت ، قمت بواجبي اتجاه جميع أفراد أسرة زنغ! بعد أن يمر عيد الخريف ، بعد عيد الخريف ، سوف أتنازل عن رعاية البيت لشقيقتك ، وأدخل الدير غداً. (تتجه إلى غرفتها)

(يدخل تشانغ شون من باب صالة الضيوف مستعجلاً)

(١) هي حرية الكلام ، حرية الرأي ، حرية الحوار وحرية الكتابة .

تشانغ شون: (بعجلة) سيدتي ، الذين يعملون بدهان الثابت ...

صه يي: دعهم يذهبون إلى السيد الكبير!

تشانغ شون: (بخبث) ولكنهم يصرون ويطلبون من

سيدة ...

صه يي: (متبرمة) قل لهم إن السيدة ماتت ، انقطعت أنفاسها!

(تدخل إلى غرفتها)

ون تشينغ: (ينظر إلى باب غرفته)

(يزفر تشانغ زفرة طويلة ويخرج من باب صالة الضيوف)

ون تشينغ: صه يي! (يدفع الباب) افتحي الباب! افتحي

الباب! ماذا تفعلين؟

صه يي: (بغضب) أشنق نفسي!

ون تشينغ: (يدق الباب) افتحي الباب! افتحي! بماذا تفكرين؟

تكلمي ، ماذا تفعلين ... (يلتفت ، بصوت واطئ) جاء أبي!

(يدخل من باب غرفة التريّة كل من روي تشن ، صوفانغ ،

والمرية وهن يحطن بالسيد زنج هاو .

زنج هاو ، يبدو لا يتجاوز الخامسة والستين من العمر ،

ايضت سوالفه ، ضعيف البنية ، وجهه شاحب تغطيه التجاعيد .

عيناه قائمتان إلا أنه لا روح فيهما، دامعتان طوال الوقت، فقط عندما يتحدث بحيوية يبدو عليه لطف ونعومة آل زنج. بخيل، أناني، يخاف من الموت، يكثر من تناول الأدوية معتقداً أنها تطيل العمر، استمتع بإرث أجداده، عاش حياة هنيئة لعشر سنوات ونيف. عمل في عدة وظائف لتعويض خسائره، إلا أنه كان يستقيل منها بعد وقت قصير، ويعود إلى بكن ليعيش حياة رغد ومجون. لكن للشيخوخة همومها، إنه يشعر بالحرمان الآن، لقد أفقده أولاده وأحفاده الأمل، ولم يبق من ملكية البيت ما يستحق الذكر، وهو نفسه لم يعد قادراً على تدبير أموره المعيشية لذا فهو يشعر بعدم الرضى. إنه يهتم بالشكليات والتقاليد التي لا داعي لها، ويعتقد أن أولاد الحسب والنسب يجب ألا تنقصهم التربية الأسرية، ولذلك كثيراً ما يلجأ إلى المبالغة في التأكيد على هيئته كـرب للأسرة، إلا أنه كان يخشى زوجة ابنه. إنه يعرف حق المعرفة أن زوجة ابنه تتملقه ظاهرياً، وتدبر له المكائد في السر. إنه يكره طيش وصلف زوج ابنته أيضاً، وهو يصغي إلى مشاجراته طوال السنة، وإلى أحاديثه الفارغة وسعيه الدائم وراء الربح. هو لم يعلن بشكل صريح إفلاسه كما لا يجروء على القول إنه لا يملك نقوداً. شؤون الأسرة

كلها بيد زوجة ابنه ، وهو يدعي أنه قادر على مواجهتها ، إلا أنه في حقيقة الأمر يمتلئ رعباً إن هو فكر فيها فقط ، أما بالنسبة لها فهي لا تجرؤ أيضاً على التعبير عن احتقارها له بشكل معلن . إلا أن القلق يساوره من معاملة أبنائه وأحفاده له إن هم عرفوا ذات يوم أنه لم يُبق من ثروته شيئاً .

طبعاً ، ربما يكون هذا نوع من الحساسية الزائدة ، لكنه يشعر أن الفقر يهدد مكانته كرب أسرة ذات حسب ونسب . إنه يشك أحياناً بمقدار فائدة وتأثير كتب الشعر والآداب على أولاده . يجد أن أنجع طريقة هي «اللامبالاة» ، إلا أن ال «اللامبالاة» لزمن تستثير غضبه ، لذلك لا مناص أمامه أخيراً من الثروة والتدمير ، ولأنه لا يمكن له ضبط نفسه ، فهو يتظاهر بالبلاهة والطرش ، لدرجة لا تحتمل . إن متطلباته بسيطة ، فهو عدا عن دهن تابوته ، وتناول دوائه لا يطلب الخروج ، ويذل ما بوسعه كي لا يتحول إلى كائن زائد لا فائدة منه . إنه يختبئ داخل غرفته ، يكتب ويقرأ الكتاب المقدس ، كما لو أنه غير موجود ، يدخر الجهد والمال . وعندما تنهال المشاكل فوق رأسه ، ينفجر في سورة من الغضب ، لكن معنويات الشيخوخة تخذله ، فتذوي همته ، ويشعر بالظلم فيشتم أبناءه وأحفاده على عدم البر

به ، ويأسف على أسرته المنحطة ، ويتذمر من صلف جيرانه وعدم تهذيبهم ، وأحياناً لا يتمكن من تربية وتثقيف هذه الأسرة ذات الحسب والنسب المنهارة ، وتكاد تتلاشى البقية الباقية له من عزة وكرامة . أنانيته غير مُدركة . على سبيل المثال يعتبر نفسه المربي لصوفانغ الفتاة اليتيمة التي لا تشكو . الحقيقة أن صوفانغ تشفق عليه ، وتهتم به بصمت ، وتكتم عنه ما يقلقه ، كي تجنبه الكثير مما يعكر عليه صفو الحياة . وعندما يشعر أنها متأثرة ، يحتاجه فجأة قلق لا يمكن تلافيه ، فيتظاهر بالارتباك ويدعي كل أنواع الضعف والمعاناة ، حتى يستدر عطفها تجاهه ، وتحول عبدة له إلى الأبد . هو لا يفكر بنفسه دائماً ، ويشفق على نفسه ، لأن هذا يجعله بالإضافة إلى مصائبه ، لا يرى معاناة الذين حوله .

يلبس ثوباً قديماً نحاسي اللون ، فضفاضاً . يرتدي فوقه سترة ناعمة خاطتها له صوفانغ - فهو يخاف من البرد دائماً - أزرارها العلوية مفتوحة ، يلبس في قدميه حذاءً من الطراز الغربي ، ذا شريط رمادي من الساتان ، ويحمل بيده مسبحة . صوفانغ وروي تشن تسندان السيد العجوز ، والمرية تحمل له زبدية الشاي)

ذئغ هاو: (يغمض عينيه ويصغي ، يهز رأسه) مم ، مم .

ون تشينغ: (بارتباك) أبي .

زنغ هاو: (يغوص في تفكير عميق ، يبدو أنه لم يسمع)
المربية: (تكلم وتضحك ، يقف الجميع للإصغاء إليها ،
توجه كلامها إلى ضو وهي متأثرة) هل مرت خمس عشرة
سنة؟ (إلى هاو) لقد دُهن هذا الثابوت على مدى خمس عشرة
سنة! (بدهشة وإعجاب) إيه ، كم مرة دُهن إذاً؟
زنغ هاو: (بسرور) أكثر من مائة مرة . (يمشي الجميع باتجاه
طاولة صغيرة وطويلة)

المربية: (بإعجاب) يا للعجب يبلغ سُمْك الدهان (تشير
بيدها) اثنان أو ثلاثة تسون^(١) (تضع الزبدية على الطاولة)

(تخرج صه بي من غرفتها مبتسمة ، وكأن شيئاً لم يكن)
صه بي: حضر سيدي . (تسنده) تعال هنا ، تبدو على
أحسن حال! (تسير به إلى الكنية ، تلتفت إلى روي) رتبي الكنية يا
ابنتي! (تساعده على الجلوس ، تكلم ون) لم تحضر الوسادة بعد .
ون تشينغ: حاضر! (يذهب إلى غرفة التريبة ، تلحق
به روي)

زنغ هاو: (يغمض عينيه ، يسبح بالمسححة) ليُدهن بتآن!
بعد أربع خمس سنوات أخرى يصبح مريحاً للنوم فيه .

(١) CUN: وحدة قياس صينية تساوي ٣،٣٣٣ سم

(تعود روي من غرفة الترية تحمل وسادة)

صه يي: (تشير لها بلطف) ضعها وراء ظهره يا ابتتي . (يبدو أن عمل روي لم يعجبها ، تنحني لتضع الوسادة بنفسها) حسناً ، دع عنك . (إلى روي) اذهبي وأحضري حراماً ، نفطي به السيد .

زُنف هاو: (يفتح عينيه) لا داعي لذلك . (يغمض عينيه ويعود لهدوئه)

صه يي: (بتواضع) هل تشعر بتحسن الآن .

زُنف هاو: أحسن قليلاً .

ون تشينغ: (يتقدم) أبي .

زُنف هاو: (يهز رأسه هزة خفيفة) إي ، (يستغرب عن عمد) آه ، أنت لم ترحل بعد؟

صه يي: (تنظر إلى ون ، ثم إلى هاو) سوف يرحل ون تشينغ بعد قليل .

زُنف هاو: (إلى ون) هل صليت لروح أجدادك؟

ون تشينغ: لم أفعل .

زُنف هاو: (غير سعيد) اذهب ، اذهب ، اذهب بسرعة ، قدم الصلاة أولاً ثم تكلم بعد ذلك . (يسعل)

ون تشينغ: حاضر يا أبي . (يمشي باتجاه غرفة الترية)

المربية: (تستغل الفرصة للتحدث إلى ون تشينغ) سيدي الصغير تشينغ ، سوف اذهب معك .

(يخرج ون والمربية من باب غرفة التريبة)
زنغ هاو: صوفانغ ، احضري لي المبصقة .

(تهم صو بالذهاب باتجاه غرفة التريبة ...)

صه يي: (تضحك وتكلم مباشرة) لا تتعب أختي صو! ففي غرفتي واحدة . روي تشن ، أحضرها لسيدك . (تناول زبدية الشاي) اشرب قليلاً من الشاي يا سيدي!

(تدخل روي تشن إلى غرفة صه يي)

زنغ هاو: (يشرب الشاي ، تعود صو تحمل مبصقة ، ييصق هاو فيها) يا للمرارة! (يغمض عينيه)

صوفانغ: هل ما تزال تشعر بدوار؟

زنغ هاو: (ينظر إليها ، ثم يغمض عينيه ، كمن يكلم نفسه)
دوار في الرأس ومرارة في الفم ، هذا بسبب قصور في الكبد!
لذا فالبصاق يخنقني! (يمسح يده على صدره)

صه يي: (باهتمام) أرى أنه ينبغي أن نستدعي لسيدي طبيباً أجنبياً .

زنغ هاو: (يفتح عينيه غاضباً) من قال ذلك؟
صه يي: او ان نرسل تشانغ شون لاستدعاء طبيب القصر!
زنغ هاو: (يغمض عينيه، يهز رأسه) لا، طبيب القصر ما زال يستخدم أساليب قديمة تعود إلى عصر تانغ، وأدوية عفا عليها الزمن، إن عمري، وبنية جسمي... (لا يرغب أن يتم كلامه، يتنهد، يغمض عينيه ويسعل سعالاً خفيفاً)

(تعود روي من غرفة صه يي، تحمل مبصقة تقدمها إلى هاو، يأخذ هاو المبصقة بيده ويصق فيها)
صه يي: أسرة دو أرسلت رسولا يطالب بسداد الخمسين ألفاً.

زنغ هاو: إي
صه يي: كذلك أجور دهان التابوت لهذه السنة...
زنغ هاو: (مضطرباً) نقود، نقود! حيوان جر، حيوان جر، جعلت من نفسي حيوان جر طوال عمري، حتى في ساعة مرضي علي أن أهتم بذلك، أن أكون حيوان جر.

(يكفهر وجه صه يي. صمت طويل)
صو فانغ: (مواسية) كان دهان التابوت هذه السنة رائعاً.
زنغ هاو: (لا يريد أن يخرج صه أكثر من ذلك، يهز

رأسه، تنفرج أساريه قليلاً) مم ، لنتنظر، لنتنظر حتى ربيع
السنة القادمة حيث يُعاد دهن التابوت مرتين بدهان سيتشوان^(١)
عندها نجد طريقة لسداد دين أسرة دو، سوف أصلح هذا
الخطأ. (يتنهد بدون رغبة، ينظر إلى روي تشن) إن كان حظي
جيداً، فسوف أحمل ابن حفيدي خلال السنة القادمة ...

صه يي: (تبتسم) حقاً، قدمت صلواتي لأجدادي منذ قليل
وطلبت من روي أن تدعو الله أن يحفظها وقيمها بالسلامة،
لتمنح السيد ابن حفيده يحمله بين يديه.

زنغ هاو: (ترسم السعادة على وجه السيد المصاب
بالاستسقاء) روي تشن، هل دعوت ذلك في شرك؟

روي تشن: (تخفض رأسها)

صه يي: (تشدها، بحدة) السيد يسألك هل دعوت ذلك أم لا؟

روي تشن: (تلتفت متنحية)

صو فانغ: (مواسية) روي تشن!

روي تشن: (تعود) دعوت ذلك سيدي.

زنغ هاو: (تغمر الابتسامة وجهه) حسناً فعلت.

[صوت ون تساي من الخارج: جيانغ تاي، جيانغ تاي!]

(١) مقاطعة صينية.

صه يي: (تتمتم) يالك من ولد، لماذا تبكي؟

(تدخل ون تساي وزوجها من باب صالة الضيوف وهي
تشده إلى الداخل)

ون تساي: (متوسلة) جيانغ تاي! جيانغ تاي! (تشده إلى الداخل)
جيانغ تاي: (غاضباً) حسناً، سوف أدخل، سوف أدخل!
لا تجريني!

(ينظر الجميع إليهم، يتقدمان)

صه يي: ما بكما؟

ون تساي: أهي! (تلتفت إلى جيانغ وتكلمه بصوت منخفض)
حيه كما أنت، لا داعي لتبديل ملابسك.

صه يي: (تضحك عمداً بينما تتكلم) زوج ابنتكم
يهنئكم بالعيد.

زنغ هاو: (يطلب منهم مساعدته كي ينهض ويرد التحية)
آه، لا داعي، لا داعي، يهنئي بأي عيد؟

(جيانغ تاي يرمق صه يي نظرة، وفي الوقت الذي ينهض فيه
زنغ هاو ليرد التحية، ينحني جيانغ نصف انحناء وهو غير
راغب بذلك)

جيانغ تاي: (بينما يجلس هاو، ينظر حوله ثم فجأة) حسناً، عندي جملة وسأقولها، (يشير) إن جدار غرفتنا على وشك الانهيار، هل تفكرون بإصلاحه أم لا؟

ون تساي: (بصوت منخفض، غاضبة) ماذا فعلت؟

جيانغ تاي: (إلى ون تساي) أنت لا تتدخل! (يلتفت إلى صه وهاو) هل تصلحونه أم لا؟ إن لم تفعلوا سوف أحمل الحافي وأنقلع من هنا.

زنغ هاو: (بحيرة) كيف؟

صه يي: (بلطف لا يخلو من قسوة) لم نقل ذلك يا صهرنا، أنا لا أجزؤ على القول إننا لن نصلحه، غير أنني سمعت أن السيد يريد بيع البيت والعمل في التجارة لذلك ...

زنغ هاو: (ينهض غاضباً) أبيع البيت؟

صه يي: تبيعه لأسرة دو المجاورة .

زنغ هاو: (تحف سورة غضبه) من قال ذلك؟ من الذي قال ذلك؟

صه يي: (ترقق جيانغ بنظرة، تضحك ضحكة فاترة) من يعرف من قال ذلك؟

جيانغ تاي: (بتسرع) أنا قلته! ينظر إلى هاو باحتقار) أنا أيضاً لا أعرف من لا يحسب لكلامه حساب و قال لي هذا .
زنغ هاو: (يبدو أنه موضع توبيخ لأفراد أسرته ، وهو لا يحتمل ذلك) جيانغ تاي ، ألم تكلمني طوال الوقت عن ذلك .
جيانغ تاي: حسناً ، أنا ذاهب . (يمشي)
ون تساي: (بصوت منخفض ، تكاد تبكي) جيانغ تاي ، هلاً جلست .

صوفانغ: (متوسلة) صهري!

(أمام إلحاح الجميع ، يجلس مكرهاً . صمت طويل . يدخل ون تشينغ بهدوء من باب غرفة التريبة ويقف جانباً)
زنغ هاو: (يرمق ون تشينغ نظرة ، مرتعشاً) حسناً ، لقد سبق وقلت ، لقد سبق وتكلمت ، تكلمت إلى هؤلاء ممن لم يثبت شارباهما بعد ولدي وحفيدي . إن ظروف الأسرة الآن ليست جيدة ، لا أحد لديه القدرة على كسب عيشه(ينظر إلى ون تشينغ ناقماً) إن الولد الكبير هو الأول لا نفع فيه! وأسرّة دو حديثّة النعمة تطالبنا بالدين يومياً ، وهم يصرون على شراء بيتنا ، هل يصعب علينا أن نأخذ عشرة عشرين ألفاً أخرى ، و نتنازل لهم عن البيت؟(كلما تكلم كلما ازداد غضباً) صاحب

معمل الغزل حديث النعمة ذاك ، يستغل نفوذه لإيذاء الآخرين ، يعتقد أنه يستطيع شراء كل شيء بالنقود ، حتى تابوتي الذي تم دهنه على مدى خمس عشرة سنة يريد شراءه (يرتعش غضباً) هذا الإنسان لم يقرأ كتاباً قط . أليس من الصعب علي أن أبيع التابوت الذي أريد أن أنام فيه؟ (ينظر إلى ابنته) ون تساي ، تكلمي؟ (ينظر إلى ابنه) ون تشينغ ، يا كبير الأسرة تكلمي؟ (يخفض ون رأسه) أنتم يا أبناء وبنات ...

(تدخل المربية من باب غرفة التربية)

المربية: (فرحة) تشينغ! (عندما ترى صه بي تلوح لها ، تتوقف عن الكلام ، ثم تنسل خارجة بهدوء من باب صالة الضيوف)

زنغ هاو: هذا البيت هو ما ورثه أجدادنا لنا ، في سبيل كل قطعة خشب فيه بذل أجدادنا العرق والدم ، ونحن أكلنا وأقمنا في هذا المكان ، صغيرنا وكبيرنا اعتمد على ما تركه الأجداد لنا ، في مأكلا ومسكننا . (يربت يده على مسند الكنبه) وأنتم لم تعرفوا كيف تهتمون بهذا ، يحز في نفسي أن يُباع البيت لذلك النوع من حديثي النعمة ، أن يُباع لذلك النوع ...

جيانغ تاي: (يرفع يده) أنا صريح ، لا أريد الدخول في هذه الحسابات ، وأنا لم أفكر بتاتا فيما إذا كنتم تريدون بيع البيت أم لا .

زنغ هاو: (بذهول ونقمة يواصل حديثه) يا لحديث النعمة هذا! حتى تابوتي يفكر في شرائه، هذا الصنف ...

(يُسمع صوت مفرقات مفاجئ من البيت المجاور)

زنغ هاو: (خائفاً) ما هذا؟ (يكاد أن يهب واقفاً، يبدو أنه لا يحتمل مثل هذا الانفعال) ما هذا؟ ما هذا؟ ما هذا؟

صوفانغ: (في خضم أصوات المفرقات تضطر للصراخ) لا تخف، إنها مفرقات!

زنغ هاو: (يغطي أذنيه بيديه، بانزعاج) أغلقوا الأبواب، أغلقوا الأبواب .

(تسرع ون تساي وروي تشن لإغلاق الأبواب، يخف صوت المفرقات إلا أنه ما يزال مستمراً، بعد لحظات)

ون تساي: (من خلال صوت المفرقات غاضبة) أسرة من هذه التي فجرت كل هذه المفرقات؟

جيانغ تاي: (بضحكة ساخرة) هه! إنها أسرة دو حديثة النعمة .

زنغ هاو: (يرفع رأسه) هل رأيتم حديث النعمة ذاك! حتى في عيد منتصف الخريف يثير صخباً مثل الأولاد ...

(تدخل المريية من باب صالة الضيوف)

المربية: (تصفق ضاحكة) صوفانغ ، إنها أسرة ممتعة! البنت تدعو أباها بالقردة العجوز ، والأب يدعو ابنته بالقردة الصغيرة ، وفي البيت يجثم كائن جلف يشبه الشمبانزي ، القردة العجوز يرسم ، والقردة الصغيرة تتسلق رأسه لتسقط من هناك ، (ترنح إلى الأمام وإلى الخلف من شدة الضحك) البيت مقلوب رأساً على عقب ...

زنغ هاو: (بحيرة) من؟

المربية: إنه السيد يوان وابنته ، يبدو أن السيد يوان غريب الأطوار ، إنه يضحك بحماقة ...

صه يي: سيدة تشن ، اذهبي إلى المطبخ وأعدي الطعام بسرعة ، فقد دعا السيد الكبير السيد يوان من أجل الأنسة صو .

المربية: إي ، إي ، حاضر ، حاضر!

(تخرج المربية من باب صالة الضيوف فرحة)

صه يي: (تدخل إلى صلب الموضوع) سَمِعْتُ كُنْتُ أَنْ السيد يوان ينوي الرحيل بعد أيام قليلة ، ولا أعرف ماذا قرر السيد الكبير بشأن زواج أختي الصغيرة صو
زنغ هاو: (يهز رأسه ، باستخفاف) هذا الرجل ، أنا أرى ...

(يعرف جيانغ تاي ما يدور في ذهن العجوز فيصدر صوت «هه»
من أنفه ، يلتفت هاو ويرمقه بنظرة ، ثم يتوجه إلى صوفانغ التي
همت بالمغادرة) حسناً ، صوفانغ ، لا تذهبي . سوف نستغل
وجودك بيننا ، ونتحدث في هذا الأمر .

صوفانغ: سوف أعد منقوع الدواء لزوج خالتي .

جيانغ تاي: (ساخراً لكن بنية طيبة) هه ، آنستي صو ، ألم
تُعدي الدواء بعد؟ (بسرعة وبشكل متتابع) اجلسي ، اجلسي ،
اجلسي ، اجلسي .

(تجلس صو مرغمة)

زنغ هاو: صوفانغ ، ما رأيك؟

صوفانغ: (تخفض رأسها ولا تجيب)

زنغ هاو: صو ، ما هو رأيك الشخصي؟ لا تفكري فيّ ،
يجب أن تفكري بنفسك ، أنا زوج خالتك ، وقد لا أدوم لك
بضعة أيام ، دعك مني ، السيد يوان إنسان ...

صه يي: (بسرعة) صحيح ، يا أختي صو ، فكري جيداً ،
ولا تُخيبي ظن زوج خالتك فيك ، وإلا أضعت على نفسك ...
زنغ هاو: (بسرعة أيضاً) صه يي ، دعها تفكر بنفسها .

هذا موضوع حياتها، إن وافقت أم لا فلنفسها (ضحكة مفتعلة) نحن وفي أحسن حال نطرح رأينا. صو فانغ، تكلمي، كيف تشعرين؟

جيانغ تاي: (وقد نفذ صبره) هل هناك مشكلة؟ إن السيد يوان ما هو بغول إنه باحث في علم الأجناس، وهو إنسان جيد أولاً، مثقف ثانياً، دخله جيد ثالثاً، فمن الطبيعي ...

زنغ هاو: (يتظاهر بنوع من الهدوء) لا، لا، دعها تفكر بمفردها. (إلى صو بقلق) صو فانغ، أريدك أن تعرفي، أنت ابنة أخت زوجتي الوحيدة، وأنا أعاملك كما أعامل ابنتي، إن رفضت ابنتي الزواج، هل يمكن لي أن أتخلى عن رعايتها؟
صه يي: (متدخلة) هذا صحيح! أختي صو، الفتاة التي لا تتزوج هي أيضاً ...

ون تشينغ: (يبدو أنه نفذ صبره، يهم بالانصراف ...) (صه يي: (تلمح ون) إي، لم تذهب؟ لم تذهب؟

(لا يلتفت، يخرج من باب غرفة التريبة)

زنغ هاو: ما به ون تشينغ؟

صه يي: (بضحكة باردة) ربما هو الآخر يريد أن يُعد منقوع

الدواء لأبيه! (تلفت إلى صو وتكلمها بحرارة) اطمئني يا أختاه ،
الأسرة تطرح هذا الموضوع لأنها مهمة بأمرك . عيشي في أسرة
زنغ طوال عمرك ، فلن يزعجك أحد بكلمة . (بخبث) أليست
الفتاة غير المتزوجة جديرة بالرعاية أيضاً؟ فكيف بالنسبة إلى صو
يتيمة الأبوين ، ليس في الأسرة هناك ما هو أغلى ...

زنغ هاو: (طبعاً هو يدرك ما ترمي إليه ، وقبل أن تنهي
كلامها) حسناً ، حسناً ، من فضلك لا داعي لكل هذا الكلام
الفارغ . (يشحب وجه صه ، يلتفت هاو إلى صو) هلاً قررت
ذلك بنفسك يا صوفانغ؟

صه يي: (تحت صو) تكلمي!

ون تساي: (وقد كانت طوال الوقت تصغي وتهز رأسها ،
فجأة تحثها على الكلام) هيا تكلمي ، أنا أرى يا أخت صو ...
جيانغ تاي: (إلى زوجته) اسكتي يا امرأة!

(تصمت ون تساي ، تنهض صو وتتجه للخروج من باب
صاله الضيوف)

زنغ هاو: صوفانغ ، قولي شيئاً يا آنسة . أنت أيضاً يجب
أن تطرحي رأيك .

صوفانغ: (تهز رأسها) أنا ، أنا لا رأي عندي . (تخرج)

زنغ هاو: إيه، كيف لا يكون عندها رأي في مثل هذا الموضوع؟
جيانغ تاي: (وقد نفد صبره) هل تريدون أن أتكلّم أم لا؟
زنغ هاو: ماذا؟

جيانغ تاي: إن سمحتم لي بالكلام، تكلمت. وإلا فسوف أمشي.

زنغ هاو: حسناً، تكلم، أنت طبعاً سوف تقول رأيك.
جيانغ تاي: (بصراحة) أرجو ألا تتكلموا مع صوفانغ بما يزعجها، هل يصعب عليكم معرفة ما يجيش في قلبها؟ لماذا نظلم بجملة منك وجملة مني عانساً بائسة وحيدة؟ لماذا ...

صه يي: نظلمها؟

ون تساي: جيانغ تاي.

جيانغ تاي: (غاضباً) أقول إنكم تظلمونها، إنها تهتم بالكبير والصغير، بالحي والميت، بالسيد الكبير والسيدة الكبيرة، بالسيد الصغير والسيدة الصغيرة، إنها وحدها من تخدم الجميع. صارت في الثلاثين من عمرها، لماذا تمسكون بها، لم لا تطلقون سراحها، ماذا تبغون من وراء ذلك؟
زنغ هاو: أنت ...

ون تساي: جيانغ تاي!

جيانغ تاي: هل تريدونها أن ترافقكم في توابيتكم ، وتُحرق رماداً لأرواح الأجداد؟ لتتحرك ضمائركم قليلاً! ليتحرك ضمير أحدكم على الأقل! أنا ماشي ، هذه رسالة ، (يضعها فوق ركبة السيد هاو) ليقرأها الجميع!

ون تساي: جيانغ تاي!

(يخرج جيانغ متأفقاً من باب صالة الضيوف)

زنغ هاو: (شارداً وحزيناً) ما هذا الكلام؟ أنا ، أنا لم أسمع من قبل مثل هذا الكلام الجلف! (يفض الرسالة ، يستخرج رزمة أوراق نقدية وقصاصة ورقية)

(بينما يقرأ هاو الرسالة ، يدخل تشانغ شون وهو يحمل زبادي وعيدان الطعام تبادر روي بمساعدته وذلك بإعداد الطاولة ، توضع الزبادي والعيدان وتُرتب الكراسي بهدوء)

زنغ هاو: (ينهي قراءة الرسالة بسرعة ، تبدو ملامح الغضب على وجهه) ما معنى هذا؟ (يرفع رزمة النقود بيده) هو يعطيني إيجار الغرفة! (إلى صه) صه بي ، كيف حدث هذا؟ صه بي: (بضحكة باردة) لا أعرف أي مرض عصبي عاوده مرة أخرى؟

ون تساي: (كانت قد وقفت وقرأت الرسالة، حائرة وحزينة) أبي، لا تهتم به، إنه مكتتب قليلاً، وهو في هذه السنوات ...

زنغ هاو: (غاضباً) جيانغ تاي، أنا لا ألومه، قلت إن الصهر بمقام الابن هو أيضاً غريب. (إلى ون تساي) أنت ابنتي، وتعرفين أن الثقافة هي بالمقام الأول بالنسبة لآل زنغ، ولم يسبق لهم الحديث عن النقود مطلقاً. حسناً، إن رغبتما بالعيش هنا فلكما ذلك، وإن لم ترغبا فافعلا ما يحلو لكما، ولا ينبغي أن تجمعما الإيجار، ومصاريف الطعام، وتقدمانها لأبيك ...

ون تساي: (غاضبة) أبي، لقد ارتكبت خطأً بإنجابك، ارتكبت خطأً ...

زنغ هاو: (يرتجف من شدة الغضب) في بيتي يترنح مثل هذا الصهر المتعجرف!

ون تساي: (تجهش بالبكاء وقد نفذ صبرها) آه يا أمي، لم لم تتركيني أموت، يا أمي!

صه يي: ون تساي!

(تدخل ون تساي إلى غرفتها باكياً)

زنغ هاو: (يزفر زفرة طويلة) مجموعة حاقدين! لا أحد
يسمع الكلام. أعدوا الطعام، تشانغ شون، ادع السيد يوان
إلى الطعام.

(يخرج تشانغ من باب صالة الضيوف. يدخل ون تشينغ من
باب غرفة التربية)

ون تشينغ: أبي!

زنغ هاو: ماذا هناك؟

ون تشينغ: بعد ساعة سوف أرحل.

زنغ هاو: هل توقفت عن التعاطي؟

ون تشينغ: (يخفض رأسه) توقفت عنه.

زنغ هاو: أكيد؟

ون تشينغ: (يحمر وجهه من الخجل) أكيد.

زنغ هاو: والدخان؟

ون تشينغ: (يخفض رأسه) توقفت عنه أيضاً.

زنغ هاو: (ينظر إلى أصابعه المسودة) كلام فارغ! (معتباً)

انظر، كيف سوّد الدخان أصابع يديك وحولها إلى هذا
الشكل؟ (يهز رأسه ويتنهد) كيف تواجه الناس بمثل هذه الحالة!

ون تشينغ: (لا يرغب في النظر إلى أصابعه) سوف أنظفهما .

زنغ هاو: أين تينغ؟

صه يي: (تسرع باتجاه باب صالة الضيوف وتنادي) تينغ!

جدك يريدك

زنغ هاو: ماذا يفعل؟

ون تشينغ: يطلق طائرات ورقية بصحبة الأنسة ابنة السيد يوان .

زنغ هاو: يطلق الطائرات الورقية؟ يتوقف عن قراءة الكتب

ويطلق طائرات ورقية؟

ون تشينغ: تينغ!

(يدخل تينغ من باب الصالة راكضاً)

زنغ هاو: (بصرامة) لم تركض؟ أين تعلمت هذه

الصفات السوقية؟

تينغ: (يتوقف) جدي ، العم يوان يرسم الآن «إنسان

بكين» ، قال سوف يحضر حالاً .

زنغ هاو: إي ، (إلى روي) حضري المشروب .

تينغ: العم يوان قال ، سوف يحضر معه ضيفاً .

زنغ هاو: لا بأس ، قل له ، الجود من الموجود ، هيا استدعه .

تينغ: حاضر! (يمشي بضع خطوات ثم يقف ويلتفت متردداً)
جدي ، إن ضيفه هو «إنسان بكين» .

زنغ هاو: إنسان بكين ليس كما ينبغي . (إلى ون تشينغ
لائماً) انظر إلى تربيتك لابنك حتى هذه اللحظة لا يملك شيئاً
من المنطق .

تينغ: (متردداً) العم يوان يسأل هل يبدل ملابسه؟
زنغ هاو: (غاضباً) تبديل أية ملابس ، هيا اطلب منه الحضور
فوراً . سوف يرحل أبوك بعد ساعة .

(يخرج تينغ من باب الصالة)
زنغ هاو: غريب ، أين ذهبت صوفانغ؟
صه يي: ربما ذهبت كي تعد الطعام للسيد يوان .
زنغ هاو: إي .

[يسمع صوت تينغ قادماً من ناحية الصالة .
صوت تينغ: «جدي في الداخل! جدي في الداخل!»
صوت يوان: «اهرب ، اهرب!»
يُفتح باب صالة الضيوف بقوة ، يندفع تينغ صارخاً ، تتبعه

يوان مبللة وهي تحمل سطل ماء بيد ، وشريط مفرقات نارية
باليد الأخرى . يلحق بهما تشو الصغير ، يحمل عود بخور بيد ،
وحمامة باليد الأخرى .]

تينغ: (راكضاً) جدي ، هي ، هي ...

يوان يوان: (مقهقهة) تهرب! تهرب! إلى أين ستهرب ...

(يختبئ تينغ وراء الكنبه التي يجلس عليها جده ، تلقي بشريط
المفرقات تحتها يصرخ تينغ وجده مرعوبين ، بينما يقهقه يوان
وتشو الصغير الذي يقف قريباً من الباب)

زنغ هاو: أنت ، أنت أيتها البنت ، ما بك؟

يوان يوان: سيد زنغ!

زنغ هاو: لم تثيرين كل هذا الصخب؟

يوان يوان: (بدلال) انظر يا جداه ، (تقدم له شعرها المبلل ،
وتشير إلى تينغ) هو الذي بللني!

[يسمع صوت رجل في الخارج: (ضاحكاً) قردتي الصغيرة ،
أين ذهبت؟]

يوان يوان: (بشقاوة) قردتي العجوز ، أنا هنا!

(تخرج يوان راكضة ضاحكة من باب الصالة . يتبعها تشو الصغير)

أهل بكين - ١٠م

زنغ هاو: (إلى صه) انظري ، هل هذه الأسرة جديرة بصو
فانغ؟ (يلتفت إلى تينغ) هل أنت الذي بللها منذ قليل؟
تينغ: (خائفاً) هي ، هي التي طلبت مني ذلك .
زنغ هاو: اجثُ
صه يي: أنا أرى يا سيد ...
زنغ هاو: اجثُ (يجثو تينغ) دع أفراد أسرة يوان يرون تربية
أبناء أسرة زنغ .

(تدخل يوان فرحة وهي تمسك بيد «قردها الكبير» عالم الأجناس
يوان رن قان . «القرد الكبير» في حقيقة الأمر ليس كبيراً ، إنه في
الأربعين من العمر أصلع ، باستثناء بعض الشعيرات الطويلة الزيتية
التي تنسدل على هامته من طرف إلى آخر ، تذكر بالشعر الذي
كان . ليس بطويل القامة ، وجهه أحمر ممتلئ ، صدره منتفخ
وخصره ممتلئ ، يرتدي سروالاً أصفر قديماً ، جزمة متسخة ،
قميصاً أزرق فاتح اللون ، يبدو مثل ميكانيكي سيارات . في عينيه
ملمح هدوء وذكاء ، وأحياناً يريق سخرية ، وفجأة تطفح عيناه
بنوع من النباهة التي يمتاز بها المثقفون عادة . ظل ابتسامة دائمة
على طرف فمه ، يبدو جداً لدارسي علم الأجناس ، وفي الوقت

نفسه يسخر مما آل إليه الجنس البشري من انحطاط ، أذنان كبيرتان ،
جبينه عريض ، أنفه أفطس كأنف أسد ، يبدو أحياناً كمهرج .

أعماله مثيرة للتقولات ، من الناس من يقول إنه كان
متزوجاً ، ومنهم من يقول إنه لم يتزوج أبداً ، وإن يوان هي ابنة
غير شرعية ، وإذا ما سئل عن ذلك ابتسم ابتسامة غامضة . منذ
أن بدأ حياته وهو يبحث في جمجمة «إنسان بكين» التي حصل
عليها أثناء قيامه بالتنقيب مع فريق علمي في علم الأنسجة في
التبت ومنغوليا وكانت معه ابنته مثار سخرية الآخرين في بعض
الأحيان . تبدو تلك الفتاة مثل مستحاة ، وهي لا تفهم ما من
شأنه إثارة المشاعر بين الجنسغ)

يوان يوان: (تمشي وتحدث) بابا ، أعطاني تشو الصغير عود
بخور ، أشعلت به المفرقات وطارده ، ثم رميتها تحت قدميه ...

يوان دن قان: (يهز رأسه ويضحك بينما هو يسمع همم ، همم ،
إي ... (يرى زنج هاو وقد نهض للترحيب به) شكراً لك يا عم زنج
على دعوتك اليوم لنا لتناول الطعام عندكم مرة أخرى .

زنج هاو: اليوم عيد ، فلا بأس من تناول قليل من
الحلويات . (يدعوه للجلوس) تفضل سيد يوان ، تفضل ، تفضل .

يوان يوان: (ترى تينغ فتصرخ) بابا ، انظر ، انظر ، إنه جاث!

زنغ هاو: لا تهتم به ، تفضل بالجلوس !

يوان رن قان: (يرى تينغ ، بدهشة) ماذا؟

زنغ هاو: حفيدي هذا ولد طائش ، سكب دلواً من الماء
على رأس كرىمتكم

يوان رن قان: (مبتسماً) لا بأس ، انهض ، انهض ، أنا من
أعطاه دلو الماء ذاك

زنغ هاو: (باستغراب) أنت ؟ ...

صه يي: (وقد نقد صبرها) هيا انهض ، تينغ ، اشكر عمك
السيد يوان !

تينغ: (ينهض) شكراً يا عم يوان .

يوان رن قان: (إلى تينغ) عفواً ، عفواً ، اسكبه عليّ في
المرّة القادمة !

زنغ هاو: أين ضيفك يا سيد يوان ؟

يوان يوان: (مندهشة) أبي ، مازال «إنسان بكين» في البيت !
يوان رن قان: (بخشونة) ظننت أنه جاء إلى هنا .

(تخرج يوان قافزة مثل بطّة)

زنغ هاو: (بتهذيب شديد) آه ، تفضل بالدخول . (يمشي
باتجاه صالة الضيوف)

يوان دن قان: عندما دعوتنا، كنت أرسم، ... إيه، كان
يجب أن أبدل ملابسى، ولكن (يشير إلى تينغ) قال إنك ...
زنغ هاو: (بتهديب أيضاً) قلت إن تناول الطعام لا يستدعي
تبديل الملابس

يوان دن قان: فعلاً، ولذلك أنا لم ...

(تدخل يوان من باب صالة الضيوف - وكان قد أغلق -)
يوان يوان: (تعلن عن قدوم ضيف شرف، منادية) وصل
«إنسان بكين»

(ينهض الجميع في حالة ترقب)

زنغ هاو: آ. (ينظر إلى الباب، يطفح وجهه بالابتسامة)
تفضل، تفضل (وقبل أن ينهي كلامه، فجأة يُفتح الباب وكما
لو أن عفريتاً سقط من السماء، يظهر «كائن مثل شمبانزي
متوحش». يبلغ ارتفاعه حوالي سبعة أقدام، له خصر دب وظهر
نمر، نصف عار تقريباً، جلد وحش يغطي نصف جسمه، وبقع
من الوبر تتناثر بشكل عشوائي. عينان براقتان، أنف أفطس،
فم كبير، فكه الأسفل بارز إلى الأمام أشبه بالإنسان القرد،
وشعره أيضاً مثل شعر الإنسان القرد، أقل كثافة وخشونة فوق

الكفتين . جلد أسمر غامق تحت الإبطين ، عضلاته مفتولة بلون
كستنائي . يدان ضخمتان تتحركان برشاقة يضرب بهما مؤخرة عنقه
بشكل متواصل . قوي البنية ، مخيف ، حيوي ، كما لو أن أحلام
الجنس البشري التي لا حدود لها تختبئ في جسد هذا الكائن .

(يصاب أفراد أسرة زنج - عدا روي - بالدهشة)

زنج هاو: (لم يتخيل ذلك ، يكاد أن يغمى عليه من شدة
الخوف)!!! (يتراجع)

يوان دن قان: (يتقدم كي يعرف بين الطرفين) هذا هو السيد زنج .
(يهز «رجل بكين» رأسه)

زنج هاو: هذا السيد هو ...

يوان دن قان: (ضاحكاً) هذا هو شريكنا ، سوف يذهب
معنا إلى منغوليا قريباً .

(يتقدم «رجل بكين» إلى وسط المكان ، ويبدأ بالنظر إلى
زنج وأولاده وأحفاده بشكل مخيف)

يوان يوان: (تشير في الوقت نفسه) إنه جد البشرية يا سيد
زنج . إن جدك يا سيد زنج كان على هذا النحو!

يوان دن قان: (ضاحكاً) بلا كلام فارغ يا يوان! (إلى هاو)

لا تغضب يا عم زنگ ! كان إنسان بكين قبل أربعمئة ألف سنة
على هذا النحو: يقتل متى أراد أن يقتل ، ويتقاتل متى أراد
ذلك ، يشرب الدم ، ويأكل اللحوم ، وهو لا يشبه إنسان بكين
الحضاري في الوقت الراهن .

زنگ هاو: (مدعوراً) هل هو إنسان بكين حقيقي؟

يوان دن قان: (مؤكداً) إنسان بكين حقيقي! (يضحك
فجأة) لا ، يا عم زنگ ، لا تظهر بمظهر الجاهل . ليس حقيقياً ،
هو صورة قدمها لنا فريق البحث العلمي . هو في الحقيقة أشبه
بإنسان آلي في فريقنا ولأن جمجمته تشبه إلى حد ما جمجمة
إنسان بكين ...

زنگ هاو: (يعي قليلاً) همم ، همم ، همم ، تفضل
بالجلوس! (إلى «رجل بكين» على مضض) تفضل بالجلوس .

يوان دن قان: آسف ، إنه أبكم ، لا يستطيع الكلام . (يبدأ
أفراد أسرة زنگ بأخذ أماكنهم بالترتيب ، بصوت منخفض)
هو سريع الانفعال ، إن قلت له اضرب فسوف يضرب ، من
الأفضل عدم الاكتراث له .

زنگ هاو: (مدعوراً) همم ، همم ، (إلى روي وتينغ)
روي ، اقتربا قليلاً ، اقتربا قليلاً!

(يجلس «رجل بكين» قبالة الجمهور متجهماً. يدخل تشانغ ويضع زبادي الخضار الساخن على الطاولة)
زنغ هاو: (يرفع كأسه) لأن اليوم عيد أولاً، ولأن الكبار والصغار سوف يغادرون الأسرة ثانياً، ننتهز فرصة وجود السيد يوان بيننا لتحدث ونشرب نخباً، من فضلكم، من فضلكم. (ينظر إلى «رجل بكين») آ، صديقك ...

يوان دن قان: شكراً لك!

(ينظر «رجل بكين» إلى الجميع ثم يشرب الكأس بجرعة واحدة أمام اندهاش الجميع)
يوان دن قان: سمعت أن السيد زنغ يفهم كثيراً في تقاليد شرب الشاي ...

(شجار في الخارج)

زنغ هاو: روي تشن، انظري، من هؤلاء؟ ولم الشجار؟
يوان يوان: (إلى روي) سوف أذهب وأرى بدلاً عنك!
(صه بي تهمس في أذن ون تشينغ، يقف ون ويملاً الكؤوس، تقف صه بي وراء السيد هاو. وكانت يوان قد وضعت عيدان الطعام وخرجت من باب صالة الضيوف)

صه يي: (ترفع كأساً) نخب الكنة لوالد زوجها .

زنغ هاو: (دون أن يقف) لا داعي لذلك .

صه يي: (بمظهر محترم) ون تشينغ ودع أباك .

ون تشينغ: (بصوت منخفض) وداعاً يا أبتاه .

[ينحني ون ثلاث مرات ، يقف تينغ وروي تشن .

يتبادل «رجل بكين» النظرات مع يوان رن قان . في هذه الأثناء يعود الشجار في الخارج أكثر قوة .

يتبادل ثلاثة أو أربعة رجال في الخارج العتاب والشتائم: (تأتي الجمل بشكل متناوب) هل ستعطوننا النقود أم لا . نحن ننتظر منذ الصباح الباكر النقود في عيد الخريف . من أراد أن يكون جملاً فليعل البوابة . إن كان لديك نقود رد لنا أموالنا ، وإلا كيف ستفي بديونك ، قلة أدب! ...]

زنغ هاو: ما هذا؟

صه يي: جيراننا يتشاجرون؟

زنغ هاو: (يطمئن قليلاً ، إلى السيد يوان والآخرين)

بصحتك ، بصحتكم (يشرب «رجل بكين» كأساً آخر ، إلى

تينغ وروي تهذيب) أنتما أيضاً يجب أن تودعا أيكما!

(ينهض تينغ وروي ، يحملان إبريق الخمر ويملاان الكأس
لون تشينغ)

صه يي: (تبدو بمظهر الخبيرة ، تلقنهما الكلام) قولا
«رافقتك السلامة يا أبي»

دوي + تينغ: (بجمود) رافقتك السلامة يا أبي .

صه يي: قولا «ابعث الرسائل لنا دائماً من فضلك»

دوي + تينغ: (معاً بشكل جامد) ابعث الرسائل لنا دائماً
من فضلك .

صه يي: (تعلمهما أيضاً) «نحن لا نستطيع رعاية الأسرة
بشكل دائم»

دوي + تينغ: (يرددان الكلام دون أي انفعال) نحن لا
نستطيع رعاية الأسرة بشكل دائم .

(بعد أن ينهيا كلامهما يعودان إلى مكانيهما)

صه يي: (بسرعة) قدما التحية لايكما يا أولاد! (تنظر إلى
يوان رن قان بزهو)

[يقف تينغ وروي جنباً إلى جنب وينحنان ثلاث مرات .
ينهض ون تشينغ ، ينظر «رجل بكين» إلى يوان رن قان ، يزفر
ثم يغب كأساً آخر ، يملا يوان له الكأس فيشربه أيضاً . يعود
الشجار في الخارج مرة أخرى .

أصوات: (بشكل متناوب لكن أكثر شراسة) بأي عيد
تحتفلون؟ عندكم نقود، لكم أن تحتفلوا بالعيد؛ ليس عندكم
نقود، لماذا تسخرون من صغار التجار أمثالنا. مستحقات عيد
قارب التين لم تدفعوها لنا حتى الآن، لم تدفعوا لنا قرشاً حتى
الساعة. هل يصعب عليكم دفع ألف يوان؟

صوت تشانغ شون من الخارج: (ناصبهاً) لا تصرخوا هنا!
.. ابتعدوا، ابتعدوا، السيد هنا، ابتعدوا...

صوت الآخرين: (بسخرية) السيد ظالم! أي ثروة هذه التي
يتباهى بها! ليس لديه نقود، هو مثلنا إذاً، يالها من أسرة معدمة!
(يستمر الشجار في الخارج ...). يوان رن قان هو الآخر
يصغي للشجار.]

صه يي: لا ينبغي على الجار ...

(تدخل صوفانغ من باب الصالة بشكل عنيف)

زنغ هاو: من؟

صوفانغ: (لاهثة، تنهز من الإجابة) لا أحد.

صه يي: (بابتسامة ماكرة) سيد يوان، أعرفك على الأنسة

صوفانغ! (ينهض يوان تلتفت صه يي إلى صو) السيد يوان!

(تدخل المربية من باب الصلاة وهي تلف مئزراً حول خصرها ،
تحمل صينية خضار كبيرة وهي على عجلة من أمرها ، يتبعها تشو
يحمل حمامة ييد ويمسك ثوب جدته باليد الأخرى)

المربية (تكلم وهي داخلة ، بانزعاج) لا تشدني يا ولد ،
اللجنة ، لا تشدني (تضع صينية الخضار على الطاولة ، بسرعة)
الطعام جاهز! (تعود من حيث أتت يتبعها حفيدها)

صو فانغ: (بصوت منخفض) زوجة ابن خالتي!

صه يي: (توزع عيدان الطعام) سيد يوان ، هذا الطعام ، صو
فانغ هي . . . (تشد صو فانغ ثوبها ، تلتفت صه إلى صو) آ؟

زنغ هاو: (يمسك بعيدان الطعام) تفضل! تفضل!

صو فانغ: (محتارة) عمال الدهان ... إنهم ، إنهم ...

(يُفتح الباب ، يدخل أربعة من تجار التوايت قصيري القامة
بديني الجسم . يحاول تشانغ إيقافهم ، تتبعهم يوان يوان)

تشانغ شون: لا يجوز ، لا يجوز ، يوجد ضيف!

التجار: (يقتحمون المكان ، يعوون مثل كلاب برية) لا علاقة
لك ، نحن نريد ديننا! سيدي . . . سيدي! . . . سيدي إن كان
عندك نقود هاتها . وإن لم يكن ...

زنغ هاو: اخرجوا! اخرجوا!

صه يي: (في الوقت نفسه وبصوت قوي) هيا
اخرجوا، اخرجوا!

(تخرج ون تساي من غرفتها مندهشة)

التجار: (يتدافعون إلى الأمام) ولماذا نخرج؟ ... ادفعوا
لنا، وإلا لا تغلطوا معنا، ... نحن تجار صغار! ديون عيد قارب
التنين كلها لم تسددوها. ... لا داعي لهذه الكبرياء الزائفة ...
ادفعوا لنا، ادفعوا لنا! (يجمد هاو من شدة الغضب، تبتسم
صه ابتسامة مأكرة، يقف أفراد الأسرة بيلاهة، يصرخ التاجر
الأول والثاني) لا تصمتوا، لا تتظاهروا بالبلاهة! (يصرخ الأول)
عندك نقود ندهن التابوت! (يصرخ الثاني) ليس عنك نقود فلن
ندهن التابوت! (الثالث) نحن أيضاً عندنا آباء وأمهات، نفضل
أن نلقه في حصيرة (الأول، يشير إلى أفراد أسرة زنغ) ولا نتركه
جثة هكذا!

(ينظر يوان رن و«إنسان بكين» معاً إلى التجار، وفي
هذا الوقت)

يوان رن قان: (يصرخ) اخرجوا!

التاجر الأول: (خائفاً) كيف؟

يوان دن قان: (ضاحكاً) أنا أعطيك النقود!

التجار: (بإصرار) نحن ، أنا (يشيرون إلى هاو) ...

(ينهض «رجل بكين» بشكل بطيء ، كثير الشبه بالإنسان
القرد ، تقدح عيناه شرراً ، يصرخ بقوة ويلوح يديه طالباً منهم الخروج)
التجار: (يشهقون نفساً عميقاً) حسناً ، أن تدفع لنا فحسن!
أن تدفع لنا فحسن! (يتراجعون مذعورين)

(يخرج «رجل بكين» بخطى ثقيلة ، تلحق به يوان ، يتبعهما
يوان دن)

تينغ: (قلقاً) عم يوان!

يوان دن قان: (يهز رأسه مبتسماً ، يلوح يديه ، يشد
قبضته ، يخرج)

زنغ هاو: كيف ، كيف حدث ذلك؟

[يُسمع فجأة صوت لكمة في الخارج ، وصوت مذعور:
«كيف تضرب إنساناً!» صوت شيء ما ينكسر ، صخب
شجار وشتائم وصرخات ألم متتالية . يتجمع مَنْ في الداخل
مرعوبين .]

زنغ هاو: أغلقوا الباب ، أغلقوا الباب!

[تسرع صه لإغلاق الباب .

صوت يوان يوان: (يبدو أنها تراقب قتلاً ، وهي تهتف مشجعة) «رائع ، لكمة أخرى ، ولكمة ثالثة! ضربات رائعة! اضربه على قفاه! بقدمك ، اضربه بقدمك! اضرب أمامك! ضربة أخرى! ممتاز ، عضه ، بكل قوتك لكمة أخرى!» (هتاف الفوز النهائي) ممتاز! (هدوء تام)]

تينغ: (يمشي باتجاه الباب بعد أن نفذ صبره ، يرغب في فتح الباب والقاء نظرة)

صه يي: (بصوت منخفض ، قلق) لا تخرج ، هل تريد أن تموت؟

(يصغي الجميع بهدوء . يدخل يوان رن قان مشعث الشعر ، يتسم ابتسامة عريضة ، وهو يفرد كُمَّيه)
يوان رن قان: (ما زال يفض كميّه)

(يدخل «رجل بكين» بخطى واسعة وهيئة مخيفة ، على وجهه بقايا دم . تتبعه يوان يوان بنشوة المنتصر)
زنغ هاو: (بصوت منخفض) رحلوا كلهم؟

يوان دن قان: هربوا!

يوان يوان: (تقف فجأة على كرسي وتتسلق إلى كتفي «رجل بكين» «إنسان بكيننا» قتلهم!

(يهز «رجل بكين» رأسه، ويكشر مبتسماً لأول مرة.

يحدد الجميع به يجلس زنج هاو في حالة شلل تام)

صه يي: (تكسر فجأة حالة الضيق، مبتسمة) لنأكل. (إلى

يوان رن) زبدية الخضار هذه (تشير إلى صو) أعدتها صو فانغ

خصيصاً لك! (تبتسم إلى ون تشينغ ابتسامة باردة)

(يعود أفراد الأسرة إلى مقاعدهم)

تنزل الستارة

الفصل الثاني

[الساعة الحادية عشرة ليلاً من نفس اليوم ، صالة الضيوف الصغيرة في بيت زنع .

كل ما في البيت يبدو ساكناً كالموت . عراف أعمى يقرع على ناقوس نحاسي في مكان بعيد من الزقاق ، يبدو أنه يعود لتوّه إلى بيته . بين الحين والآخر يسمع صوت فتاة متقطع وممدود يأتي من نهاية شارع موحش وهي تنادي لبيع بضاعتها .

ضوء الفانوس القماشي داخل الصالة خافت وهو يضيئ دائرة ليست كبيرة ، عتمة تلف الخطوط والرسوم والتحف على الجدران ، اللوحات الجدارية تبدو بشكل ضبابي ، وقد أغلقت ستائر النوافذ بشكل كامل . حزمة ضوء من الفانوس القماشي القديم تتسلل عبر شق عريض وتضيئ أعلى باب الصالة الكبيرة . مصاريع الباب أنيرت بشكل لا بأس به ، ستارة من ورق تغطي النصف الأدنى من درفات الباب باستثناء الزخارف

الخشبية التي في وسطه ، يتسرب الضوء من خلال الشقوق بين درفة وأخرى ، يبدو ظل غير واضح لشخص يتحرك فوق الستارة تلك . فجأة يسمع صوت همهمة وسعال داخل الصالة الكبيرة .

وضع عدد من الشمعدانات فوق الطاولة القريبة من الجدار إلى اليسار ، وفيها شمعة احترقت حتى نصفها . أضيفت طاولة واطئة في وسط الصالة ، وفوقها موقد طيني أحمر صغير ، يبدو نظيفاً جداً ، وعلى الموقد إبريق ماء حديدي صغير ذو طراز غربي . تتراقص النار في الموقد . قررة الماء في الإبريق أشبه بأنين مكتوم لطفل يبكي . وهناك طاولة ناعمة من خشب الورد وعليها أدوات الشاي . يجلس ون تشينغ على كرسي بالقرب من الموقد شاحب الملامح . تجلس المريية على الكنية المقابلة ، تقلم بمقص أظافر تشو الصغير الذي يجلس على كرسي قريب . تشو يغط في نوم عميق .

يومض ضوء خافت في غرفة التريبة ، يبدو تينغ وقد أضناه التعب وهو يقرأ بصوت واطئ «مقامات أنغام الخريف»^(١) .
يُسمع صوت صفاقات خشبية في نهاية الزقاق .

(١) مقامات أنغام الخريف ، للكاتب أو يانغ شيو (١٠٠٧-١٠٧٢م) من مواطني مقاطعة جيانغشي . أديب من أدباء سونغ الشمالية ، مؤرخ . من مؤلفاته ((مجموعة أعمال أو يانغ)) .

المربية: (تكلم بينما تُقلم أظافر تشو) هل تنوي حقاً الرحيل
غداً يا سيد تشينغ؟

ون تشينغ: (يهز رأسه)

المربية: أرى أن تنسى موضوع السفر ، ما دام قد فاتتك
رحلة اليوم ، وأن تبقى ليومين آخرين ، ريثما تظهر نتيجة الأنسة
صو مع السيد يوان .

ون تشينغ: (يهز رأسه)

المربية: هل بدا السيد يوان راضياً اليوم أم لا؟

ون تشينغ: (يخفض رأسه ، يتردد في الإجابة) لم أنتبه له .

المربية: (تضحك) بدالي أنه كان راضياً ، كان يتطلع حيث
تجلس الأنسة صو أثناء تناول الطعام .

ون تشينغ: (ينظر إلى المربية ، يبدو لم يفهم ما قالته)

المربية: هل ترى أن موضوع ...

ون تشينغ: (يطلق زفرة طويلة)

المربية: (تنظر إلى ون ، ثم تحجم عن الكلام)

(يكبو تشو الصغير برأسه ، يهمهم بكلمات غير مفهومة ، ثم

يغط في نوم عميق)

المربية: (وهي تُقلم أظافر تشو) آه ، وأنا أيضاً ينبغي أن أعود إلى بيتي (تشير إلى تشو) أمه انتظرت عودتنا هذا المساء (يكبو تشو مرة ثانية ، تمسك به) لا تتحرك يا فلذة كبدي ، دع جدتك تقلم أظافرك (بحنان) آه ، إنه متعب هو الآخر ، مشى منذ الصباح الباكر ثم لعب مع الأنسة يوان طوال اليوم ، لا يشبه أولاد الريف أولاد المدن ، فهم يأكلون عندما يجوعون ، وينامون عندما يتعبون ، حقاً لا يشبه أولاد الريف أولاد المدن ... (تنظر إلى تينغ في غرفة التربية ، بشفقة وبصوت واطئ) يا سيدي الصغير ، يا سيدي الصغير .

تينغ: (يستمر بالتلاوة) «... يتنهد ، النبات بلا رحمة ، حين تذروه الرياح ، الإنسان مع الحيوان ، والروح في المادة وحدها ، القلب مهموم ، والجسم مرهق يتحرك ، فتهتز الروح . ولكن لا طاقة لي على هذا التفكير ولا حكمة لي على هذا القلق والهم .

(دقات صنج في الزقاق)

المربية: قراءة في هذا الوقت المتأخر ! إنه عيد الحريف ، وقد انتصف الليل .

ون تشينغ: آه ، لم ينتصف الليل بعد .

المربية: يغط أولاد الريف في نوم عميق في مثل هذا الوقت . (تقلم آخر ظفر) حسناً ، اذهب ونم ، ولا تبق تكبو هنا .

تشو الصغير: (يفرك عينيه) لا ، لا أريد أن أنام .
ون تشينغ: (يبتسم) لقد تأخر الوقت ، الساعة تقارب
الحادية عشرة!

تشو الصغير: (يشد من همته) لست نعساً .
المربية: (بين الحب والغضب) حسناً ، لا تنم . (إلى تشينغ)
حقاً ، يتغير أولاد الريف عندما يأتون إلى المدينة . انظر إليه يعز
عليه أن ينام .

(يخرج تشو حبة فستق بالسكر ويضعها في فمه ، دون أن
يتنبه إلى قطعة السكر التي في يده الثانية)
المربية: آه ، لم يظهر البدر في عيد الخريف هذا ماذا
هناك؟ لم تأت السيدة صه بي . (تنادي) صه بي! (إلى تشينغ)
ماذا تفعل داخل الغرفة؟ (تنهض) صه بي ، صه بي!
ون تشينغ: لا ، لا تناديهما .

المربية: يا صغيري تشينغ ، إذاً ، ادخل إليها أنت .
ون تشينغ: (يهز رأسه ، يتلو بأسى آياتاً من «دبوس العنقاء»
للشاعر لويو)^(١) «...الرياح الشرقية ضارية ، قاسية جذلة ،

(١) - لويو (١٢٥٠-١٢١٠م) من مقاطعة شاو شينغ ، من كبار شعراء سونغ الجنوبية .
من مؤلفاته ((ديوان جيان نان)) ، ((مختارات جنوب نهر ويخه)) ، ((كتاب تانغ
الجنوبية)) ، ((خواطر الدير القديم)) ، ((مقامات الراعي العجوز)) . تزوج لأول مرة من
أسرة تانغ ، ثم طلق زوجته تحت تأثير أمه ، ((دبوس العنقاء)) يصور حجم ألمه .

في صدري هم وحزن ، كم سنة من الوحدة عشت . خطأ ،
خطأ ، خطأ ...» .

المربية: (تزفر) آه ، هذه جريمة يا سيدي تشينغ ، ربما أنت
مدين للسيدة في حياة سابقة ، لذا هي تعذبك في هذه الحياة .
ولكن ، ولكن إلى متى ، فهي لم تتكلم كلمة واحدة طوال
المساء ، ... ماذا تريد؟

ون تشينغ: من يدري؟ تدعي أن معدتها تؤلمها وتشعر بالغثيان .
المربية: (تلمح تشو الذي يأبى الجلوس بلا عمل ، يهم بلمس
إبريق الشاي ، تصرخ معنفة) تشو ، اترك من يدك ، إن جلدك
يحكك! (يجلس تشو بأدب ، تلتفت إلى تشينغ) غريب ، ألم
يعلن زوج أختك أنه ينوي الرحيل اليوم؟ لم حتى الآن ...

ون تشينغ: آه ، هو الآخر لا يكف عن الثثرة . (بلهجة
حزينة) إنه مثلي: أنا لا أتكلم ، ولم أفعل شيئاً في حياتي؛ وهو
يصرخ طوال الوقت ، ولم يفعل هو الآخر شيئاً في حياته .

(تدخل ون تساي من باب غرفة التريبة ، تحمل بيدها شمعة
غير مشتعلة ، وزوج من عيدان الطعام ، وصحن أرز ولحمة
محمرة بصلصة الصويا ، وتشكيلة من المخلل)

ون تساي: (بوهن) مرييتي ، ألم تنامي بعد؟
المربية: لا ، هل يريد زوجك أن يشرب أيضاً؟
ون تساي: (مراوغة) لا ، ليس هو ، بل أنا .
ون تشينغ: أنت؟ آه ، لا تدعيه يفرط في الشراب .
ون تساي: (تزفر زفرة طويلة ، تضع الصحن والعيدان)
أخي ، لقد انفجر باكياً هذا المساء .

المربية: زوجك؟

ون تساي: (تخرج منديلاً وتمسح دموعها) لقد اعتذر مني ،
إن قلبه ينفطر من الألم ، قال إن حياته انتهت . لقد رأيته جديراً
بالشفقة ، شعرت أنني أنا التي أرهقته . آه ، بسبب حظي السيئ
خسر أمواله وأعماله (تنهمر دموعها) مرييتي ، أين أعواد الثقاب؟
المربية: سوف أشعل النار لك ...

ون تشينغ: (يحمل علبة من فوق الطاولة) هنا!

(تأخذ المربية علبة الكبريت من تشينغ ، تشعل الشمعة
لون تساي)

ون تساي: (تأخذ شمعداناً من فوق الطاولة) قال إنه متضايق
ويريد أن يشرب قليلاً أخي ، هل تعتقد أنني السبب في عدم
سعادته ...

ون تشينغ: (يتنهد) ليشرب ، أن يستطيع المرء أن يشرب
فهذا أمر جيد .

المربية: (تعيد الشمعة إلى ون تساي) هل مازال السيد الكبير
يطفىء الضوء في الحادية عشرة؟

ون تساي: (تضع الشمعة في الشمعدان) . (باهتمام) سوف
أخذ له الشمعة ، قبل أن تُطفىء الأنوار فجأة بينما هو يشرب
فيزداد كآبة .

المربية: سوف آخذها له .

ون تساي: لا تفعلي . (تحمل الشمعة وعيدان الطعام والصحن
وتدخل إلى غرفتها)

المربية: (تهز رأسها) يا لقلب المرأة الشقي . (تعود ون
تساي مسرعة)

ون تساي: أين جيانغ تاي؟

المربية: دخل إلى الصالة الكبيرة منذ قليل .

ون تشينغ: ربما هو يتحدث مع السيد يوان .

ون تساي: (تقترب من الموقد) أخي ، هل أنت بحاجة إلى
هذا الماء المغلي أم لا؟

ون تشينغ: (يهز رأسه بأسى) ون تساي ، ارتاحي قليلاً ، لا ترهقي نفسك إلى هذا الحد .

ون تساي: (تبتسم بأسى) حاضرة .

(تأخذ ون تساي إبريق الماء وتدخل إلى غرفتها . يضع ون تشينغ إبريقاً آخر فوق الموقد ، تبدأ الماء بالقرقرة) .
تينغ: (يقترب ويده كتاب) أبي ، سوف أذهب إلى جدي في غرفته .

ون تشينغ: (يطأطئ رأسه ويضع جرة من فخار من يده) اذهب .

المربية: (تتقدم) حفيدي! (بصوت منخفض) إذا سألك جدك عن أهلك فلا تقل له إنه لم يرحل .
تشو الصغير: (يستيقظ ، يلتفت فجأة وبحيوية) قل إنه قد استقل القطار في وقت مبكر .

المربية: (تضحك) من قال لك ذلك؟

تشو الصغير: (يصرُّ عينيه) أنت نفسك من قال لي ذلك .

المربية: ياله من ولد! (إلى تينغ) اذهب ، انته من الكتاب واذهب إلى غرفتك ونم وإن طلب منك جدك القراءة ثانية قل له إن مريتي طلبت مني أن أستريح!

تينغ: حاضر . (يغادر عبر غرفة التربية)

ون تشينغ: تينغ؟

تينغ: ماذا؟ أبي؟

ون تشينغ: (باهتمام) ما حالك في هذه الأيام؟

تينغ: (جانباً) لا شيء يا أبي (يغادر مسرعاً) .

المربية: (ترقب تينغ وهو يخرج ، توبخ حفيدها بأسف)
تعلم منه ، إنه يكبرك بسنتين فقط ، إنه يقرأ كتباً أكثر مما تأكل
من طعام . إنك تلتهم في الوجبة الواحدة أربع زبادي كبيرة ،
معدتك المنتفخة ..

تشو الصغير: (فجأة) جدتي ، اسمعي ، من يناديني؟

المربية: هراء! لا تعاملني كصماء لا أسمع .

تشو الصغير: حقاً ، اسمعي ، أليست الأنسة يوان ...

المربية: أين؟

تشو الصغير: اسمعي .

المربية: (باهتمام) الأنسة يوان تساعد والدها في الرسم .

تشو الصغير: (يمارح جدته) حقاً ، أصغي: «تشو ، تشو»
أليست الأنسة يوان؟ أصغي «تشو ، أحضر لي الحمامة» (يشرق

وجهه فجأة) حقاً، جدتي إنها تطلب مني الحمامة! (يركض باتجاه الصالة الكبيرة).

المربية: (تلتحق به ضاحكة) خدعت جدتك مرة ثانية أيها العفريت .

(يركض تشو حتى الستارة الورقية أمام الباب . بناءً على ما اعتاد عليه بيت زنج من قطع التيار الكهربائي عند الحادية عشرة ليلاً ، يعم الظلام فجأة! يظهر فوق الستارة ظل ضخيم للإنسان القرد، يربض أمام النظارة، حالة من الانكماش تظهر على الجميع . نار الموقد وحدها تضيء الوجوه)

تشو الصغير: (يحدق ثم ينادي خائفاً) جدتي! (يركض ويحتمي في حضنها)

المربية: ياه، ما، ما هذا؟

ون تشينغ: (يجلس قريباً من الموقد) لا تخافا، هذا ظل لإنسان بكين .

إسمع صوت يوان دن قان من الداخل: «هذا جد البشرية، وهو أملها أيضاً. إن أراد الإنسان في ذلك الزمن الحب أحب، وإن أراد الكره كرهه إن أراد البكاء بكى، وإن أراد الصراخ صرخ، لا يخاف الموت، ولا يهاب الحياة. لا يهتمون إلا

لطبائعهم ، يعيشون بحرية ، لا تقاليد تقيدهم ولا ثقافة تحد من حريتهم ، لا نفاق ، لا غش ، لا غدر ، لا دسائس ، لا قتال ولا قلق ؛ يأكلون اللحم ، ويشربون الدماء ، الشمس تلفحهم ، الريح تعصف بهم ، والمطر يبللهم ، لا يوجد إنسان يأكل لحم إنسان بهذا العدد كما هو الآن ، وهم سعداء! » [

(تُفتح إحدى درفات الباب فجأة ، فتدخل حزمة من ضوء قنديل كاز في الصالة الكبيرة ، جيانغ تاي يُشعل شمعة ، يدخل يوان رن قان . يرتدي جيانغ صدرية غريبة الطراز ، يلبس يوان لباساً أسمر اللون ، أكمامه طويلة ويضع في فمه غليوناً ، ينفث الدخان منه باستمرار)

جيانغ تاي: (يبدو مخموراً ، يردد آخر جملة ، مؤكداً) وهم سعداء جداً .

ون تشينغ: (يقف ، إلى المربية) أشعلي الشموع .

المربية: حاضر . (تشعل الشموع)

يوان يوان في الصالة الكبيرة: (في الوقت نفسه) « تشو ،

تعال وانظر » [

تشو الصغير: (يدخل إلى الصالة ، يغلق الباب بلطف ، فيبدو

ظل إنسان بكين رابضاً مثل جبل صغير)

جيانغ تاي: (يضع الشمعة وهو منفعل ، يجتر الجملة الأخيرة ، يرددها دون إحساس) وهم سعداء جداً . صحيح! صحيح! كلامك صحيح يا سيد يوان ، لا يمكن أن يكون إلا صحيحاً . أنظر أي حياة نعيش؟ خيبة وتدمير طوال اليوم . نموت بحزن ، ونعيش بحزن ، لا حل لقضايانا الحزينة ، ولا خلاص لأرواحنا الحزينة ، نعيش بحزن لا نجد ما نأكل ، ونموت بحزن لا تابوت نرقد فيه . نأمل طوال اليوم ، نأمل ، ولكن لا أمل! هو على سبيل المثال (يشير إلى تشينغ)...

ون تشينغ: لا تدمر ثانية وتجعل السيد يوان يضحك علينا .
جيانغ تاي: (مؤكداً) لا ، لا ، السيد يوان باحث في علم الأجناس ، وهو لا يمكن أن يضحك من ضعفنا . تفضل ، تفضل سيد يوان! اجلس ، اجلس لتتحدث . (يجلس هو ويوان قريباً من الموقد ، يأخذ لفافة تبغ من فوق الطاولة ، فجأة) آ ، أين وصلت في كلامي منذ قليل؟

يوان دن قان: (يبتسم) قلت ، (يشير إلى ون تشينغ) هو على سبيل المثال ...

جيانغ تاي: آ ، هو على سبيل المثال ، (إلى تشينغ ، بحزن) أنا حقاً لا أحب الثروة ، ولكن اسمح لي بقول بضعة

جمل ، ولكن ماذا لدي؟ ماذا في حياتي؟ (إلى يوان) حسناً،
هو مثلاً، أخو زوجتي هذا إنسان طيب ، طيب مائة بالمائة،
أنا أعرف أنه حزين .

ون تشينغ: لا داعي لهذا الهراء .

جيانغ تاي: (يبتسم بمكر) آ ، لا تتهرب ، ثم أنني لست
أحمقاً . (يشير إلى تشينغ ويتكلم بصراحة إلى يوان) إنه حزين ،
وهو يحلم بأسرة سعيدة ، يعيش طوال عمره مع الفتاة التي تفهمه
حقاً . (باهتمام) حلمه هذا حلم مشروع طبعاً ، نعم ، وعادل ،
وهو جدير بمشاعر العطف ، ومنذ عشرين سنة فقط اكتشف
أن تلك الفتاة التي يعيش معها تفهمه . ولأنه جبان فهو لا يجرو
على مواجهتها؛ وإن التقى بها فهو لا يجرو على حبها . كبرت
الطفلة وصارت فتاة ، وكبرت الفتاة وصارت امرأة مثل باقة
ورد ذابلة ، تموت من الهم ، هو يتعذب ، وهي كذلك ، وحتى
اليوم ، ما زالت هذه المرأة ...

ون تشينغ: (يضيق ذراعاً به) لقد أسرفت في الشراب .

جيانغ تاي: (يهز يده مبتسماً) اطمئن ، لم أشرب الكثير ،
سوف أصمت عند هذا الحد لن أتكلم أكثر من ذلك . (إلى
يوان) انظر ، رجل مثله يتعفن هكذا طوال اليوم في البيت ،

أشبه بتابوت قديم ، يلى ببطء ، يتفسخ ببطء ، يحلم ويرسل
الزفرات طوال اليوم ، يصبر على مضض ، مهموم ، كسول ،
كسول ، كسول لا يأتي بحركة ، ولا يجروء على الحب ولا
على الكراهية ، لا يجروء على البكاء ولا على الصراخ ، أليس
هذا هو الانحطاط بعينه ، انحطاط الجنس البشري؟ (يشير إلى
نفسه) أنا على سبيل المثال ... (يشعل سيجارة ، يدخن ويتكلم)
درست لأكثر من عشرين سنة ...

يوان دن قان: (يبتسم والغليون في فمه) كنت أعتقد أنك
سوف تقول «على سبيل المثال» هذه .

جيانغ تاي: (يسترسل في الكلام) طبعاً أنا لا أنتقده . فأنا
مثلاً ، أحب المال ، أفكر بالمال ، أتمنى أن أصبح غنياً ، وعند
ذاك سوف أنفق ثروتي على الأصدقاء والفقراء . أريد أن أشبه
بما قاله الشاعر دو فو ، أرغب السكن في عمارات شاهقة
وقصور عظيمة لا تحصى ، أدعو إليها أصدقائي وفقراء ما تحت
السماء ليأكلوا بالمجان ، ويشربوا بالمجان ، ويسكنوا بالمجان ،
وأنا أبحث في العلم ، والجمال ، والأدب ، وفي كل الأشياء
التي يفضلون ، أفعل ذلك من أجل الصين ، ومن أجل سعادة
الجنس البشري . ولكن حظي سيئ يا سيد يوان ، العفن يطال

كل الأماكن ، والصعوبات تعترض طريقي ، ولا أعرف كيف
ينهار ويفسد كل شيء يقع بين يدي . نخطط طوال اليوم لما في
السماء ، ونمثل طوال اليوم لما في الأرض . إننا نرسل الزفرات
فقط ، نحلم ، نحزن ، نعيش فقط لنقدم الطعام الفاسد لمن في
عهدتنا ، نحن أموات أحياء ، أحياء أموات ، بجملة واحدة
موتى في الحياة ! قل (يشير إلى رأسه) بشر مثلنا ، أليس هم خلف
فاسد له (يشير إلى ظل إنسان بكين)

يوان دن قان: (يهز رأسه بصمت ، ثم يتنسم) تفضل
اشرب الشاي !

جيانغ تاي: (يتناول كأساً) نعم ، شرب الشاي على سبيل
المثال ، هذا السيد أخو زوجتي من أكثر الناس اهتماماً بشرب
الشاي . عندما ينتهي من أمر ما ، عندما يسعل ، أو يحرق
البخور ، وعندما يجلس بهدوء ، يشرب الشاي . لسانه لا يميز
نكهة ورق الشاي ، عمره ، منشأه ، طريقة تحضيره فحسب بل
هو يميز الماء المستخدم في كل كوب ، ماء جبلي ، ماء نهري ،
ماء بئر ماء ثلجي ، وهل هو مغلي على نار فحم نباتي ، أو فحم
حجري ، أو على نار قش . والشاي بالنسبة لنا يروي العطش
ويبل الريق ، وهو مدر للبول ، وهو مصدر إلهام لنا في كثير من

المعاني . ولكن ما فائدة ذلك؟ فهو لا يستطيع أن يزرع الشاي ،
لا يستطيع أن ينشئ شركة للشاي ، لا يستطيع العمل في تجارة
الشاي ، كل ما يستطيعه هو أن يشرب الشاي ، يشرب ويشرب
كي يتقن الشرب أكثر ، ويكتشف الطرق الأمثل لذلك ، أليس
هو شرب ليس إلا؟ وما فائدة ذلك؟ سؤال من فضلك ، ما
فائدة ذلك؟

(تخرج ون تساي من غرفتها)

ون تساي: تاي!

جيانغ تاي: أنا قادم .

المربية: (تقترب وتحتة) اذهب بسرعة يا صهري .

جيانغ تاي: (يقف ، يتردد في المغادرة) أنا على سبيل

المثال ...

المربية: لا تقل لي على سبيل المثال وعلى سبيل المثال وإلا
فلن تنتهي من الكلام . كره السيد يوان ثرثرتك .

جيانغ تاي: نعم ، أنت لا تنزعج لو تكلمت قليلاً دكتور يوان .

يوان دن قان: (يتسم) آه ، طبعاً لا ، تفضل .

جيانغ تاي: على سبيل المثال ... (تقترب ون تساي وتشده

إلى الداخل ، يتوسل لها) ون تساي ، دعيني أتكلم ، دعيني أتكلم! (إلى يوان) أنا على سبيل المثال آكل جيداً ، ذواقة في الأكل ، أستطيع أن أدلك إلى كل المطاعم التي تقدم الذ الأطفمة في البلد. (يعتد بنفسه ، كما لو أنه يسرد سلسلة من الدرر) شرائع اللحم في مطعم الشمس والقمر ، البط المشوي في مطعم الأزقة الرخيصة ، الخبز المحمص في مطعم الحياة المشتركة ، بيض السمك والغراب في دار نشوة الضيافة ، البط المحمر في دار الجمال والبراعة . من المطاعم الصغيرة مثلاً ، اللحم بالعجين في مطعم موقد الفيل ، المعكرونة في حصن الغصون ، الكروش المطبوخة في دار الأسرة الذهبية ، حتى ...

ون تساي: هيا امش!

جيانغ تاي: حتى لحم الغنم المحمر بالصويا في مطعم القمر ، مخللات ليو بي جو ، جبن وانغ تشي خه ، عصير القراصيا عند شين يوان تشاي ، المحلالية في القاعة الكبيرة ، شيش برك في إن ده يوان ، اللحم المطبوخ في مطعم الأواني الفخارية ، خمر شاو شنغ في ربيع أزهار المشمش ، لا يوجد مدير مطعم واحد في تلك المطاعم لا أعرفه ، لا يوجد مطبخ ، قاعة ، طاولة لا أعرفها ولكن ما الفائدة؟ فأنا لا أستطيع أن أطبخ ، لا أستطيع أن

أفتح مطعماً، مطعماً للإوز و كروش الغنم في بلد أجنبي وأربح
مالاً أجنبياً. أستطيع أن آكل فقط ، وآكل! (لم يكتف بما قاله ،
يضرب رأسه) ماذا علي أن أفعل ، وأي خيبة هذه. عملت
موظفاً وخسرت أموال الوظيفة ، عملت في التجارة فخسرت ،
درست ولم أستفد مما درسته . (بالم) أحيا حياة مجون في بيت
زوجتي طوال اليوم ، أتكلم ، أثثر ، أنتقد ، أشتم ، لا أستطيع
تأمين سكن خاص ، وزوجتي لا تحب سماع ما أقول .
ون تساي: (تقاطعه) تاي!

جيانغ تاي: (بنشيج) أحمل الجميع لرؤيتي غير سعيد طوال
اليوم ، لا نفع في ، يغتابني الجميع بأنني إنسان لا خير فيه ،
آ ، ون تساي ، حقاً أنا عبء عليك ، واعتذر منك من صميم
قلبي (يجهش بالبكاء)

ون تساي: (تناديه) تاي ، تاي ، لا تبك ، أنا لست بالمرأة
الجيدة ، وقد أرهاقتك .

المربية: هيا إلى الداخل ، لقد أفرطت في الشراب .
جيانغ تاي: (يهز رأسه) لم أشرب ، لم أشرب ، قلبي
حزين ، قلبي حزين ، آه ...

(ون تساي والمربية تحتانه على الدخول إلى غرفته)

ون تشينغ: (يزفر) تفضل واشرب كأساً آخر .
يوان رن قان: لقد شربت بما فيه الكفاية ، لقد أكلت كثيراً
على الغداء هذا اليوم . سيد تشينغ ، لدي أمر أرغب بعرضه
عليك ...

ون تشينغ: تفضل ...
يوان رن قان: أنا ...

(تدخل صو فانغ من غرفة التريبة ، تحمل بطانية بيد ، وشمعة
باليد الأخرى)

يوان رن قان: آنسة صو .
صو فانغ: (تومئ برأسها)
ون تشينغ: هل نام أبي؟
صو فانغ: (تومئ برأسها)
ون تشينغ: ما الأمر يا سيد يوان؟

(يعود جيانغ تاي ويده زجاجة براندي)
جيانغ تاي: ما رأيك بكأسين شراب يا سيد يوان؟
يوان رن قان: لا ، (يشير إلى الظل) إنه ينتظرنني .
جيانغ تاي: (يرفع الزجاجة) براندي ممتاز ، هل تشرب يا
ون تشينغ؟

ون تشينغ: (لا يجيب ، يتأمل صوفانغ)
جيانغ تاي: (بحيرة) آ ، كيف ، أنتم الثلاث هنا .

[المربية من الداخل: يا صهري !]

جيانغ تاي: (يهز رأسه ، يزفر) آه ، لا أحد يفهمني ، لا
أحد يفهمني . (يدخل إلى غرفته)

ون تشينغ: سيد يوان ، قلت منذ قليل ...

[صوت يوان يوان من الداخل: بابا ، بابا ، تعال بسرعة ، لقد

انتهيت من قص ظل لإنسان بكين]

يوان دن قان: (ينظر إلى صوفانغ تشينغ) لنؤجل
الموضوع الآن . (بهدوء وفطنة) ليس هناك أي موضوع ،
قردتني الصغيرة تناديني .

(يزيح يوان ستارة باب الصالة الكبيرة ويخرج ، تتسرب
حزمة ضوء ثم تختفي يظهر فجأة ظل إنسان بكين فوق
الستارة الورقية)

(هدوء ، دقات صنج في مكان بعيد)

ون تشينغ: (بلهفة) هل أعطتك المربية اللوحة؟

صوفانغ: (تومئ برأسها)

ون تشينغ: (بصوت منخفض) أنا، برويتك مرة ثانية،
سأرحل وأنا مرتاح.

صو فانغ: (تنظر إلى باب غرفة تشينغ ولا تجيب)
ون تشينغ: (يشير إلى الباب) أغلقت الباب
ونامت. (يطأطأ رأسه)

صو فانغ: (تجلس)

ون تشينغ: (فجأة) صو فانغ!

صو فانغ: (تنهض)

ون تشينغ: ما بك؟

صو فانغ: طلب مني زوج خالتي أن أحضر الكتاب الطبي.

(تخرج المريية من غرفة ون تساي)

المريية: الأنسة صو فانغ هنا. (تذهب مباشرة باتجاه غرفة التريية)

ون تشينغ: أين تذهبن أيتها المريية؟

المريية: (مراوغة) إلى حفيدي الصغير لأرى هل انتهى من
القراءة أم لا؟

(تغادر من باب غرفة التريية، دقتا صنج في مكان بعيد)

ون تشينغ: صو فانغ، سوف أرحل غداً من كل بد، ولن
أعود (يتوقف) إلى هذا البيت مرة أخرى.

صو فانغ: (مؤكدَة) صحيح أنك لن تعود إليه .
ون تشينغ: إي قررت عدم العودة . فكرت طوال مساء هذا
اليوم ، وشعرت أنني أسأت لك لأكثر من عشرين سنة . أسأت
للآخرين ، أسأت لنفسي ، وذلك كله لأنني فكرت ، فكرت
أنا ذات يوم ... (ينظر إلى صو وهو يقطب حاجبيه ، يمد عنقه
إلى الأمام قليلاً) صو فانغ؟ ما بك؟
صو فانغ: (متعبة) أنا متعبة جداً .

ون تشينغ: (حزين) مسكينة صو فانغ ، لا أستطيع أن
أتصور ، حقاً لا أستطيع أن أتخيل كيف ستقضي بقية عمرك .
إنك مثل الحمامة ، وحيدة داخل قفص تنتظرين ، وتنتظرين ،
تنتظرين حتى يأتي يوم ...

صو فانغ: (تومئ برأسها) لا ، لا تقل ذلك !
ون تشينغ: (بكآبة) لماذا ، لماذا نعيش هكذا ، واحد في الشرق
والآخر في الغرب؟ لم لا ينمو لنا جناحان ونطير معاً؟ (يهز رأسه)
آ ، أنا لست راضياً حقاً .

صو فانغ: (بشفقة) ما الذي يرضيك !
ون تشينغ: (بهدهوء وحيوية) صو فانغ ، تعالي نذهب معاً إلى
الجنوب (يتردد مقطباً حاجبيه) هيا !

صو فانغ: (تهز رأسها بحزن) كيف تطرح مثل هذا الموضوع؟

ون تشينغ: (يهز رأسه بآلم وندم) إذاً، عليك الموافقة على الموضوع الذي طرح هذا اليوم .

صو فانغ: (بذهول) لماذا؟

ون تشينغ: (ينظر إلى صو ، يزم فمه بآلم) لأنني راحل ، ولن أعود أبداً . صو فانغ ، أتوسل إليك أن توافقي . لا ينبغي أن تعيشي في هذا البيت إلى الأبد (بحرارة) باستثناء الفئران ، الفئران التي تأكل حتى البشر ، والتي قرضت لوحاتي ، ما الذي تظنينه في هذا البيت؟ (بعيون حزينة تتردد صو بالنظر إليه) ما الذي يخفيه قلبك؟ إلى ما تنظرين؟ لا تصمتي ، تكلمي . (فجأة بشجاعة وسرعة) صو فانغ ، لتزوجي ، تزوجي ، غادري هذا السجن بسرعة . أنا أرى أن السيد يوان لا بأس به ، وأنت ...

صو فانغ: (تنهض ببطء)

ون تشينغ: (ينهض أيضاً ، متوسلاً) ما الذي تريدنيه في النهاية ، تكلمي .

صو فانغ: (تمشي باتجاه غرفة التريبة)

ون تشينغ: (بآلم) لا يمكن أن تمشي دون أن تتكلمي ، نعم أم لا ، تكلمي ولو كلمة واحدة .

صو فانغ: (تلتفت) ون تشينغ! تسلمه رسالة ثم تغادر
بيضاء. يمسك ون تشينغ بالرسالة مندهشاً

(تدخل المربية قادمة من غرفة التريبة)

المربية: (بعجلة) السيد قادم ، إنه ورائي . (تدفع ون تشينغ)
ادخل ، ادخل ، تفادياً للإزعاج . ادخل ...
ون تشينغ: مريتي ، أنا ...

(تبحث المربية ون تشينغ على الدخول إلى غرفته مثرثرة ،
تبقى صو فانغ . يدخل زنج هاو من غرفة التريبة ، يرتدي ثوباً
قطنياً ، وشالاً على كتفيه ، وحذاءً للنوم ، يتوكأ على عصا ،
ويحمل بيده لمبة غاز)

زنج هاو: (يرى صو فانغ ، بعجلة) لقد انتظرتك طويلاً
... (إلى المربية) من دخل منذ قليل؟

المربية: السيدة الكبيرة .

زنج هاو: (يرى الموقد) ماذا ، من الذي ما زال يشرب
الشاي هنا؟

المربية: زوج ابنتكم ، كان هنا منذ قليل يشرب الشاي مع
السيد يوان .

زنغ هاو: (يبتسم باستخفاف) ها ، ما الذي يفهمه هؤلاء
في شرب الشاي! (يرى الظل فجأة) ما هذا؟
المربية: إنه رسم السيد يوان لإنسان بكين .
زنغ هاو: (بازدراء) أي إنسان بكين هذا ، إنه شبح .
المربية: عد إلى غرفتك ونم يا سيدي .
زنغ هاو: لا ، سوف أظل هنا قليلاً ، اذهبي أنت ونامي .
صوفانغ: لقد مددت لك الفراش يا سيدتي .
المربية: إي ، إي . (متأثرة) آنسة صوفانغ ، أنت ... (بفرح)
حسناً ، أنا ذاهبة .
(تخرج المربية عبر غرفة التريبة . يبدو زنغ هاو يقوم بجولته
التفتيشية المسائية)
صوفانغ: (تتبع زنغ هاو) الوقت متأخر يا زوج خالتي ،
اذهب ونم ، عما تفتش؟
زنغ هاو: (وهو يراقب المكان) عمل أجدادنا بكل جد
واجتهاد ليركوا لنا هذا البيت إن أول ما ينبغي التأكد منه هو
عدم وجود نار . (فجأة) انظري ، هناك دخان يتصاعد من
الأرض ، ما هو ذاك البصيص؟

صو فانغ: إنه عقب سيجارة .

زنغ هاو: (باحتراس) هل رأيت أي خطورة في ذلك ! هذا من أفعال جيانغ تاي بالتأكيد . مهمل في أغلب الأحيان ، يرمي السيجارة قبل أن يتأكد من إطفائها .

صو فانغ: (ترفع عقب السيجارة من الأرض وترميه في الموقد)

زنغ هاو: كيف لا يدخن في يوم عيد طويل كهذا اليوم ، لقد أتلّف كل شيء . (يشم في جميع الاتجاهات) صو فانغ ، هل تشمين رائحة دخان أم لا ؟

صو فانغ: لا أشم أي رائحة .

زنغ هاو: (يشم) غريب ، أشم رائحة أفيون ، إنها رائحة أفيون .

صو فانغ: إنها روائح النارجيلة التي كنت تدخنها طوال اليوم .

زنغ هاو: آه ، كبرت ، حتى أنفي لم يعد يفيدني في شيء . (فجأة) هل رحل ون تشينغ أم لا ؟

صو فانغ: رحل .

زنغ هاو: أنت لا تكذبين علي .

صو فانغ: رحل فعلاً .

زنغ هاو: آه ، هذا أحسن . ولدي الكبير هذا أخرجنني عن طوري ، دخن وترك التدخين عدة مرات ، والآن من السهولة بمكان أن يعود إليه ، غادر البيت ...

صو فانغ: لقد تأخر الوقت ، ينبغي أن تذهب وتنام .

زنغ هاو: (يجلس شاكياً) إنهم يخدعونني طوال اليوم ، تخلو حياة الشباب من أي معنى ذرية فاسدة ، ليس بينهم من يتحمل المسؤولية عني . (بتعاسة) ليس في البيت واحد متعاطف معي ، يرثي لحالي ، يتألم لي . عملت مثل حيوان عشرات السنين ، والآن يتأمل الجميع موتي .

صو فانغ: لا داعي لهذا الكلام يا زوج خالتي .

زنغ هاو: أنا أعرف ، أنا أعرف . (بحقد) زوجة ابني الكبير هي أول واحدة ليست بآدمية ، إنها تعرف كيف تسلبني نقودي . أعرف أنها هي من سمحت للدائنين باقتحام المنزل عند الغداء ، إنها تعتمد إزعاجي . (يصر على أسنانه) أنت تعرفين أنها لا تريد أن تترك لي حتى الثابوت . تابوت أبي ! إنها امرأة عاقه ، ليس عندها ضمير ! حتى مطرقات الأسرة ، حتى ...

(تهب ريح ماطرة في الخارج ، يسمع خفيف اوراق الشجر)
زنغ هاو: إنها تريد لعب دور الأم والأب ، إنها ...
صو فانغ: (تصغي) هطل المطر . هيا إلى النوم ،
يكفي كلاماً .

زنغ هاو: (يومئ برأسه) لا ، لن أنام . كبرت ، ذرية
فاسدة ، لا أحد يشفق علي ، لا أحد يسهر على خدمتي في
الليل . (يلمس قدميه متألماً) آ

صو فانغ: ما بك؟

زنغ هاو: (أئين خفيف) وجع ، ساقاي تؤلمانني بشدة!

(دقات صنج في الخارج)

صو فانغ: (تأخذ كرسيّاً وتضعه تحت قدميه ، تغطيه بالحرام ،
تسحب كرسيّاً آخر وتجلس بالقرب منه ، تدلك له ساقيه) أحسن قليلاً؟
زنغ هاو: (يئن بشكل خفيف) أحسن ، أحسن . ساقاي
باردتان مثل الثلج ، صو فانغ هل ملأت لي الطست أم لا؟
صو فانغ: ملأته .

زنغ هاو: قبل ولادتك وعندما يكون الطقس بارداً ، كانت
خالتك تعد لي المجرم ، وتسخن لي خمر شاو شنغ ، وتكون قد

دفأت لي اللحاف قبل ذلك... (كمن تذكر فجأة) أين وضعت
طست الماء الساخن؟

صو فانغ: (تدلك له ساقيه) لقد وضعته تحت
سريرك. (تشاءب)

زنغ هاو: (بحزن) آه، قلب العجوز خاو. المهم في حياته
اللباس الدافئ والطعام الكافي والبر به شيء ثانوي. انظري (لم
يكتف بما قاله) أي منهم يفكر في رضاي؟ أي منهم لا يتكلم
عني بغمز ولمز؟ أي منهم يرغب في سماع كلامي، أو أن يفكر
في؟ (يلاحظ أن صو قد نعست) صو فانغ، هل غفوت؟
صو فانغ: (تهب مذعورة) لا .

زنغ هاو: (بتعاطف) أنت متعبة، لم تنامي ليلة البارحة،
واليوم وأنت تهتمين بي طوال اليوم، لا عجب أنك متعبة الآن .
اذهبي للنوم. (بصوت لا يخلو من شكوى) أنا أعرف أنك لم
تسمعي كلامي .

صو فانغ: (تفرك عينيها، تشاءب) لا، لا أريد أن أنام،
أنا أسمعك .

زنغ هاو: (لا يخفي شكواه) لا بأس عليك، لقد نام
الجميع، حركتي بطيئة، حتى من هم من لحمي ودمي لا
يهتمون بي، هم يكرهونني .

صو فانغ: (تطأطئ رأسها) لا يا زوج خالتي ، أنا لا أظن ذلك ، أنا لا ...

زنغ هاو: (يثرثر) أنت لا تكرهيني يا صو فانغ ، أنا أعرف ، لذا فهم لا يتكلمون أمامك ، أنا أعرف أنك ضقت ذرعاً بذلك . (يشن) آه ، أشعر بدوار .

صو فانغ: لا أحد يتكلم عليك أمامي . أنا ، أنا متعبة قليلاً .
زنغ هاو: (يثرثر) أنت فتية ، وقد رافقتني منذ سنوات عمرك الأولى ، وأنت تشعرين بالظلم ، أنا أعرف ذلك . (زفرة طويلة) آه ، أي فائدة في صحبتي؟ لا مال ، ولا مقال يسر المجلس ، ثم لا أمل . (يتنهد بحزن) مستقبلي هو التابوت ، التابوت ، أنا ... (يلمس ساقيه) آ!

صو فانغ: (تدلك ساقيه بقوة ، تفسر له) الحقيقة أنني كنت متعبة منذ قليل ليس إلا .

زنغ هاو: (تدمع عيناه ، ينظر إلى صو) أنت لست راضية علي يا صو فانغ (بين تأنيب الضمير والشكوى) أنا أعرف أنك تلوميني في قرارة نفسك ، أنت ما عدت صغيرة ...

صو فانغ: أنا راضية كل الرضى بخدمتك يا زوج خالتي .

زنغ هاو: (يهز يده) صو فانغ ، لا تعذيني أكثر من ذلك .

صوفانغ: أنا لست متعبة .

زنغ هاو: (يبت يديها) لا ، لا . دعيني أقول لك بضع كلمات . (يثرثر) أنا لا أريد تعذيبك طوال عمري . لقد فكرت بالنيابة عنك ، تزوجي من رجل يمكنك الاعتماد عليه ، ولن يكون لأحد علاقة بك (لا تشعر صو بحاجة إلى سحب يدها) أنا أشعر أن قلبي مطمئن ، لقد قمت بواجبي تجاهك ، وتجاه أمك ، أنا ...

صوفانغ: لا يا زوج خالتي . (تنهض بهدوء)

زنغ هاو: ولكن ... (يتجهم فجأة) لا يمكن ، لم تعودى شابة ...

صوفانغ: (تخني رأسها بألم) لا تقل ذلك يا زوج خالتي ، أنا لم أفكر بالابتعاد عنك

زنغ هاو: (بقسوة) اسمحي لي بالقول ، أنت لم تعودى شابة ، والزواج بالنسبة لامرأة في سنك يملأ عليها حياتها ، ولكن قد تحرمين من الخلفة ، وربما تصادفك بعض المشاكل ، وربما لا يكون معك المال ، حينذاك ...

صوفانغ: (لا ترغب في الاستماع) يا زوج خالتي ، أنا لم أفكر مطلقاً ...

زنغ هاو: (بيتسم بمرارة) إنشاء أسرة أفضل بكثير لك من البقاء في هذا البيت ، أنا أفهم ذلك .
صو فانغ: (بالم) أنا ، أنا ...

زنغ هاو: (بثرثرة مزعجة) أنا أعرف ، فتاة تكبر يوماً بعد يوم ، لا ترضي طموحها ولا تقنع بما هي فيه ، حتى بلغت الثلاثين من عمرها . (يزداد قسوة) والداك ماتا ، ولا أحد يشد من أزرك ، وحيدة ، لا حبيب لك ، إلى أن يأتي يوم ، تكبرين فيه ، فلا تجدين من يهتم بك ، لا أولاد ، ولا أقرباء ، تكبرين ، وتكبرين ، حتى تصبحين مثلي ...

صو فانغ: (بنظرة حزينة وخائفة وصوت منخفض) لا ، لا (تجهش بالبكاء) لمَ قلت ذلك يا زوج خالتي ، أنا لم أفكر بمغادرة بيتكم هذا .

زنغ هاو: (بالم) كنت أفكر بالنيابة عنك ، فكرت بدلاً عنك .
صو فانغ: (تبلع ريقها) لا تفكر عني يا زوج خالتي ، لقد سبق وقلت أنني لن أتزوج أبداً .

زنغ هاو: (يزفر) لا تبكي يا صو فانغ ، فزوج خالتك لن يعيش طويلاً .

(تقرع العرافة العمياء على صنجها وهي تتبعد في الزقاق الطويل)

زنغ هاو: ما هذا؟

صو فانغ: العرافة العمياء تعود إلى بيتها. (تنهمر دموعها بهدوء)

زنغ هاو: لا تبك، أنا لن أعيش لبضع سنوات أخرى، سوف أزعجك لبعض الوقت ولن أؤخرك أكثر من ذلك. أنا أعرف أن صه بي وجيانغ تاي يتمنيان موتي لكي يقتسمان ثروتي، أنت ابنتي الوحيدة المخلصة لي يا صو فانغ!

صو فانغ: بعيد الشر عنك. (تبكي) لم تحمل نفسك كل هذا العبء وأنت في هذا العمر، أنا لم أسيء لك اليوم.

زنغ هاو: (يلمس يد صو) لا، أنت طيبة، أنت بنت طيبة. ولكن الجميع يعتقد أن زوج خالتك يملك الكثير من المال، (تسحب صو يدها بهدوء) إنهم يرون وجهي عبارة عن ورقة نقود، وأن ليس في بطني أحشاء أب، بل هي ملأى بالنقود. (يسعل) إنهم ينتظرون موتي. آه، حياة الشباب لا معنى لها!

(يمسح رأسه) رأسي تؤلمني (يهم بالوقوف)

صو فانغ: (تساعده) هيا إلى النوم.

زنغ هاو: (يجلس ، يتلمس كيس نقوده) لكن لا ، أفلست منذ زمن بعيد . أنفقت أموالى على جنازة خالتك ، وعلى قبرها ، وعلى إصلاح البيت ، وكذلك على إعداد تابوتى . (يخرج دفتر ادخار أحمر من جيبه) تسعى صه بي كل يوم لسرقة دفتر ادخاري هذا . (يقدمه إلى صو) انظري ، كم بقي فيه؟ حتى أنت لن يبقى لك إلا القليل من المال بعد موتى . (ينهض) ...

صو فانغ: (بحزن) لم أفكر بمالك مطلقاً يا زوج خالتى .

(تدخل روي تشن من باب غرفة التريبة)

روي تشن: سيدي ، لقد أعددت لك مغلي الأعشاب الطبية ، وهو في غرفتك .

زنغ هاو: إي .

(نباح كلب في الزقاق)

زنغ هاو: هيا . (تسندانه صو وروي وتذهبان به باتجاه غرفة التريبة)

(يدخل تينغ من غرفة التريبة يحمل كتاباً مجلداً بالخرز النافر)

تينغ: جدي ، لقد انتهيت من حفظه ، هل تريد مناقشته؟

زنغ هاو: (يهز راسه) الوقت متأخر، (يلتفت إلى روي)
روي، ابق هنا، عليكما الخلود إلى النوم.

آتسند صو الجد ويخرجان، تنتظر روي إلى الموقد. يقترب
تينغ من الظل، يتأمل فيه ثم يعود)

تينغ: (يفتح حديثاً) هل نامت أمي؟

روي تشن: على الأغلب نامت.

تينغ: (بتردد) وأنت لم تماي بعد؟

روي تشن: كنت أعد مغلي الأعشاب لجذك. (تريد أن
تتقياً، تجلس)

تينغ: (بقلق) لم جلست هنا؟

روي تشن: (تدلك معدتها) لا لشيء (بيأس) هل تريدني
أن أذهب؟

تينغ: (بصبر) لا، لا.

[طقطقة المطر، صوت موحش لبائع ينادي « كعك، كعك »]

تينغ: (ينظر من خلال النافذة) المطر يهطل بغزارة!

روي تشن: إي، بغزارة.

[صوت موحش وثقيل في الزقاق ينادي « كعك، كعك »]

تينغ: (بوحشة) عاد بائع الكعك العجوز مرة أخرى .

روي تشن: (ترفع رأسها) هل أنت جائع؟

تينغ: لا .

روي تشن: (تقف) ألا تريد أن تنام؟

تينغ: لا ، لا . أنت متعبة ويمكنك أن تنامي .

روي تشن: (تخفض رأسها) حسناً . (تبتعد بهدوء باتجاه

غرفة التربة)

تينغ: تبكين ، لماذا تبكين؟

روي تشن: أنا لا أبكي

تينغ: (بتعاطف مفاجئ وباختصار) تريدن نقود ... أعطتني

أمي اليوم ٢٠ يواناً هي في الغرفة فوق الوسادة ... خذوها .

روي تشن: (تنهد يأس) إي .

تينغ: (يقاوم ملامح الشفقة التي بدأت تظهر على وجهه) إن

كنت لا تريدن النوم وحدك يمكنك البقاء هنا لبعض الوقت .

روي تشن: لا ، أريد النوم في غرفتي . (يعطس تينغ فتلفتت

إليه) ملابسك خفيفة؟

تينغ: لست برداً . (تسير روي باتجاه غرفة التربة ، يتذكر

أمراً) إي ، قالت أمي منذ قليل ...

دوي تشن: ماذا قالت أمك؟
تينغ: قالت إنها تريدك كي تدلكي لها قدميها .
دوي تشن: حاضرة . (تتجه إلى غرفة صه بي)
تينغ: (يوقفها) لا ، لا تذهبي .
دوي تشن: (بدون تعبير) ماذا؟
تينغ: (يتأمل روي) أنت تكرهين ، تكرهين هذا البيت؟
دوي تشن: أنا؟
تينغ: (بالحاح) أنت؟
دوي تشن: (تخفض رأسها بكسوف)
تينغ: (بيأس وصوت واطئ) اذهبي .
(تمشي روي قليلاً ثم تلتفت فجأة)
دوي تشن: (مترددة) أريد أن أقول لك شيئاً .
تينغ: ما هو؟
دوي تشن: (بخجل) صحتي ليست كما ينبغي في
الآونة الأخيرة .
تينغ: (بعجلة) ولماذا لم تخبريني حتى الآن؟
دوي تشن: أنا ، أنا خائفة ...

تينغ: (بارتياح) ولم تخافين ، ما الذي يؤمك ؟
روي تشن: (تلعثم) أشعر بدوخة دائماً ، وأشعر ...
تينغ: (لم يفهم) آ ، دوخة . (ينادي) ما !
روي تشن: (تمنعه) ماذا تفعل ؟
تينغ: (بنية طبية) لدى أمي دواء ، إن تناولته فسوف تشفين .
روي تشن: (تخفي حزنها) أنت !
تينغ: (بحيرة) ماذا ، تكلمي ، هل يؤمك شيء آخر ؟
روي تشن: (يأس) لا شيء ، أنا ، أنا ... (تمشي باتجاه الباب)
تينغ: تبكين مرة أخرى ؟
روي تشن: (تقف) أنا ، أنا لا أبكي . (ترفع رأسها وتنظر إلى
تينغ بأسى) تينغ ، أنت لا تعرف أنك رجل ؟ تينغ ، نحن ...
تينغ: (يقاطعها مفسراً لها) نحن أصدقاء . لقد سبق وقلت
لي أننا أصدقاء ، نحن لم نتزوج بحرية . كلام صديقتك
صحيح ، أنا لست عبداً لك ، وأنت لست عبدة لي . نحن وفي
أحسن الأحوال أصدقاء ، لكل منا حريته ، ولكل منا طريقه .
أنت نفسك تؤمنين بهذا الكلام ، أليس كذلك ؟
روي تشن: (بصرامة) نعم ، أو من بذلك !

[يسمع صوت صه بي من داخل غرفتها: روي تشن!

روي تشن!]

تينغ: أمي تناديك .

روي تشن: (تلتفت بحدة) أنا ذاهبة .

تينغ: إي .

(تدخل روي إلى غرفة صه بي)

تينغ: (يرفع رأسه وينظر إلى ظل القرد الكبير ، يستجمع شجاعته ويمشي إلى أمام الظل ، ومن خلال شق في الباب ينادي بصوت منخفض) يوان يوان ، يوان يوان!

(تعود روي)

تينغ: (مخرجاً) لماذا ...

روي تشن: طلبت أمك مني أن أنادي لها صوفانغ .

(تغادر روي عبر غرفة التربة ، تينغ مرتاب قليلاً ، يزفر زفرة طويلة ، ثم ...

تينغ: يوان يوان! يوان يوان!

(يفتح الباب فتسرب حزمة من الضوء ، تدخل يوان يوان ، تضع وروداً في شعرها ، تدب على الأرض بشكل وحشي ،

ترتدي سروالاً قصيراً، حافية القدمين، نصف جسمها عارٍ تقريباً، تمسك مقصاً بيد، ونموذجاً من ورق للإنسان القرد باليد الأخرى، تحيي تينغ مقهقهة)

يوان يوان: إيه، جئت مرة ثانية؟

تينغ: ما هذا الذي ...

يوان يوان: (بدون أي شعور) قصصت ظلاً لإنسان بكن (ترفع نموذج الإنسان القرد) انظر.

تينغ: (يتأمل يوان، يثبت نظره عليها) لا، لا، أعني ملابسك قصيرة جداً وسوف تتجمدين من البرد.

يوان يوان: (تضع النموذج عنها، ثم تضع يداها على خصرها) انظر هل أنا جميلة أم لا؟

تينغ: (بذهول) جميلة!

يوان يوان: (تضع يداها وراء ظهرها) هل أستطيع أن أكل لحمك؟

تينغ: (يستجيب لها، لا يعرف ما يقول) تستطيعين.

يوان يوان: (تقترب) هل أستطيع أن أشرب دمك؟

تينغ: (متلعثماً) تستطيعين.

يوان يوان: (تصرخ وتخرج من وراء ظهرها فأساً ، تنتصب ،
تمشي وتزأر أمام تينغ) آ! عطشانة وأريد أن أشرب ، آ(تبدو مثل
قردة مخيفة)

تينغ: (ببلاهة وخوف) ما الذي تريد فعله؟
يوان يوان: (تقهقه) أريد أن أقتل إنساناً ، هل أنت خائف أم
لا؟(تشير إلى الظل) هل أنا أشبهه أم لا؟

تينغ: (بذهول) هل تريد أن تشبهه ... إنه وحش؟
يوان يوان: (تشد تينغ) هيا ، تعال لترّ.
تينغ: (كارهاً) لا ، لا أريد ، لا أريد الدخول .
يوان يوان: (ترفع من معنوياته) ادخل لترّ ، إن جسمه كله
مغطى بالشعر ، شعر ... (تشد تينغ إلى الباب)
تينغ: لا ، لا .

يوان يوان: هيا ، ادخل!
(يفتح الباب فجأة ، يظهر تشو الصغير وقد قلب ثيابه عليه ،
يحاكي حركات «إنسان بدائي» . يحمل رسالة بيد ، والحمامة
التي طلبتها يوان باليد الثانية يسمع صوت بين الضحك والبكاء .
يغلق الباب فيظهر الظل على الستارة)

تينغ: آ، ما هذا؟

يوان يوان: (تضحك) هذا هو الأخ الأصغر لإنسان
بكين . (تشير إلى الظل)

تشو الصغير: (بغباء) آنسة يوان (يرفع رسالة بيده) رسالتك ،
لقد وجدتها على الأرض

يوان يوان: رسالة؟

تينغ: (يخطف الرسالة منه ، يطأطيء رأسه)

تشو الصغير: (يوان لا تفعل شيئاً ، يصرخ) لمَ خطفتها؟

يوان يوان: (تفسر له) هذه رسالته التي كتبها لي (تهدي من
غضب تشو تشو) لا تغضب ، أنا أحبك .

تشو الصغير: (بطيبة) وأنا أحبك أيضاً .

تينغ: (مؤنباً) تشو!

تشو الصغير: (يحملق) لمَ تصرخ؟

يوان يوان: (تلتفت إلى تينغ بلباقة) تينغ ، أنا أيضاً أحبك (تقف
بينهما) نحن الثلاثة سوف نلعب معاً دائماً ، حسناً؟

تشو الصغير: (دون تفكير) حسناً .

يوان يوان: (تلتفت إلى تينغ) تينغ ، وأنت؟

تينغ: (إلى تشو) اذهب ونم!
تشو الصغير: (بنزق) أنت اذهب ونم ، أنا لا أريد أن أنام!
(تدخل المريية قادمة من غرفة التريبة)
المربية: (وقد سمعت الجملة الأخيرة) من الذي لا يريد
أن ينام؟

تشو الصغير: (مندهشاً) جدتي .
المربية: تنبه الآن إلى تشو ، مندهشة) ماذا فعلت بنفسك؟
تشو ، كيف خلعت ملابسك هكذا؟ ...
تشو الصغير: (يشير إلى يوان) هي طلبت مني ذلك .
المربية: كيف تطلبين منه أن يخلع ملابسه يا يوان؟
يوان يوان: (بشكل طبيعي) ولماذا يرتدي الإنسان كل
هذه الملابس؟

المربية: (تندفع إلى أمام يوان ، تريد أن تصب جام غضبها
عليها ثم تعدل عن ذلك) يا آنسة يوان (بغضب) هل ترين هذا
مناسباً! (إلى تشو) هيا إلى النوم .
تشو الصغير: (بينما هو يتعدى يلتفت لطلب المساعدة) آنسة
يوان ، آنسة يوان!

يوان يوان: (متعاطفة معه) اذهب (تهز رأسها متأففة) لن
نكمل لعبنا .

تشو الصغير: جدتي (تغورق عيناه بالدموع)

المربية: هيا ، وتريد أن تلعب!

تشو الصغير: لا ، انتظري جدتي (يرفع الحمامة) «الوحيدة»
ما زالت معي .

المربية: ما معنى «بطنك منتفخ»؟

تشو الصغير: (يشير إلى الحمامة)

يوان يوان: (تركض باتجاهه) حمامتي ، «وحيدتي»
الصغيرة (تأخذها من تشو) تشو سوف نلعب معاً غداً ، سوف
آخذك لتتسلق الجبل ونسيح ، وتأخذني لنرعى الماشية ونصطاد
الطيور . أما الآن فينبغي أن تذهب مع جدتك وتنام (تراقب
دموع تشو المنهمرة ، تتبعهما) آ ، يا صغيري «إنسان بكين»
المسكين! (تشد تشو فجأة ، تهز رأسه ثم تقبله)

المربية: (غاضبة) آنسة يوان! (إلى تشو) هيا بسرعة .

. (تسحب المربية تشو الذي يشبه شيطاناً هارباً ، يغادران عبر
غرفة التريبة)

تينغ: (غاضباً) كيف فعلت ذلك؟ تقبلينه ...

يوان يوان: (بحيرة) ألا أستطيع تقبيل تشو؟

تينغ: (لا يقوى على الاحتمال) يوان يوان ، ألن
تصبحيه غداً؟

يوان يوان: ولماذا لا أصبحبه؟

تينغ: (لا يجد مبرراً ، يردد) لا تصبحيه .

يوان يوان: (بنظرة خاطفة) ولكن سوف نصعبه معاً(تشير
إلى الظل) وسوف نصعب إنسان بكين .

تينغ: (يومئ برأسه) لا ، لن نصعبه أيضاً .

يوان يوان: (تميل برأسها) ولماذا حتى هو لن نصعبه؟(تذكر
شيئاً) آ ، تينغ ، سوف أخبرك بسر ، سر كبير . (تمشي إلى أمام
الظل وهي تمسك بالحمامة) تعال .

تينغ: (يحمل شمعة ويتقدم) ماذا؟(تشده يوان ويجلسان
على العتبة . يجلس الاثنان تحت ظل إنسان بكين ويتبادلان
أطراف الحديث)

يوان يوان: (بصوت منخفض) سألني أبي منذ قليل فيما إذا
كان أهل بكين لطفاء ، هل أنت لطيف؟

تينغ: (بفرح) وكيف يسأل مثل هذا السؤال؟ إنه يعرفني ...
يوان يوان: لا تهتم ، هكذا هو أبي (تهز رأسها بلطف ،
تبتسم) أنا قلت له أنك لطيف
تينغ: (لا يخفي فرحته) حقاً؟
يوان يوان: (مؤكد) طبعاً .
تينغ: (بسرعة) هل قرأت (يشير إلى الرسالة) الرسالة التي
كتبتها لك؟
يوان يوان: (متأثرة) لا تقاطعني ، سألني أبي بعدها:
«هل تحبينه؟»
تينغ: (بقلق) وأنت ، ماذا قلت؟
يوان يوان: (ترفع رأسها مستفسرة) خمن ماذا قلت له؟
تينغ: (خجلاً) لا أستطيع أن أضمن .
يوان يوان: (بفطنة) قلت لا أعرف .
تينغ: (يتأفف قليلاً ، ثم بسرور) جواب رائع .
يوان يوان: ثم سألني بعد ذلك: «هل ترغبين بالزواج منه
عندما تكبرين؟» (ترفع رأسها مشيرة إلى الظل) هل تفضلين
الزواج من إنسان بكين هذا ، أم من حفيد أسرة زنج؟

تينغ: (قلقاً، يرفع رأسه أيضاً، يتحرك ظل «إنسان بكين»،
يبدو كما لو أنه ينظر إليهما. يقفز تينغ خائفاً) الزواج من إنسان
بكين، أم ...

يوان يوان: (تومئ برأسها) هو، أم أنت (تدلك معدتها)؟

تينغ: وماذا ... قلت ... ؟

يوان يوان: قلت (تقبل الحمامة) ... لا تغضب، (بصراحة)
أريد الزواج منه، الزواج من الشمبانزي الضخم هذا!
تينغ: لماذا، لماذا؟

يوان يوان: (بتبجيل) هو كبير، إنه كالنمر، يستطيع بضربة
واحدة القضاء على مائة إنسان.

تينغ: (لم يتوقع ذلك) ولكن، ولكن أنا ...

يوان يوان: أنت (باستخفاف) أنت ... (تقفز فجأة وتقف
فوق العتبة وهي تصرخ) فار .

تينغ: (يقفز إلى جانبها مرتجفاً) ماذا؟ ماذا؟

يوان يوان: (تشير إلى الحائط) هناك، هناك .

تينغ: أين؟ أين؟

يوان يوان: آ، هيا (متوترة) منذ لحظة مر فأر صغير من فوق
قدمي (تشير يديها)

تينغ: (يهدأ، يضحك) آ، فأر! أنت خائفة من فأر! في بيتنا الكثير منها.

يوان يوان: (تغير الموضوع) آ، لقد خُيل إلي أنك تصفق بفرح) يا لك من فأر صغير (تنقر على كتفه) فأر صغير! تينغ: (بعدم رضا) أنا، خطر لي ...

يوان يوان: ماذا خطر لك؟

تينغ: (بطيش) أنت، لا تحبيني؟

يوان يوان: أنا أحبك، طبعاً أنا أحبك (تقبل الحمامة مرة ثانية) أنت مثلها (تشير إلى الحمامة) أنت تسمع الكلام، أنت مثل هذه الحمامة، أنت مسكين (تجلس على العتبة وتقبل الحمامة) تينغ: (متأثر جداً، يجلس إلى جانبها) ولكن هل قرأت رسالتي هذه أم ...

يوان يوان: (تخطر في بالها فكرة، تقف فجأة) تخيل يا تينغ أن تلك الفأرة الصغيرة ولدت فئراناً صغيرة فكم ستكون تلك الفئران ضئيلة الحجم!

تينغ: (بألم) أنت لا تتحدثين إلا على الفئران؟ هل قرأت رسالتي، (يطأطئ رأسه ثم يرفعه) أنت، قلبك ... (يطأطئ رأسه)

يوان يوان: (تتحسس قلبها بغباء) قلبي؟ ...
تينغ: (فجأة) هل قرأت الشعر الذي كتبته لك ، الشعر
الذي في الرسالة؟

يوان يوان: (تومئ بالإيجاب ، وبسذاجة) قرأته!
تينغ: (فرحاً) قرأته؟
يوان يوان: (تومئ أيضاً) إي ، وقال أبي أن خطك أجمل
بكثير من خطي .

تينغ: (مرعوباً) وهل أعطيته لأبيك وقرأه؟
يوان يوان: (بفطنة) لا يحمر وجهك يا صغيري المسكين ،
قال أبي أن لديك خطأان إملائيان ، وأنت أفضل مني .
تينغ: ولكن الشعر الذي كتبته لك ، أنت أيضاً ...
يوان يوان: (تومئ برأسها) إي ، أنا لم أستطع قراءته ، لذا
أعطيته لأبي كي يقرأه لي

تينغ: (مندهبشاً) وقرأه لك!
يوان يوان: (لم تفهم) ماذا؟
تينغ: لا شيء . أبوك ، هل قرأ لك أم لا؟
يوان يوان: (تهز رأسها) لا ، قال فقط أنه لا حياة فيه ،
قديم ، قديم جداً . (بأسف) قال ، إنه لم يفهمه أيضاً .

تينغ: وماذا قال أيضاً؟

(تدخل روي تشن وصوفانغ عبر غرفة التريبة ، تلمح روي تينغ ويوان ، تبقى واقفة داخل غرفة التريبة وهي حزينة . صوفانغ التي تحمل بيدها ثياب طفل مطرزة هي الأخرى تقف بصمت)
يوان يوان: (متردة) قال (بسرعة) طلب مني ألا ألعب معك بعد الآن .

تينغ: (بذهول) ألا تلعب معي ...

يوان يوان: (مواسية له) لا تهتم له ، غداً سوف نذهب معاً لنلعب بالطائرات الورقية

تينغ: (بصوت خافت) ولكن ، ولكن لماذا؟

يوان يوان: (مثرثرة) لقد جاءت خالتي صوفانغ وقابلت أبي منذ قليل .

تينغ: (مندهشاً) ماذا فعلت؟

يوان يوان: قالت إن زوجتك سوف ترزق بمولود .

تينغ: (يكفهر وجهه) ماذا؟

يوان يوان: وقالت إنك سوف تصبح أباً ، (بفضول) هل هذا حقيقي؟

تينغ: (في شبه انهيار) أنا؟
يوان يوان: ثم تكلم أبي وصوفانغ معي وطلبوا مني ألا ألب
معك بعد الآن .

تينغ: (يكاد يغمى عليه) أصبح أباً؟
يوان يوان: (فجأة) عمري خمس عشرة سنة ، وأنت؟
تينغ: (ببله) سبع عشرة سنة .

يوان يوان: (تحاول إضحাকে) آ ، سبع عشرة سنة وتصبح
أباً . (تصفق) أب عمره سبع عشرة ، تخيل ، (تشدد يده) شيء
ممتع أن تنجب الكثير من الفئران أيها الفأر الصغير ، ...

تينغ: (يجهش بالبكاء)
يوان يوان: لا تبك ، تينغ ، غداً سوف نلعب معاً ، لا
تكثر بكلام قردى العجوز (بصوت منخفض) لا تبك ،
سأشتري لك سكاكر غداً ، وسوف نطلق طائرات ورقية ، ولن
نأخذ معنا تشو الصغير ، ولن نأخذ إنسان بكين أيضاً .

تينغ: (بيكي) لا ، لا ، لن أذهب .
يوان يوان: لا تبك ، إن بكيت فسوف أغضب منك .
تينغ: (مازال متألماً)

يوان يوان: لا تبكي يا تينغ ، سوف أعطيك حمامتي
هذه (ترفع الحمامة أمام وجهه)

تينغ: (يبعدھا) لا أريدها . (ينشج مرة ثانية)
يوان يوان: سوف أقول لك ، أنا لن أتزوج «إنسان
بكين» ، ما رأيك؟

تينغ: (يهز رأسه) لا ، لا ، أنا أريد أن أبكي .
يوان يوان: (تواسيه) حقاً ، أنا لا أخدعك ، انتظر حتى أكبر
قليلاً ، قليلاً ، وسوف أتزوجك ، أوكد لك .
تينغ: (يهز رأسه نافيئاً) لا ، أنت لم تفهمي (ينشج بصوت
منخفض ، يمزق الرسالة ببطء)
يوان يوان: (بسذاجة) ألم تقل في رسالتك أنك تريدني؟
تريدني أن أتزوج ...

(صوت يوان رن قان من وراء الظل: يوان ، يوان)
يوان يوان: (بصوت منخفض) أبي يناديني ، إلى اللقاء غداً ،
سوف أنتظرك لنطلق الطائرات الورقية ، ونصطاد السمك ، اتفقنا؟

(صوت يوان رن قان من وراء الظل: يوان ، يوان)
يوان يوان: أنا قادمة يا أبي (تلتفت إلى تينغ وترسم قبلة على
خده) تينغ ، يا لفاري الصغير المسكين! (يتأملها تينغ وهي خارجة)

[تفتح يوان الباب وتخرج راكضة، يغلق الباب. يهطل
المطر خفيفاً وبشكل مائل وذلك بفعل الريح، يسمع صوت
بائع الكعك في الزقاق]

تينغ: (يجهش بالبكاء)

[تدخل روي بهدوء، تنحني قليلاً وتربت على كتف تينغ
مواسية) لا تبك لقد ذهبت الأنسة يوان]

تينغ: (يرفع رأسه) هل كلام خالتي صو صحيح؟

روي تشن: (تأمله ثم تطلق زفرة عميقة)

تينغ: (ينتحب، متدمراً) أي إنسان أصر على بقائنا معاً؟
(ينهض، يدق الأرض بقدمه) إنني أتمنى الموت حقاً. (يمشي
باتجاه غرفة التربية)

صو فانغ: تينغ!

(يندفع تينغ إلى الخارج دون أن يلتفت)

روي تشن: (تجلس متهاكة على الكرسي)

صو فانغ: (تقترب) روي تشن!

روي تشن: خالتي صو!

صو فانغ: (تمسح على رأس روي) لا عليك ...

روي تشن: (تحتضن صو) وأنا أتمنى الموت أيضاً.

صو فانغ: (بحنان) روي تشن.

روي تشن: (تنهمر الدموع على خديها، تشكو همها) لماذا أخبرت السيد يوان يا خالتي صو؟ لماذا تفرقين بين الآنسة يوان وبينه؟

صو فانغ: (بأسى) روي تشن، أنا أحبك كثيراً، وأرى أنك مظلومة، وأنا لا أحتمل ذلك. (بحيرة) لا أعرف كيف أخبرته بذلك، كنت حمقاء عندما قابلت السيد يوان، أنا لا أعرف ما قلت، كنت في حالة غيبوبة. روي تشن، إن تجراً تينغ من اليوم وصاعداً على...

روي تشن: (بأسى) أنت حمقاء حقاً يا خالتي صو، فهو لا يحبني. ألم تلاحظي ذلك؟ إنه لا يحبني أبداً.

صو فانغ: (مواسية) لا، إنه ولد، وسوف يكون طيباً معك ذات يوم. انتظري يا روي تشن، انتظري وسوف تفعل الأيام فعلها. ليست الحياة لنعذب أنفسنا، بل هي لكي نسعد من هم بقربنا، وأي هدف أسمى من هذا الهدف؟ انتظري وسوف...

روي تشن: ترفع رأسها، بحزن عميق) لا يا خالتي صو، لا أستطيع الانتظار. أريد الرحيل، لقد انتظرت سنتين.

[صوت زنج هاو: صو فانغ ، صو فانغ]

صو فانغ: وإلى أين ستذهبن؟

روي تشن: (بيله) أخبرتني صديقتي أن هناك العديد من الأماكن ، هناك ...

صو فانغ: (بأسى) وابنك! (ترفع الثوب المطرز أمام ناظرها) ...

روي تشن: (تتناول الثوب) ابني (تطلق تنهيدة طويلة فيسقط الثوب على الأرض)

(يظهر زنج هاو بنصف جسمه من باب غرفة التربية)

زنج هاو: (يرفع شمعة) صو فانغ ، تعالي بسرعة ، السقف يدلّف ، لقد تبلل فراشي!

(تغادر صو وزنج هاو ، تخرج صه يي من غرفتها ويدها دفتر حساب مصرفي ، روي تشنغل بإخفاء الثوب)

صه يي: (تلمح صو وهي خارجة) آنسة صو ، آنسة صو! (إلى روي) أليست خالتك صو؟

روي تشن: إي

صه يي: كيف خرجت ما أن رأيتني؟

روي تشن: دعاها جدي .

صه يي: (بقسوة) اذهبي في طلبها، أخبريها أن أباك يريد لها .
(تخرج روي مطأطئة الرأس من غرفة التريبة . دقائق صنج
في مكان بعيد ، يدخل ون تشينغ بينما تحسب صه يي النقود
قرب الطاولة المربعة)

ون تشينغ: (بقلق) ما الذي تريدينه في نهاية الأمر؟

صه يي: (تدور عينيه) لا أريد أي شيء .

ون تشينغ: ماذا تريدين؟ تكلمي ، تكلمي .

صه يي: (تتظاهر بنوع من الصبر) لقد رأيت كل شيء ، لا
معنى لحياة الإنسان ، التابوت أمام ناظري صباح مساء ، وكل
شيء زائف . (تمشي باتجاه غرفتها)

ون تشينغ: ماذا ستفعلين؟

صه يي: (تلتفت) ماذا أفعل؟ سوف أُطلع على دفتر
حساباتي (تدخل إلى غرفتها)

ون تشينغ: (قبالة الباب) ولمَ كل هذا العناء ، لمَ كل هذا
العناء! ما الذي تطلبي منه في النهاية؟ تكلمي .
(تعود صه يي ويدها دفتر الحسابات)

صه يي: (تدور عينيها) أنا لست كما يجب . كل ما أريد
أن تعرفه أنني كنت أمانة على مصلحتك . غداً صباحاً سوف
أدخل الدير ، لقد بلغت رسالتي .

ون تشينغ: آ ، يا للسماء ، قولي الحقيقة من فضلك . ما هذا
الرأي الذي تقولين ، أنا لست غريباً ، لقد عشت معك لعشرين
سنة ، لم كل هذا العنت؟

صه يي: تخرج رسالة صوفانغ إلى ون تشينغ ، باستهزاء
آه ، إنها تعتبرني ظالمة . تكتب الرسائل لك أمام عيني . (بحقد)
بكلمة واحدة ، أريدك أن تعيد لها رسالتها أمامي .
ون تشينغ: (جانباً) أنا ، سوف أرحل غداً .

صه يي: (بصرامة) سوف تعيدها الآن . لقد أرسلت
في طلبها .

ون تشينغ: (مذعوراً) ولم أرسلت في طلبها؟

صه يي: (باستهزاء) لكي تعيد لها رسالة الغرام التي
كتبتها لك .

ون تشينغ: (بضيق) آه (يهم بالعودة إلى غرفته)

صه يي: (بقوة) وتجرؤ على المغادرة! (يتوقف تشينغ ، تكز

على أسنانها) الفأر الذي لا يستطيع سرقة الزيت من القط يكتفي
باشتهائه فقط . أريد أن ألقنها درساً ...

(ينطفئ الضوء في الصالة الكبيرة فجأة فيختفي الظل ، تدخل
يوان بلباس النوم تحمل الحمامة بيد ورسالة باليد الأخرى)

يوان يوان: (بحيوية) إي ، (تعطي الرسالة إلى ون تشينغ)
هذه الرسالة لك من أبي يا عم (تلتفت إلى صه) أتما لم تناما
أيضاً ، سوف ننام جميعاً .

(تخرج يوان ، يغلق الباب)

ون تشينغ: (يطلق زفرة طويلة بعد الانتهاء من قراءة الرسالة) آه .

صه يي: ماذا؟

ون تشينغ: (يقدم الرسالة لها) السيد يوان يقول إن خطيبته
سوف تصل قريباً .

صه يي: ولديه خطيبة؟

ون تشينغ: إي ، ويطلب منك أن تجدي له غرفة مناسبة .

صه يي: (تنتهي من قراءة الرسالة ، متهمكة) إيه ، ماذا
أقول ، مرة أخرى آنستنا صو ...

صو فانغ: (بصوت منخفض) أخي الكبير يطلبني .

ون تشينغ: أنا ...
صه يي: نعم يا أختي صو . (تعطي الرسالة إلى تشينغ)
ما رأيك؟

ون تشينغ: آه ، (يهم بالمغادرة)
صه يي: (بقوة) قف! أنت تدفعني للقيام بعمل غير لائق؟
ون تشينغ: (بأسى) صو فانغ ، اذهبي ، لا تصغي إليها .
صو فانغ: (تنظر إلى صه ثم تهم بالمغادرة)
صه يي: (إلى صو) لا تتحركي (إلى تشينغ ، متجهمة)
أعدها لها! (يأخذ ون تشينغ الرسالة بخنوع)
صو فانغ: (تحقق بون تشينغ وهي واجمة . يمد ون تشينغ
الرسالة لها بمعاناة)

صه يي: (تبتسم مكشوفة) هذه رسالة أختي صو إلى ون
تشينغ؟ ون تشينغ يقول لك آسف ، استرديها من فضلك .
صو فانغ: (تستلم الرسالة بيد مرتجفة)
ون تشينغ: (يطأطئ رأسه)

(صمت)

(تغادر صو فانغ بهدوء من باب غرفة التريبة)

ون تشينغ: (يلتفت متأملاً صو وهي خارجة ، لا يحتمل ذلك فيجلس على الكنبه باكياً)

صه يي: (بصوت منخفض وبخبت) لم تبكي؟ مات أبوك!
ون تشينغ: (يومئ برأسه) لا تضغطي علي أكثر ، فأنا لن أعيش طويلاً .

صه يي: (تزفر) محاسب أسرة دو المجاورة جاء مساءً لاسترداد الدين ، والعجوز رهن البيت بمستندات ، لا يمكن الحصول على يوان واحد . فمن منا سوف يموت أولاً يا ون تشينغ ، سوف أصاب بالجنون أنا الأخرى .

(تدخل صه يي إلى غرفتها . يقف ون تشينغ مكتئباً ، يمشي باتجاه غرفته ببطء صوت سقوط شيء في الغرفة المقابلة أشبه بوقع عصا على الباب . تخرج ون تساي من غرفتها مسرعة)

ون تساي: (بصوت منخفض وبخوف) أخي .

ون تشينغ: ماذا؟

ون تساي: لقد أفرط في الشراب و جن جنونه .

ون تشينغ: (بوهن) وإذا ما العمل؟

ون تساي: (بعجلة) ما العمل ، تقول ما العمل؟

(صوت أشياء تنكسر وشتائم)

ون تساي: (تشد ون تشينغ من يده) اسمع إنه يكسر الأغراض .

ون تشينغ: (يرفع رأسه) إيه ، دعيه يكسر .

ون تساي: (متألماً) إنه ، إنه جن ، يريد أن يضربني ، يريد أن

يطلقني ...

ون تشينغ: (يبتسم بمرارة) طلاق؟

[صوت جيانغ تاي من داخل غرفته: (يضرب الطاولة) ون

تساي! ون تساي!]

ون تساي: أخي!

[صوت جيانغ تاي: (يضرب الطاولة ويصرخ) ون تساي!

ون تساي! ون تساي!]

ون تساي: (تشد أخيها) أخي! اسمع!

ون تشينغ: لا تشديني .

ون تساي: (بقلق) يمكن أن يتسبب في فوضى يا أخي .

ون تشينغ: اتر كيني ، الفوضى في قلبي!

(يسحب تشينغ يده ، ثم يمشي مترنحاً باتجاه غرفته . تمشي

ون تساي خطوتين باتجاه غرفتها ، يفتح الباب فجأة ، يخرج

جيانغ تاي مخموراً ، يلبس فردة حذاء بإحدى قدميه)

جيانغ تاي: (بعيد الشبه عما رأيناه منذ قليل ، يتكئ على الباب جاحظ ومحمر العينين) أين ذهبت؟ أنت تعرفين جيانغ تاي أم لا ، أنا هو جيانغ تاي ، ناديتك ، وناديتك ، لم لم تأت؟
ون تساي: (خائفة) أنا ، أنا ، أنت ...

جيانغ تاي: أعيش في بيت أهلك ، وأنفق نقودي . تحملت خارج البيت مزاج أسرتي طوال عمري ، فهل ينبغي علي أن أتحمل مزاج أفراد أسرة زنج داخل البيت أيضاً؟ أريد أن أشرب الخمر الذي أشتري ، وأكل الطعام الذي أطبخ! وسوف أقاتل كل من يتناول علي! هيا (يشد يد ون تساي) ناده لي .

ون تساي: (تمنعه) من تريد؟

جيانغ تاي: زنج هاو ، أبوك ، أريده أن يعتذر مني ، أريد أن أصفى حسابي معه .

ون تساي: غداً ، غداً . أبي نائم الآن .

جيانغ تاي: إذاً أنا سأناديه الآن . (يمشي)

ون تساي: (تمنعه) لا تذهب .

جيانغ تاي: اتركيني!

ون تساي: (بفطنة ، تلتفت) آه ، انظر ، جاء أبي .

جيانغ تاي: أين؟

ون تساي: هنا .

[تدفع ون تساي جيانغ تاي إلى داخل الغرفة وتغلق الباب
صوت جيانغ تاي من الداخل: (يقرع الباب) افتحي ، افتحي]
ون تساي: أخي! (تسرع إلى غرفة أخيها) أخي!
[صوت جيانغ تاي: (يدفع الباب) افتحي ، افتحي]

(تقترب ون تساي من غرفة أخيها وترفع ستارة الباب)
ون تساي: (كما لو أنها رأت شيئاً مرعباً) آ ، يا رب ، أما
زلت تدخن هذا!

[صوت ون تشينغ من داخل غرفته: (زفرة طويلة) لا علاقة
لك بي ، أنت مظلومة وأنا مظلوم أيضاً .]

[صوت جيانغ تاي من داخل غرفته: (يزأر) ون
تساي (يضرب الطاولة) افتحي ، سوف أحرق الغرفة! سوف
أحرق الغرفة ، سوف أشعل النار ، أنا ...]

(يسمع صوت سقوط جسم ما ، يبدو أن جيانغ تاي قد وقع
على الأرض)

ون تساي: (تركض باتجاه غرفتها وهي تصرخ) يا الله ، جيانغ
تاي اصح ، ألا يكفي ما فعلت ، أمتني من شدة الخوف! (تفتح الباب)

(تدخل ون تساي إلى غرفتها، تغلق الباب، يسمع أنين جيانغ تاي. يدخل زنج هاو مباشرة من غرفة التريبة، يلتف بعباءة خفيفة ويحمل فانوساً وهو يرتجف، تساعدُه صو فانغ)
زنج هاو: (مضطرباً) ما الذي حدث؟ ماذا حدث؟ (إلى صو بصوت منخفض) طلبتني لرؤية من، من الذي أثار كل هذا الصخب. أحضري عباءتي القطنية.

(تخرج صو فانغ من باب غرفة التريبة. مازال جيانغ تاي يئن داخل غرفته. يسمع صوت ون تشينغ داخل غرفته، يلمح زنج هاو ضوءاً في غرفة ون تشينغ، يقترب من الباب، يرفع الستارة ويلقي نظرة إلى الداخل)

[صوت ون تشينغ: (بصوت مخنوق) من؟]

زنج هاو: من! (لم يكن يتصور ما رأى) أنت! لم ترحل؟

(يرتبك ون تشينغ خائفاً، يحمل بيده سيجارة)

زنج هاو: (يتراجع) كيف عدت مرة أخرى، مرة أخرى...

ون تشينغ: (يطأطئ رأسه) أبي، أنا...

زنج هاو: (لا يتكلم من شدة الذهول، يرتجف، يمشي باتجاه تشينغ الذي يتراجع خائفاً بالقرب من طاولة الأولياء الثمانية،

يركع زنج هاو فجأة إلى ون تشينغ ، بحزن) إنني أركع لك ،
أنت أبي ، وأنا ابنتك . أرجوك ألا تدخن هاأنذا أسجد لك ،
أتوسل إليك لا ... (يسجد)

ون تشينغ: (درك فجأة ذنبه ، يرمي السيجارة) يا أمي!

(يدفع ون تشينغ باب الصالة الكبيرة ويخرج راكضاً ، وفي
الوقت نفسه يغمى على زنج هاو وينهار على الكنبه القريبه . تعود
صو فانغ من باب غرفة التريه وهي تحمل العباءه القطنية)

صو فانغ: (مدعوره) زوج خالتي ، زوج خالتي (تساعده على
الجلوس) زوج خالتي ما بك؟ زوج خالتي! استيقظ يا زوج خالتي!
زنج هاو: (يفتح عينيه قليلاً ، بضعف) هو ، هل ذهب؟
صو فانغ: (مرتجفة) ذهب .

زنج هاو: (يكز على أسنانه) ولد كهذا الولد لم لا (وقفه)
يموت! لم لا (وقفه) يموت! (يرغب في النهوض ، يتصلب لسانه
فجأة) لساني ... مخدر ... أنت ...

صو فانغ: (بصوت مرتجف) زوج خالتي ، اجلس ، سوف
أحضرك لك شراب الجنسغ يا زوج خالتي!
(تجحف عيناه ويرتخي فمه ، يفقد القدرة على الكلام ، تخرج

صو را كضة) [صوت ون تساي من داخل غرفتها: (تبكي) جيانغ تاي! جيانغ تاي

صوت جيانغ تاي: (يصرخ) انقلعي ، أنت!

صوت ون تساي: جيانغ تاي!]

(يفتح جيانغ تاي الباب ، يخرج ويغلق الباب وراءه)

[صوت ون تساي: افتح الباب ، افتح الباب]

جيانغ تاي: (يرى ، على ضوء الشمعة المتراقص ، زنج هاو جالساً في حالة سبات ، غاضباً) آ ، أنت تجلس هنا!

زنج هاو: (عينان جاحظتان وفم مرتخ)

جيانغ تاي: لا ترمقني بهذه النظرة ، سوف أرحل غداً من كل بد ، وإلا كنت سيئ الحظ في إعالة زوجتي العجوز! (متذمراً) ولكن قبل أن أرحل ، صف لي حسابي ، حاسبني .

[صوت ون تساي: (تصرخ بالحاح) افتح الباب ، افتح الباب ، مع من تتكلم؟ جيانغ تاي (تضرب الباب) افتح الباب ، جيانغ تاي افتح الباب (يتخلل صراخها حديث جيانغ تاي التالي)]

جيانغ تاي: أنت مدين لي ، وهذا يكفي! لم أتكلم معك

سابقاً بشكل مباشر ، لا يمكن لك أن تستمر بالتظاهر بالحقم والصمم ، من أجلك فقدت وظيفتي ومن أجلك خسرت أموالى . حبستنى زوجتى الآن . تحملت الصيت السيئ ، لم أرفع رأسى طوال عمري ، هذا ما أنت مدين به لى . يكفى ، ليس أمامك مفر ! يكفى ، وأنت تعدنى مرة بعد مرة بىوم الخلاص . لا يمكن لك أن تبقى ساكناً هكذا ، وإلا ... نعم (يصرخ) هل ترى أم لا ، أنا أدعى جيانغ تاي ، أنا جيانغ تاي ! تعرفنى حق المعرفة ! صهركم ! أنت سلبتني كل أموالى ، زنج هاو ، زنج هاو ، هل تسمع أم لا ؟

[صوت ون تساي: (مهدة) افتح الباب ، افتح الباب (تنادى) أبى ، أبى لا تهتم له ، إنه يهذى ، لقد فقد عقله . أبى ، أبى ، أبى ! افتح الباب يا جيانغ تاي (تستمر بالمناداة أثناء كلام جيانغ) افتح الباب ، أبى ، أبى !]

جيانغ تاي: زنج هاو ، هل سترد لى الدين أم لا ، سترده أم لا ؟ أنا أعرف أن لديك مدخرات ، ذهب ، فضة ، أسهم ، سندات عقارية . (بصراحة) نعم ، أقرضنى ثلاثة آلاف يوان ، وسوف أعمل فى التجارة ، وسأعيدها لك ، رأس المال مع الفائدة ، هل تسمعنى أم لا ؟ سوف أعيدها لك أضعافاً مضاعفة ،

جيانغ تاي يتكلم معك ، يا سيد زنج ، أنت تحتفظ بالكثير من المال؟ ولقد كبرت ، عمرك ليس بالشيء القليل . لقد هيات تابوتك ودهنته لأكثر من مائة مرة ، وأنت ...

[صوت ون تساي: (تدق الباب) افتح الباب ، افتح الباب]
(تدخل صه بي من غرفة التربة ويدها دفتر حساب
زنج هاو وهي غاضبة ، تلقي نظرة على زنج هاو ثم تذهب إلى
غرفة ون تساي وتفتح الباب)

جيانغ تاي: (لم يشعر بدخول صه بي ، يتأمل زنج هاو
بهدهوء ، مشمئزاً وبصوت خافت) ما الذي يضحكك؟ لماذا تضحك
مني؟ (بعنف مفاجئ) كيف لم تمت حتى الآن؟ لم لم تمت؟ (يقف
قبالة زنج هاو كالمجنون ، يهز كتفيه بينما هو في غيوبة)

(تخرج ون تساي مسرعة وقد قرحت وجنتيها الدموع)
ون تساي: (تشد جيانغ تاي وبصوت مبحوح) أنت شيطان!
أنت شيطان!

جيانغ تاي: (مرة يدفع ون تساي ، ومرة يصرخ بانفعال)
اتركيني ، اتركيني ، أريد أن أقتل أحدكم ، أريد أن أقتله ، ثم
أقتل نفسي .

(تممكن ون تساي من إدخال جيانغ إلى الغرفة وإغلاق الباب . تعود صوفانغ مسرعة وهي تحمل زبدية الشراب . تقف صه بي جانباً مكفهرة الوجه)

صوفانغ: (تقرب الزبدية من فمه) زوج خالتي ، زوج خالتي ، اشرب قليلاً يا زوج خالتي!

(يدخل تينغ من غرفة التريبة)

تينغ: ما به؟

صوفانغ: (تنحلي عن سقايته) جدك ليس بصحة جيدة ، اتصل بالطبيب لو تاي

تينغ: كيف؟

صوفانغ: جُن ، زوج خالتي ، زوج خالتي!

(يخرج تينغ من باب صالة الضيوف ، تدخل في الوقت نفسه المربية من غرفة التريبة مذعورة ، مازالت ترتدي ملابسها)
المربية: (مذعورة) ما به سيدي؟ ماذا حدث لسيدي؟
صوفانغ: (بقلق) اسندي رأسه ، وسوف أسقيه .

(قشع في بلعوم العجوز)

المربية: (تسنده) لا بأس عليك ، ابصق . . . أسنانه مطبقة بشكل قوي ، لا يمكن سقايته .

صو فانغ: زوج خالتي ، زوج خالتي!

(يدخل ون تشينغ من باب الصلاة الكبيرة)

ون تشينغ: (يمشي إلى قبالة أبيه ، يتوسل إليه بتأنيب ضمير)
أبي ، أبي ، أنا غلطان ، أنا غلطان .

(تخرج ون تساي من غرفتها مسرعة)

ون تساي: (تحتضن ساقَي أبيها) بابا ، بابا ، أبي!

صو فانغ: يا زوج خالتي ، يا زوج خالتي!

المربية: سيدي ، سيدي!

صه يي: (فجأة) لا تصرخوا ، ولا تنتظروا وصول الطبيب ،
خذوه إلى المشفى .

صو فانغ: (برأس مرفوع) زوج خالتي لا يريد الذهاب
إلى المشفى .

صه يي: (إلى المربية) استدعي أحداً .

(تخرج المربية من باب الصلاة الكبيرة)

ون تساي: (بعجلة) سوف أذهب إلى أسرة دو لاستعارة سيارتهم .

(تخرج ون تساي من باب الصلاة)

صو فانغ: يا زوج خالتي ، يا زوج خالتي!

ون تشينغ: (ينشج) ما العمل؟ ما العمل؟

صه يي: إيه ، ما العمل؟ (بغضب) انظر (تمزق دفتر حساب
زنغ أمامه) ما العمل؟

(تعود المريية بصحبة تشانغ شون . تنار صالة الضيوف بشكل
كبير ، يظهر ظل الإنسان القرد متحركاً على الستارة الورقية ،
يقتررب ويتعد بخطوات ثقيلة ، يقتررب باتجاه الجمهور)

صه يي: (تشير إلى تشانغ شون) ليس إلا هو؟

المريية: هناك آخر .

(يفتح الباب بسرعة ، يظهر رجل بكين مغطى بشعر أسود
أشبه بجبل يربض أمامهم ، يدخل حافي القدمين وبخطى ثقيلة ،
يتبعه تينغ)

صه يي: (إلى تشانغ) احمله مباشرة إلى السيارة .

(يشير تشانغ إلى إنسان بكين بيده ، ينظر إنسان بكين إلى
تشانغ ثم يهم بحمل زنغ هاو)

صوفانغ: (تمسك بزنج هاو) لا يريد الذهاب إلى المشفى ،
عيناه تقولان ذلك .

(ينظر زنغ هاو بعينين حزينتين ولا يتكلم)

(يقف إنسان بكين يتأمل صو فانغ)
صه يي: (تشديد صو وتشير إلى تشانغ) احمله (يهم تشانغ بحمله ...)

(يدفع رجل بكين تشانغ بخفة، يرفع زنغ هاو كالحمل
ويمشي باتجاه باب الصلاة)

تينغ: (يكي) جدي، جدي .

صه يي: لا تبك .

ون تشينغ: (يتبعه) أبي، أبي، أنا غلطان .

(عند العتبة يتشبث زنغ هاو بيده الشاحبة بالباب)

تينغ: (يلتفت) ل ا يريد أن يغادر البيت، يتمسك بالباب
بكل قوته ولا يتركه .

صه يي: اسحبه بقوة (يتقدم تشانغ إلى الأمام)

صو فانغ: (بحزن) إنه لا يريد مغادرة البيت . (يتردد الجميع)

صه يي: يجب الإسراع بإنقاذه، احمله بسرعة، تسمع
كلامي أم كلامها، احمله .

(يدفع تشانغ رجل بكين إلى الأمام)

صو فانغ: يده! يده!

صه يي: (إلى تينغ) افتح يده .

تينغ: أنا خائف .

صه يي: أحمق ، أنا سأفعل ذلك .

ون تشينغ: أبي .

تينغ: (بخوف) ما ، يد جدي ، يده!

(صه يي تفك يد العجوز بقوة)

ون تشينغ: (إلى صه بغضب) أنت شيطان! لقد جرحت يد

أبي وسال الدم منها .

صه يي: احمله! (بخبث وبصوت منخفض) يجب أن يباع

البيت ، هل تريده أن يموت في البيت؟

[يتبع الجميع رجل بكين ، يتخلف عنهم ون تشينغ .

يسمع صوت البانغ زه .

أنين مخنوق لرجل سكران في الجوار .

يسمع صوت بائع الكعك الموحش .

يدخل ون تشينغ إلى غرفته . يأخذ معطفاً وقبعة بالية ، ويضع

لوحة تحت إبطه ، يطلق زفرة طويلة ثم يغادر ببطء ، يتلمس الباب وهو خارج .

تهب الريح بأمطار الخريف إلى الداخل ، يفتح الباب تلقائياً ، يترك ضوء الشموع ظلالاً ثقيلة على الجدران ، تحرك الريح اللوحات الجدارية فتصدر صوتاً .

دقات صنج كثيفة وموحشة في مكان بعيد]

تنزل الستارة

الفصل الثالث

المشهد الأول

يوم من أيام أواخر الشهر التاسع ، وقد ارتدى الناس ألبستهم الشتوية . السماء في أواخر الخريف صافية ومهيبة . الوقت عند الغسق ، الحديقة ذاوية ، أسراب الغربان تحلق وتحط على ذرى أشجار الدردار التي أنهكتها السنون والأيام ، وقد بدت كلوحة مبرقة بالحبر الصيني ، وهي تفرق دون انقطاع . عندما تشتد الظلمة تعود الغربان إلى أعشاشها . يسمع صوت بوق عودة الجنود إلى الثكنة داخل سور المدينة . صوت بوق وحيد يأتي من مكان بعيد يؤلّد الوحشة في أعماق قلب المرء ، إنه أشبه بروح رقيقة تسترجع أيامها الخوالي ، يثير الحزن ، والأسى ، ومشيع بالحنين والأمل ، ويجعل القلب لا يتوقف عن الخفقان في مثل هذا الطقس البارد .

بدأ النهار يقصر شيئاً فشيئاً ، ما إن تدق السادسة مساء

حتى تكثحل سفوح الهضاب الغربية بلون الشمس الليلكي خلف
البوابة الحجرية . وعند منتصف الليل تهب الرياح الغربية ، فتسبب
القوضى في أشجار الحديقة اليابسة . في صباح اليوم التالي تنعكس
باكراً أشعة الشمس على قمم البيوت القرميدية بشكل مذهش ،
والسما صافية مشرقة ، وطبقة جليد بيضاء تغطي الأرض ، أما
باحات البيوت وممرات المشاة في الشوارع فقد غطتها رياح الليلة
الماضية بطبقة من أوراق الشجر الصفراء . الطقس بارد ، وقد
شكل نَفَسُ الناس سحابة ضباب بيضاء تطفو في فضاء الغرف
الباردة ، وحييات ماء متجمدة لا زالت تغطي الخضار التي
اشتراها المرء تَوّاً ، وسوف يشعر الجالس دوغماً حركة في البيت
بتجمد قدميه ، وقد تراخى الذباب على النوافذ ، أما تلك التي
لم يقوَ جناحها على حملها فقد سقطت على حواف النوافذ ،
جرت العادة في مثل هذا الطقس ، على مر السنين ، أن توقد
النار في بيوت الأسر ذات الثروة والمال مثل أسرة زنع في وقت
باكر من الصباح ، بحيث يتسلل الدفء إلى صالة الضيوف ،
كما توزع مزهريات الأقحوان على حواف النوافذ العريضة ،
تضم فيما تضم زهوراً خضراء وبيضاء وصفراء ، وهي ذات
أوراق عريضة وأخرى حادة ، وجميعها من الأنواع المعروفة ،

يرفع بعضها على قواعد ويترك بعضها على الأرض ، وقد نصبت على باب الصالة عريشة من خشب الصندل ، تدلى منها شلة من أزهار الأقحوان الاصطناعية الزرقاء ، توزعت جميعها بشكل يبهـر الأبصار . يشرب سيد البيت الخمرة ويستمتع بمنظر الزهور عندما يكون سعيداً ، ويدعو بعضاً من معارفه وأصدقائه ، لتناول لحم من قدر يتصاعد البخار منه ، أو للعب رهان الكفين ، أو التباري بالشعر ، بينما هم يدفنون بطونهم بالخمرة في حالة من النشوة والزهو بهمة عالية ومتعة غير محدودة .

نكاد لا نجد أثراً لفرح ومتعة الأيام الخوالي في بيت زنج هاو في هذه الأيام ، بعد أن ازدادت ظروف الأسرة صعوبة . أصيل أواخر الخريف هذا ... يأتي بعد مرور شهر على أحداث الفصل الثاني ... يبدو المكان مخرباً ، فأزهار الأقحوان الاصطناعية بهت لونها ، كما نُزعت إحدى درفات الباب واستخدمت في إصلاح النوافذ بشكل اعتباطي . أزهار الأقحوان البيضاء الموضوعة أمام باب الصالة اصفرت أوراقها وانحنت رؤوسها . كذلك ذبلت أزهار الأقحوان الصفراء الموضوعة في مزهرية على الطاولة النصف دائرية التي تستند إلى الجدار ، وسقطت بعض أوراقها . يمكن اعتبار أزهار الأقحوان الذابلة تلك دليلاً

على أسرة زنع الآفلة. الكثير من الزينة تم إزالتها، لوحات الجبال والأنهار المعلقة على الجدران تحولت بطاقتها إلى رمادية باهتة، ونزعت لفائفها السفلية باستثناء واحدة. ورق الجدران بدأ يتقشر.

العود سباعي الأوتار المعلق في الزاوية أزيح، ولا يعرف لمجرد من غلافه، والتول البرتقالي مازال متهدلاً في مكانه كما لو أنه مثقل بالهموم، وألوانه ليست ناصعة كفاية، وقد حاك العنكبوت شبكته ما بين التول والسقف. ورق نوافذ غرفة التريبة مُزقّ بعضه ثم تم لصقه لأكثر من مرة حتى أتلّف. كرسيان مربعان وضعاً كيفما اتفق بجانب الحائط، واحد منها فارغ، وعلى الآخر سلة أدوات خياطة. زجاج النافذة المثلث لم يمّسح منذ زمن، وقد تراكم الغبار عليه. على طاولة الأولياء الثمانية بقرب النافذة إبريق شاي وكأسان، وإلى جانب الطاولة كرسي بمسند.

حزمة من أشعة الشمس الغاربة تخللت زجاج النافذة وأضاءت بتلات الأقحوان على الطاولة، وفي الوقت نفسه انعكست على خيوط العنكبوت المحاكة على غطاء العود سباعي الأوتار، فيعتم تارة، ويرق تارة كضوء القمر، ثم يعتم مرة أخرى.

نعيق غراب عجوز في الخارج . يسمع صوت عجلات عربة
السقا بشكل رتيب «تشي نيو تشي نيو نيو» . غابت الشمس
وراء الهضاب ، وبدأت العتمة تلف المكان شيئاً فشيئاً .

عندما تفتح الستارة ، نرى ون تساي جالسة على كرسي
بمسند وهي تحيك صدرية من الصوف . ترتدي ثوباً واسعاً قديماً
أسود اللون من وبر الجمل ، وحذاءً مخملياً أسود . ملامحها
قلقة ، تتوقف بين الحين والآخر عن الحياكة ، كما لو أنها تنتظر
أحداً بهدوء . يتكئ جيانغ تاي على الكنبه القديمة ، يقرأ في
كتاب «فراصة ما إي»^(١) . ويمسك بيده اليسار مرآة مكسورة
بشراية حمراء ، يقلب الكتاب وينظر إلى وجهه في المرآة ، ثم
يعود للبحث في كتاب الفراصة المجلد بالخرز .

يرتدي جيانغ تاي ثوباً واسعاً قديماً من وبر الجمل ، رمادياً
يبقع صفراء ، على أحد كفيه أثر حرق سيجارة ، كماه قصيران
وعريضان بشكل لا يتناسب مع جسمه ، وسروالاً غربي الطراز
اسمر اللون ، وحذاء قديماً متعدد الطبقات .

وقت طويل يمر .

(١) فراصة ما إي: كتاب في فن الفراصة ، ويحكى أنه من تأليف الراهب ما إي في عهد أسرة
سونغ ، وقد عرف قديماً بهذا الاسم .

تدخل المربية من غرفة التربة تحمل حذاءً مُخاطاً حتى نصفه .
شعرها أشيب ، تبدو وقد زادت التجاعيد في وجهها . ولأنها
تخاف الشيخوخة فهي تلبس سترة مبطنة رمادية ، سروالاً واسعاً
من الساتان الأزرق . عندما تراها قادمة تضع ون تساي أدوات
الحياكة من يدها وتقف .

ون تساي: (تسأل بصوت واطئ وباهتمام) هل رحل؟
المربية: (تقف ، تلتفت إلى النافذة وتصغي . تغالب ون
تساي حزنها وتنتظر الرد . تهز المربية رأسها إذ لا مناص أمامها
من الإجابة) لم يرحل ، ليس من المؤكد أن يرحل .
ون تساي: (تزفر وقد خاب أملها ، تجلس وتستأنف عملها)
(يلتفت جيانغ تاي وينظر إلى المرأتين ، تبدو عليه ملامح
الاشمئزاز ، يعود لمتابعة القراءة في «فراصة ما إي»)
المربية: (تطلق تنهيدة طويلة ، تطوف بنظرها في أرجاء
البيت ، تمسح دموعها بطرف كمها ، تمشي حتى الكرسي
المربع وتجلس هناك حيث تستقبل ضوء الغسق ، تكمل
خياطتها للحذاء)

جيانغ تاي: (ترتجف ساقاه ، يرتجف جسمه)

ون تساي: (ترفع رأسها وتنظر إلى جيانغ) بردت قدماك؟

جيانغ تاي: (بضيق)؟ (يعود لمتابعة القراءة وتعود ون تساي
لمتابعة حياتها)

(فترة صمت طويلة)

ون تساي: (تلقي نظرة باتجاه جيانغ ، تعود وتحيك غرزتين ،
لا تحتمل) تاي!

جيانغ تاي: (يصغي لها دون أن يرفع نظره عن الكتاب)
ون تساي: (بلطف) تاي ، ماذا تفعل؟
جيانغ تاي: (لا يهتم لها)

(تلقي المربية نظرة إلى جيانغ تاي ، ثم تلتفت ممتعضة)
ون تساي: (تضع نسيجها جانباً) تاي ، كم الساعة الآن؟
جيانغ تاي: (يتأمل وجهه في المرأة دون أن يلتفت)
لا أعرف .

ون تساي: (تنظر إلى الخارج) تقارب الساعة السادسة؟
جيانغ تاي: (يضع المرأة ، يلتفت ، يشير بيده) انظري
إلى الساعة!

ون تساي: الساعة معطلة .

جيانغ تاي: (يدور عينيه في محجريهما) أصلحوها! (يعود
للنظر في المرأة)

ون تساي: (متخوفة) تاي ، ما رأيك أن تذهب إلى صالة الضيوف وترى ماذا يفعلون الآن؟

جيانغ تاي: (باضطراب) لا علاقة لي ، لا علاقة لي ، ليس لي علاقة ، أمور أسرتكم معقدة جداً ، وليس لدي الوسيلة لحلها .

ون تساي: (ترجوه) اذهب وألق نظرة ، ما رأيك؟ انظر ماذا ينوي أفراد أسرة دو فعله؟

جيانغ تاي: ماذا ينوون فعله؟ يريدون استرداد دينهم من أسرة زنج ، إما المال ، وإما البيت ، وإما تابوت السيد زنج ، التابوت الذي اهتم به لسنوات .

ون تساي: (بضعف) ولكن التابوت هو حياة أبي ، حياة أبي!
جيانغ تاي: مع أنك تعرفين أن تسوية هذا الأمر شيء مستحيل ، تطلبين مني تسويته؟

المربية: (كانت قد توقفت عن الخياطة وهي تصغي ، مقاطعة) لا عليكما ، لا يوجد مال ، والبيت للسكن ...

جيانغ تاي: والتابوت ...

ون تساي: يعز على أبي فقدانه!

جيانغ تاي: (يحدق بون تساي) فهمت؟ (يعود إلى المرأة)

ون تساي: (تطأطئ رأسها وتتنهد، تمسح دموعها بمنديلها)
[فترة صمت طويلة. نقيق غرابان في الخارج، صوت
عجلات عربة السقا «تشي نيو تشي نيو نيو»]

المربية: (تخطط النعل، وبين الحين والآخر تمرر الإبرة في
شعرها الأبيض، ثم تبذل جهداً في غرز الإبرة في النعل. تتوقف
لحظة، ترفع رأسها وتزفر) حان وقت عودتي، العودة! غداً
أعود إلى بيتي، يا لعيد ميلاد سيدي العجوز، يمر هذا اليوم كثيراً
حزيناً! آه، أين هذا من مساء ذلك اليوم... (فجأة) عندما كان
السيد يحتفل بعيد ميلاده، كانت تستضيف الأسرة فرقة مسرح
غنائي، ويمتلئ البهو وصالة الضيوف بورد الأقحوان، وتقام
مأدبة للجميع حيث يملأ المهنتون البيت، ففي كل زاوية وركن
كعكة دراق العمر الطويل ومعكرونة العمر الطويل، وناموسية
العمر الطويل الحمراء، أين هذا اليوم من تلك الأيام...

ون تساي: (تنظر إلى جيانغ، تفكر بما آل إليه حالهم لدرجة
أنها لم تعد تسمع كلام المربية ثم تقطع كلام المربية وبمعنويات
عالية إلى جيانغ) تاي، ما الذي تفعله هنا؟

جيانغ تاي: (يدور عينيه في محجريهما) وماذا تريدني
أن أفعل؟

ون تساي: (تبتسم على مضض) أقصد ما الذي تراه برؤية وجهك في المرأة؟

جيانغ تاي: (يقف وقد طفح الكيل) أرى أنفي! هل سمعت ، أرى أنفي ، أنفي ، أنفي (يأخذ المرأة والكتاب ويذهب إلى أبعد كرسي ويجلس هناك)

ون تساي: لا داعي للشجار مرة أخرى ، فحياة أبي في خطر هذه المرة .

جيانغ تاي: (يعتقد أن ون تساي تتعمد إزعاجه ، تنتابه سورة من الغضب ، وهو لا حيلة له ، يشير إليها) انظري إلى نفسك! انظري إلى نفسك! انظري إلى نفسك! تلمحين في كل مرة تتكلمين فيها كما لو كنت أنا المسؤول عن مرض والدك في ذلك اليوم . من لا يعرف الآن أن السبب هو أخوك الأكبر وزوجته ...

ون تساي: (مبررة تصرفها) ومن يشك في ذلك؟ (تطأطئ رأسها ، بلطف) ما أعنيه أن والدي عاد لتوه من المستشفى وعليك أن تهنته بعودته سالماً ، اذهب إليه ، ماذا قلت؟

جيانغ تاي: (مازال غاضباً) أنا لا أفهم ، هو لا يرغب برؤيتي ، فلماذا تطلبين مني رؤيته؟ لينس ذلك اليوم الذي كنت

سكراناً فيه ، لقد أخطأت فيما قلت وقد أسأت له ، لقد ذهبت إلى المشفى لزيارته الشهر الماضي ، لم ينظر إلي ، لا يريد رؤيتي ...

ون تساي: (مفسرة) آه ، إنه عجوز وحالته النفسية سيئة .

جيانغ تاي: وهل حالتي النفسية جيدة؟

ون تساي: (بصعوبة) ولكن أبي عاد إلى البيت الآن ، ويجب أن نطمئن على صحته ، ناهيك عن ...

جيانغ تاي: (تنقسه الحجة ، يمشي إلى أمام زوجته ويشير في وجهها) أنت ، أنت ، كيف تعلم فمك الخداع الآن؟ كم أنت مخادعة؟ سوف أغرب عن وجهك ، ما رأيك؟

(يأخذ جيانغ تاي المرأة والكتاب ويخرج من باب غرفة التريبة)

ون تساي: (بالم) جيانغ تاي!

المربية: إيه ، الحق به ...

(يعود جيانغ تاي وهو يبحث في كل مكان بشكل اعتباطي)

جيانغ تاي: أين كتاب «فراصة ما إي»؟ (يبحث عنه) آ ،

هنا . (يخرج)

ون تساي: جيانغ تاي .

المربية: (متعاطفة معهما) آ، الحقي به، لا بأس ألا يراه أبوك. ربما رؤية أبوك لزوجك تذكره بون تشينغ الأمر الذي سوف يزعجه.

ون تساي: (معدومة الحيلة، تطلق زفرة طويلة) هل انتهيت من خياطة الحذاء؟

المربية: (تبتسم) بقي غرزتان (تضع الحذاء جانباً، تأخذ المرأة البرونزية القديمة القرية منها، تفرك عينيها) الحذاء انتهى وصاحبه لم يأت.

ون تساي: (بصعوبة وبأمل) على كل إنسان أن يعود إلى بيته في نهاية المطاف.

المربية: (وقفة، تمسح دموعها بكميها، بحزن) إي، لكن... الأمل!

ون تساي: (بوحشة) مريتي، لا ترحلي غداً، تريثي لعدة أيام أخرى ريثما يعود أخي

المربية: (أفقدتها متاعب الشهر الماضي حمرة وجهها. تهز برأسها، تبلع ريقها الجاف من شدة التأثر. بمكابرة) لا، لا، أريد العودة، أريد العودة. (تجمع أدوات الخياطة في السلة، تفرك رأس أنفها المحمر) تطلبين مني أن انتظر، انتظرت لأكثر

من شهر، ولا أمل، أشعلت البخور، ولا علم ولا خبر،
يا ولدي المسكين، كانت ملابسه خفيفة عندما غادر البيت
... (إلى الخارج) تشو، تشو!

ون تساي: تشو يساعد السيد يوان في حزم الحقائب.

المربية: (تُخرج صرة من السلة، داخلها زوج من الأحذية
القطنية التي كانت قد انتهت من خياطتها منذ قليل) إذا، إذا عاد
في يوم من الأيام، أخبريني وسوف أعود على جناح السرعة
من القرية لرؤيته. (تغرورق عيناها بالدمع) تشو! ... (إلى ون
تساي) وأخبريه أن مربيته قد خاطبتها له، واطلبي منه أن يرسل
لي رسالة. (ظل ابتسامة) غداً، إن لم أمت، سأذهب إليه حيثما
كان لرؤيته. (لا تقوى على إخفاء حزنها)

ون تساي: (تقترب من المربية مواسية) لا عليك، هوني عنك!
لا يمكن أن يكون في وضع سيئ هناك، (ظل ابتسامة) رجل في
السابعة والثلاثين وسوف يصبح جداً، من يستطيع ...

المربية: (تغرورق عيناها بالدمع) مهما بلغ من العمر يبقى في
نظري ولدي الصغير لم يغادر البيت منذ ولادته، حتى لباسه
وطعامه لا يستطيع القيام بهما بمفرده ... (تمشي باتجاه صالة
الضيوف منادية) تشو، تشو!

[صوت تشو: نعم يا جدتي]

المربية: ماذا تفعل عندك؟ مازلت لم تنم بعد، سوف نرحل غداً.

[صوت تشو: طلبت مني الأنسة صوت إطعام الحمامة]

المربية: (تمشي باتجاه صالة الضيوف مثرثرة) آ، الأنسة صوت هي الأخرى وحيدة مسكينة! أخاف أن يفسد لها الطعام، أي متعة في إطعام حمامة في مثل هذا الوقت! (تخرج)

ون تساي: (تتوجه بكلامها إلى المربية وإلى نفسها، بحسرة)

يطعم الحمامة من يجيها!

(نعيق غريبان في الخارج، ترتعش ون تساي خائفة، تهم

بجمع أدوات الحياكة...)

(يدخل جيانغ تاي من غرفة التريبة مهموماً)

جيانغ تاي: (وقد نسي غطرسه منذ قليل، يشبه غيمة في

فصل ماطر، لا يتكلم، مكتئب، غضبان، حزين، يهز رأسه

باستمرار) لا يوجد وسيلة، لا يوجد وسيلة، حقاً لا يوجد

وسيلة! أينما ذهبت في هذا البيت الكبير لا تجد مكاناً دافئاً. حتى

هنا لم توقد النار، تجمدت قدماي من شدة البرد. زوجة أخيك

مهمة بالنقود، وأبوك مهمت بتابوته. أنا لا أفهم معنى مثل هذه

الحياة، أي معنى لها؟

ون تساي: لا تشغل بالك بالحياة .

جيانغ تاي: مهموم وأريد أن أقوم بثورة! (يبدأ مازحاً ثم يتصاعد غضباً) أريد أن أقاومه ، أريد أن أهزمه ، أريد أن أعلم من صديق روي تشن الثوري الهزيمة والمقاومة! الجميع يلعنونه ويلعنون ثورته ، قلبوا حياته رأساً على عقب! لكن ، لكن ، لكن ... (يلمس جيبه ، يسخر من نفسه ، بمرارة) بقي في جيبى يوان واحد ... (يفتش في جيبه مندهشاً) لا ، لا يوجد حتى يوان ، ... (يفكر ، بصوت منخفض) لأنظر إلى وجهي في المرأة!

ون تساي: جيانغ تاي ، أنت ...

جيانغ تاي: (بمأساوية كما لو أنه فقد والديه ، يطلق زفرة طويلة) كم سأكون سعيداً لو أستطيع اكتشاف بلسم مثل «بلسم الآلام» ، كم سأكون سعيداً!

ون تساي: (بأسى) تاي ، لا تترك العنان لخيلك مرة أخرى ، أرح ذهنك ، وإلا تحول إلى مرض عقلي .

جيانغ تاي: (كما لو أنه لم يسمع كلامها ، بهمة عالية) قلت لك يا ون تساي ، لقد تحولت في السوق صباح هذا اليوم وقد التقيت بقارئ بخت ، قال لي قارئ البخت ذاك إن تقاسيم وجهي مع الأنف تدل على الحظ الجيد ، وإنني سوف أصبح غنياً ، وقد

أثنى على أنفي الطويل ، الممتلئ ، ويدل على الشراء . (بجدية) لقد نظرت إلى أنفي منذ لحظة وقد رأيته لا بأس به! (يخشى أن تدحض ون تساي كلامه) قارئ البخت هذا منطقي بعض الشيء ، وإلا كيف عرف ذكائي في أعمالي السابقة؟

ون تساي: ابحث لك عن صديق .

جيانغ تاي: (شبه مقتنع) نعم ، يجب أن أبحث عن صديق ، صديق غني من أصدقاء الدراسة (يرفع من معنوياته بنفسه) سوف أبحث عنه ، سوف أذهب وأبحث عنه بعد قليل ، سوف أذهب إلى الحظ بنفسني .

ون تساي: (مشجعة) جيانغ تاي ، عليك أن تمشي وسوف تصل بكل تأكيد .

جيانغ تاي: (بسرور) حقاً؟ (فجأة) ون تساي ، لقد ذهبت لرؤية أبيك منذ قليل .

ون تساي: (مسرورة) وماذا قال لك؟

جيانغ تاي: (بمكر) أليس غريباً ، لم يكن في غرفته .

ون تساي: غادر غرفته مرة ثانية؟

جيانغ تاي: إي ، لا أعرف أين ...

(تدخل المربية من باب غرفة التربية)

المربية: (قلقة) يا سيدة تساي ، اذهبي لرؤية أبيك .

ون تساي: ماذا؟

المربية: آ ، لقد ذهب السيد بمفرده يتكئ على عصاه إلى
الغرفة الجانبية لرؤية التابوت .

ون تساي: آ ...

المربية: (بحزن) إنه يقف لوحده هناك قبالة التابوت ويذرف
الدمع ...

جيانغ تاي: وأين الآنسة صو؟

المربية: إنها تعد منقوع الأعشاب للسيدة سيدة
تساي ، لا يمكن إعطاء التابوت إلى أسرة دو ، اذهبي وأقنعيه
بالعودة أولاً .

ون تساي: (تنهمر دموعها فجأة) يا لأبي المسكين ، أنا ، أنا
ذاهبة ... (تمشي باتجاه غرفة التريبة)

جيانغ تاي: (بسخرية) لا ، اذهبي أولاً لإقناع زوجة أخيك .

ون تساي: (بكل جدية) إنها تناقش أفراد أسرة دو كي
تتخلص منه .

جيانغ تاي: آ ، إنها تناقش أسرة دو لإهدائهم التابوت .

حركي ضميرها قليلاً كي لا تفكر في إبقاء البيت مرهوناً لأسرة
دو ، ولتنتظر ريثما يتم بيعه بسعر جيد طالما أنه لم يؤخذ التابوت
بعد . تذكرني ، مصاريف علاج أليك في المشفى التي دفعتها
الآنسة صو . لقد اختبأت زوجة أخيك في الغرفة والتهمت
وجبات الدجاج ، تتظاهر بالفقر ، الغدارة ، هل نسيت اليوم
الذي دخل فيه أبوك المشفى كيف نهشت لحمه ، آ ، زوجة
أخيك هذه ...

(تدخل صه بي من غرفة التريبة)

المربية: (تسمع وقع خطوات ، تلتفت ، بصوت منخفض)
جاءت السيدة!

جيانغ تاي: (يتنحى جانباً)

(صه بي مكفهرة الملامح ، مقطبة الحاجبين ، تتعمد الظهور
بمظهر الحزين والمتألم . تلبس فستان تشياو بنياً فاتحاً بأكمام
مخمل سوداء موردة ، لمعة خفيفة عند المرفقين ، زر القبة لم
يُزرر ، بزة رسمية سوداء زرقاء وحذاء من الجوخ)

ون تساي: (متخوفة) كيف هي الأوضاع يا زوجة أخي؟

صه بي: (تمشي بهدوء إلى جانب الكنية)

(فترة صمت طويلة)

المربية: (باهتمام وتخوف) هل وافق أفراد أسرة دو أم لا؟

صه يي: (تجلس على الكنبه)

ون تساي: يا زوجة أخي ، هل وافق أفراد أسرة ...

صه يي: (تنكب على مسند الكنبه ، تبكي) أين ذهبت يا ون تشينغ؟ ذهبت وتركت لي هذه الأسرة الكبيرة ، ومطلوب مني الحفاظ عليها ، فماذا علي أن أفعل؟ لو كنت في البيت ، كنت ناقشتك في الأمر ، لكنك لست في البيت وتركت لي مواجهة هذه المشاكل العويصة ، فكيف يمكن لامرأة أن تهتم بكل شيء .

(يقف جيانغ تاي جانبا ينظر بفتور)

المربية: (منفعلة) تكلمي يا سيدتي ، هل وافقوا على تأجيل

الموعد أم لا؟

صه يي: (تمسح دموعها وأنفها ، تبلع ريقها ، بتأنيب) فكروا قليلاً ، أنشأت أسرة دو مصنعاً للغزل ، العفاريت! انتظروا حتى انطبق على أسرتنا المثل القائل «عندما يتصدع الجدار يتداعى الناس لهدمه» وتريدونهم أن يوافقوا؟ هم لا يرون رجلاً في

أسرتنا(يشخر جيانغ ساخرًا) ليس إلا العجائز والأطفال وهم
يصطادون في الماء العكر ، لا يتركون خياراً لك ، فكيف
يتخلون عنه؟

ون تساي: (بيأس) ما معنى ذلك؟ ألن يتخلوا عن تابوت أبي؟
صه يي: (تخرج مندبلاً وتمسح عينيها الحماوين ، ثم تقطب
حاجبيها فجأة) وهل بيدي حيلة أخرى؟ المال ، لا نستطيع
سحبه ، البيت ، هو للسكن ، وأفواه تحتاج إلى من يطعمها . ثم
إن رب أسرة دو يفكر بالتابوت منذ عدة سنوات ، وهو إن لم
يحصل عليه اليوم فلن ...

جيانغ تاي: (يستند إلى باب غرفته ، بسخرية) إذاً اهدوه له .
المربية: (مذهولة) آ ، نهديه له؟

صه يي: (لا تهتم إلى جيانغ تاي) وفوق ذلك فالأسرة
تريده اليوم ...

ون تساي: (تشهق) اليوم؟
صه يي: إي ، قالوا إن رب أسرتهم على وشك أن يلفظ
أنفاسه الأخيرة ، ومن وصيته أن طلب ...
جيانغ تاي: (يكمل كلامها) طلب تابوت رب أسرة زنج!
ون تساي: (مباشرة) وكيف سيوافق أبي على ذلك؟

المربية: (مقاطعة) حتى لو وافق ، من يجروء على الحديث معه بهذا الشأن؟

ون تساي: (قلقة) ثم إنه خرج اليوم من المشفى .

المربية: (مقاطعة) واليوم هو عيد ميلاده أيضاً ...

صه يي: (تنتحب فجأة) قلت ذلك! أين أنت يا ون تشينغ؟ ماذا علي أن أفعل الآن؟ علي أن أهتم بحماي وأن أعنتني بالأسرة ، وأنا في وضع لا أستطيع فيه أن أرضي الطرفين . قل يا ون تشينغ ماذا علي أن أفعل!

(يفتح باب غرفة التربية أثناء بكاء صه يي . ويدخل زنج هاو يتكئ على عصاه مرفوع الرأس . يرتدي ثوباً حريراً ربيعياً أزرق داكناً ، وسترة جوخ سوداء ، وحذاء لباد أسود . وجهه أصفر ، حزين الملامح ، ولكن من خلال مشيته يبدو وكأنه استعاد صحته . يحاول جاهداً أن يحافظ على كرامته ، ولكن عينيه تعبران عما يبذله من جهد لمداراة يأسه وقنوطه ، ومع ذلك فهو يرفض أن يقدم أحدهم يد المساعدة له .

(يقف الجميع . عندما يراه جيانغ تاي يتسلل بمحاذاة الحائط ويدخل إلى غرفته)

ون تساي: أبي! (تتقدم لمساعدته)

زنغ هاو: (يشير لها أن تتوقف ، يحاول التغلب على ضعف صوته) لا أريد المساعدة دعيني أمشي بمفردي . (يتجه إلى الكنبه)

صه يي: (باهتمام شديد) أبي ، اسمح لي أن أساعدك في العودة إلى غرفتك . **زنغ هاو:** (يجلس على الكنبه ، إلى الجميع) اجلسوا ، بلا تكلف . (ينظر حوله) أين جيانغ تاي؟ **ون تساي:** إنه ... (تلمع في ذهنها فكرة) إنه في الغرفة (مكسوفة) ينتظر مجيئك حتى يعتذر منك .

زنغ هاو: هل هناك أخبار عن ولدنا الكبير؟

صه يي: (بحزن) قال أحدهم إنه التقى به في شارع جينان ، وآخر قال إنه رآه في فندق صغير في تيان جينغ ...

ون تساي: لا أثر له في كل تلك الأماكن .

زنغ هاو: لا داعي للبحث عنه إذاً .

ون تساي: (تواسي العجوز بمعنويات عالية) لقد تاب أخي هذه المرة ، وربما وجد عملاً يقوم به ...

زنغ هاو: (يهز رأسه) «لا يكثرث الولد بأبيه» ، هذا الولد ليس عنده طموح ، في يوم ما سوف ... (لا يرغب في الحديث عنه ، إلى ون تساي) استدعي جيانغ تاي .

ون تساي: (تمشي خطوة، تشعر بتأنيب ضمير، تلتفت إلى أيها) أبي، أنا، نحن خجلون منك، حقاً لم ...
زنغ هاو: إي، ناده، ولا داعي لهذا الكلام. (إلى صه)
ناد روي تشن وتينغ.

(تقف ون تساي أمام باب غرفتها وتنادي. تخرج صه من باب غرفة الترية)

ون تساي: جيانغ تاي! جيانغ ...

(يخرج جيانغ بهدوء)

جيانغ تاي: (بمجرد أن يرى زنغ هاو يتوجه إليه بكسوف)
أبي، أنت، أنت ...

زنغ هاو: (يشير إليه) اجلس، اجلس (يجلس جيانغ، ثم إلى المربية باهتمام) أخبري الآنسة صو وقد عادت لتوها من المشفى ألا ترهق نفسها في إعداد الطعام ولتسترح أولاً.

(تخرج المربية من باب صالة الضيوف)

ون تساي: (تومئ إلى جيانغ تاي، تنتظر حتى تغادر المربية ثم بصوت منخفض) ألم تعتذر من أبي بعد!
جيانغ تاي: (يتردد في الوقوف) أنا، أنا ...

زنغ هاو: (يشير بيده) الذي فات مات ولا داعي لذكره .
(يجلس جيانغ . تدخل صه بي يتبعها زينغ وروي تشن من
باب غرفة التريبة ترتدي روي تشن ثوباً مبطناً بورود حمراء
صغيرة على خلفية رمادية ، ويرتدي زينغ سترة زرقاء واسعة)
زنغ هاو: (يشير إلى الكرسي ويطلب من الجميع الجلوس ،
ماعد روي التي تقف وراء ون تساي . يتأمل الجميع بأسى)
ما عدا ولدنا الكبير ، فجميع أفراد الأسرة هنا . (يتأمل البيت ،
يسعل سعالاً خفيفاً) ورثت هذا البيت عن جدكم جينغ ده
غونغ ، وهو بيت ذي حسب ونسب وعلم على مر العصور ،
الأباء رحماء بأبنائهم والأبناء بارون بآبائهم ، ليس فيهم من
يتكلم كلاماً لا فائدة منه . أما الآن وقد خلف الأسرة خلف
غير بار ...

صه يي: (متألماً قليلاً) أبي! ...

(ملامح الإجلال بادية على الجميع ، يخفض الجميع رؤوسهم)
زنغ هاو: خلف أساء لأسرة زنغ ، ينقصهم حسن الفهم
والإدراك ، متخاذلون ، غير بارين بوالديهم ، لم يحافظوا على
إرث أسلافهم ...

جيانغ تاي: (يبدأ بالتذمر)

ون تساي: (ترفع رأسها وبخجل) أيي، أيي، أنت ...
زنغ هاو: هذا ما أعتذر لأجدادي عنه، إنني خجل من
ملاقة جدنا السيد جينغ ده غونغ! (يسعل، تربت روي تشن على
ظهره)

جيانغ تاي: (يتلمل مل ضجراً، يتأوه، يتمتم) آه، آه، أي
مسرحية تعرض في مثل هذا الوقت! يا لها من مسرحية!
ون تساي: (بصوت منخفض) جنت مرة أخرى!

زنغ هاو: (يعد روي تشن بلطف) دعيني . (يلتفت إلى
الجميع) أنا لا ألومكم، ثم ما فائدة اللوم . (تبدو عليه ملامح
المسكنة، ولكن بصوت حاقد) أنتم مجموعة لا خير فيها،
مجموعة ثرثارين . (بشجاعة) وأنت أيضاً يا جيانغ تاي ...

(يهم جيانغ تاي بالرد)

ون تساي: (تداري غضبه) تاي!

(يهدأ جيانغ ويصمت)

زنغ هاو: (بعتب وتذمر) طوال اليوم تفكر بالثروة، تحلم
طوال اليوم، لا تفهم الحياة ولا الناس، مثل ولدنا الكبير، يقرأ
دون فائدة، لا يعرف ما الضار بكم، أنتم الاثنان ... (يسعل،
يضرب على ركبتيه)

ون تساي: آه، آه!

جيانغ تاي: (لا خيار أمامه إلا أن يردد) لا داعي لهذا الكلام، لا داعي لهذا الكلام!

زنغ هاو: صه يي، أنت أم، وحماة منذ سنتين، وفوق هذا وذاك سوف تصبحين جدة (ناقماً على نفسه) الحق ليس عليك، الحق علي، والخطأ لم يبدأ اليوم. (مدارياً حزنه) بعد بيع البيت، لن تترددوا في معاملتي كالميت، كما لو لم أكن موجوداً، أنا، أنا... (تنهمر دموعه فجأة)

ون تساي: (لا تحمل فتصرخ) أبي، أبي... .

صه يي: (وقد تغيرت ملامحها) أبي، أنا لم أفهم كلامك .

زنغ هاو: (لم يتوقع ذلك) أنت، أنت... .

ون تساي: (غاضبة) يا زوجة أخي، أنت تظلمين أبي .

صه يي: (تسأل) من يظلم أليك؟

ون تساي: (بشجاعة) لا يمكن للمرء أن يكون ناكراً للمعروف

إلى هذه الدرجة .

صه يي: من ناكراً للمعروف؟ من ناكراً للمعروف؟ الرعد

في السماء، والأب على الأرض! أنا أسألك يا أختي الصغيرة،

من؟ من؟

تينغ: (متألماً) ما!

ون تساي: (بشجاعة ، ترتجف من شدة الغضب) أنت ، لم تتركي لأبي طريقاً يسلكه .

صه يي: (لا خيار أمامها) لا تصرخي في وجه زوجة أخيك أيتها الأخت الصغيرة

ون تساي: لم تتركي له خياراً ، حتى تابوته تسارعين في بيعه ، لقد قلت لأبي ...

زنغ هاو: (يطلب من ون تساي أن تصمت) ون تساي! صه يي: (ساخرة) صحيح ، أنا من ظللمته ، وأكلت (تتصاعد) وشربت ، وعشت طوال اليوم عالة عليه . لأربع سنوات وأنا أتحمل صهرنا ...

تينغ: (يقرب ناصحاً لها ، بقلق) ما ، دعك من هذا ، ... ما ... ما ...

جيانغ تاي: (ينفجر غاضباً) كلام فارغ ، لقد دفعت أموالي! زنغ هاو: (يلهث غاضباً ، يستوقف الجميع) لا تتشاجروا! صه يي: (في الوقت ذاته) دفعت أموالك؟ آه ، أنت ... زنغ هاو: (يدق بقدمه الأرض صارخاً) صه يي ، كفي عن الشجار! (بولول فجأة) أنا ، سوف أموت!

(يصمت الجميع ، يسمع نشيج صه بي فقط)

(يحل الظلام ، تدخل صو فانغ من باب صالة الضيوف بهدوء . ترتدي تشياو أصفر فاتح ، وجهها أكثر نحفاً مما كان عليه قبل شهر ، ولأن عينيها كبيرتان وبراقتان يبدو وجهها هادئاً مطمئناً ، قوياً ولطيفاً . تحمل لمبة غاز بيدها اليسرى ، ولوحة تحت إبطها الأيمن . تسرع روي تشن وتأخذ اللمبة منها ، ثم تهمس في أذنها . تهز صو فانغ رأسها بهدوء ، وبحزن تتأمل الوجوه المكفهرة تضع اللوحة في الخاوية الخزفية وتغادر عبر باب غرفة التريبة . روي تشن تتأمل صو وهي خارجة .

زنغ هاو: (يزفر) أنتم مجموعة لا نفع فيها! ما الذي بقي حتى تتشاجرون من أجله؟

روي تشن: سيدي ، هلاً عدت إلى غرفتك واسترحت؟

زنغ هاو: (متأثراً) ما الذي يجعل روي تشن وتينغ يتشاجران؟ (بشعور عميق) لا يخفى على أحد أنهما لم يقيما معاً منذ زمن . صه بي ، اذهبي وسوي الموضوع مع أسرة دو ، دعيهم ... (بصعوبة) يأخذون التابوت (بيأس) ويتخلون عن البيت .

ون تساي: أبي!

زنغ هاو: أخبرتني صوفانغ منذ قليل بوجهة نظر أسرة دو .

ون تساي: ومن طلب من صو أن تخبرك بذلك؟

صه يي: (ترفع رأسها) أنا .

زنغ هاو: لا أريد النقاش في هذا الموضوع مرة أخرى!

جيانغ تاي: (بتردد) أنت من يتخلى لهم عنه؟

زنغ هاو: (يومئ برأسه)

صه يي: (تتردد ثم لا تلبث أن تتكلم) ولكن أسرة دو تريد

التابوت اليوم .

زنغ هاو: لا بأس ، لا بأس ، ليأخذوه ، ولينم فيه سعيد

الخط ، (تهم صه يي لنقل الخبر مباشرة إلا أن زنغ هاو يلتفت إلى

جيانغ تاي بشكل غير متوقع) جيانغ تاي ، ادعهم أن يحملوه

بأسرع ما يمكن ، ليأخذوه الآن! (بألم) أنا ، لا أريد رؤية هذا

الشيء المنحوس هنا غداً!

(يطأطي زنغ هاو رأسه صامتاً ، تقف صه يي دون حراك)

جيانغ تاي: (متعاطف مع العجوز بشكل عفوي) أبي! (يمشي

خطوتين ثم يقف)

زنغ هاو: اذهب ، اذهب واطلب منهم ذلك!

جيانغ تاي: (يلتفت ، يمشي إلى أمام زنغ هاو ، وبنية طيبة) أي ، ما الصعوبة في هذا الأمر؟ الميتة واحدة ، فهل يختلف الموضوع إن نام المرء في تابوت مدهون مئات المرات؟ (يبدأ متعاطفاً معه ثم يتخلى عن ذلك شيئاً فشيئاً ، تتغير لهجته ، يسترسل في الحديث إلى زنغ هاو) لا ينبغي أن تهتم لمثل هذه الأمور على سبيل المثال ، لو مُتَّ هذا اليوم ونمت في تابوت مدهون ، فهل يغير هذا من الموضوع شيئاً؟

ون تساي: (تناديه كي لا يسترسل في الحديث) جيانغ تاي! جيانغ تاي: (يلتفت إلى ون تساي متذمراً) لا تصرخي! (يعود إلى زنغ هاو ، بلطف وجدية) وإذا لم تنم في تابوت فهل سيغير ذلك من الأمر شيئاً؟ (يشير بيديه) كل ذلك نوع من العادة! وجهة نظر! (يزداد سعادة شيئاً فشيئاً ينسى مشاعر العطف والعزاء ، يهتز طرباً وهو يتحدث إلى زنغ هاو) على سبيل المثال (يجلس على الكنبه) جلستي هكذا جيدة (يضع قدميه على مسند كرسي بحיוية) وجلستي هذه غير جيدة؟ (إلى صه) زوجة ابنكم على سبيل المثال (ينتشي بكلامه ، يبدو كأنه ثمل وقد نسي وفاقه منذ قليل ، يشير إليها) إن كنت ترتدين ملابسك فأنت جميلة ، وإن كنت بلا ملابس فلست جميلة؟

صه يي: صهري!

جيانغ تاي: (يواصل كلامه) هذا كله لا أهمية له ، غير مهم! ليست إلا وجهات نظر نوع من العادة .

زنغ هاو: (مقاطعاً) جيانغ تاي!

جيانغ تاي: (لا يسمح لأحد بمقاطعته ، يسترسل أكثر فأكثر) أنا على سبيل المثال (يجلس) أنا ميت (يلتفت إلى ون تساي ، لا أحد يعرف هل هو جاد أو مازح) احرقني جثتي ، احرقها حتى النهاية ، احرقني حتى العظام وارمها في البحر ، ادفنيها في الماء! سعيد جداً من لا يجد قبراً يواريه! (كمن يلقي محاضرة) هذه أيضاً وجهة نظر ليس إلا ، ويمكن أن تتحول إلى نوع من العادة إنما ، أبي ، أنت في هذا اليوم ...

زنغ هاو: (لا يحتمل ، يوقفه بصوت عال) جيانغ تاي! إن رغبتك في طريقة موتك ودفنك شأن خاص . (بحزن) لقد تحسنت صحتي منذ لحظة ، ومن المفروض اليوم هو عيد ميلادي ، فلا داعي لمثل هذا الكلام الآن ...

جيانغ تاي: (بلطف ، لا يعتبر فعله عقوباً) حسناً ، حسناً ، حسناً ، أنت لا تجبذ هذا لا عليك ، لا عليك! لكل إنسان هدف ... في الواقع أنا أعرف أنني كثير الكلام وعندما تكلمت منذ قليل كان

قلبي يتمتم « لا تتكلم ، لا تتكلم » (بأسف) ولكن فمي لم
يتمالك نفسه ...

صه يي: (تظاهر بالكآبة) أما صهرنا ، فليتوقف عن هذا (تقف)
وأما أبي ، فأنا ، أنا ... (لا تقوى على الكلام ، تمسح عينيها)
هل أتحدث إلى أسرة دو حسب أوامرك؟
زنغ هاو: (يأس) حسناً ، ليس هناك مخرج آخر .

صه يي: حاضرة (تمشي خطوتان)
ون تساي: (بحزن) أبي!
جيانغ تاي: (يقف فجأة) لا ، انتظروا ، انتظروا .
(يدخل إلى غرفته مسرعاً . تتوقف صه يي أيضاً)
زنغ هاو: (حائراً) ماذا هناك أيضاً؟

(يدخل تشانغ شون من صالة الضيوف)
تشانغ شون: رسول من أسرة دو يقول إن العراف رأى أن
يأخذوا التابوت بعد منتصف ليل هذا اليوم ، وقبل الهزيع الأخير
منه ، وهم يسألون السيدة ...
ون تساي: أنت ...

(يعود جيانغ تاي وهو يضع قبعة جوخ قديمة ويمسك بعضها)

جيانغ تاي: (إلى تشانغ ، مفعماً بالفرح) قل لرسول أسرة
دو ابن الزنا ذاك أن ينتظر في صالة الضيوف وقل له سوف
نحضر النقود حالاً ، وسوف يبقى تابوت السيد في البيت
حطباً للوقود!

ون تساي: ماذا ...

جيانغ تاي: (إلى زنج هاو بحرارة) أبي ، انتظر لحظة ،
سوف أذهب للقاء صديق (إلى ون تساي) تشانغ دينغ تشاي
يعمل رئيساً للأمن العام ، ولا بد أن يكون لديه الحل . (إلى زنج
هاو بكثير من الثقة) تربطني بصديقي القديم هذا علاقة جيدة ،
وهذه القضية البسيطة لا تشكل له شيئاً . (يعدد) أولاً ، يمكن
له أن يتفاوض مع أسرة دو مباشرة ويطلب منهم عدم إثارة
القلق ، ثانياً ، إن لم تسمع أسرة دو الكلام فسيعتبر ذلك
تجاوزاً له . (باحترار) ثم إن مبلغاً كهذا هو مبلغ تافه بالنسبة له .

ون تساي: (لا تصدق ما تسمع) تاي ، هل هذا ممكن حقاً؟

جيانغ تاي: (يدق بالعصا) طبعاً ، طبعاً ، أبي ، أنا
ذاهب . (إلى صه يي بزهو) أنا أضمن ما يدور برأسك وسوف
يتحقق! (يمشي)

صه يي: (إثارة مثل هذا الموضوع يسبب لها الدوار) ولكن
يا أبي ، هذا الموضوع ...

ون تساي: (فرحة) أبي ...

(بعد أن وصل جيانغ تاي إلى عتبة صالة الضيوف يعود مرة ثانية)
جيانغ تاي: (يمد يده إلى ون تساي بعجلة) أنا لا أحمل نقوداً.

ون تساي: (تخرج من جيبها لفافة) خذ!

جيانغ تاي: (ينظر إليها) ثلاثون!

(يغادر جيانغ تاي عبر صالة الضيوف)

زنغ هاو: (يدور رأسه وتزوغ عيناه من شدة الاستشارة،
يتنفس الصعداء) كيف سيحل جيانغ تاي هذه المشكلة؟

ون تساي: (تمدح زوجها، تبذل قصارى جهدها خشية ألا
يصدق الآخرون) أبي، اطمئن، ولا تهتم لما يقوله في الأيام
العادية. قال لديه الوسيلة، إذاً لديه الوسيلة.

زنغ هاو: (بين الشك واليقين) آ!

صه يي: (غير مصدقة) آ، أرى أنه ... (لا تقدر على كبح
نفسها، تلتفت إلى زنغ هاو ثم تضحك بشكل غير طبيعي)
حسناً يا أبي، قضية التابوت هذه ...

زنغ هاو: (كمن يواسي نفسه بالأمل، يزفر) حسناً «حصان
ميت يعالج حصاناً حياً» لنهتم بفكرته.

تشانغ شون: (بفرح) إنما ماذا أقول للرسول يا سيدتي ...
صه يي: (تقاوم غضبها، تكفهر ملامحها ثم بغضب)
ذاهبة، ماذا علي أن أفعل!

(تغادر باتجاه صالة الضيوف وهي ترتعد من الغضب)
زنغ هاو: (يستوقفها) صه يي، تكلمي مع رسول أسرة دو
بلطف، اطلبي منه وأياً كانت الظروف أن ينتظروا قليلاً.
صه يي: إي!

(تخرج يتبعها تشانغ شون)
ون تساي: (الفرحة تغمر وجهها) روي تشن، انظري كم
هو مجنون زوج عمك، انتظر حتى هذه اللحظة ...
روي تشن: (تضمر أمراً، تجيب) إي، عمتي.
زنغ هاو: (يعاوده الأمل مرة أخرى، يؤكد كلام ون
تساي) آه، لو بقي التابوت فشيء رائع! (يقع نظره على تينغ)
هل ترى أملاً في هذا يا تينغ؟
تينغ: (يجيب) نعم يا أبي.

زنغ هاو: (يهز رأسه) أرغب في تغيير حظ هذه الأسرة
منذ هذه اللحظة، ... إي، لا بد من ذلك! (يحاول الوقوف،
تسارع روي تشن لمساعدته) هل أنت بخير الآن؟

روي تشن: أنا بخير يا سيدي .

زنغ هاو: (يقف ، يتأمل روي ، متأثراً) أنت أيضاً يجب أن تصبحي أمّاً بأسرع ما يمكن!

(تشير روي إلى تينغ تدعوه لمساعدة جده ، يقترب تينغ بهدوء)
زنغ هاو: (ينظر إلى حفيده وزوجته ، يحتضنهما فجأة يحدوه الأمل) أرى أنكما تكملان أحكما الآخر ، وسوف تتمسكان بحسب ونسب العائلة في المستقبل .

ون تساي: (تشير إلى تينغ تحثه على الإجابة) تينغ!

تينغ: (يجيب وهو ينظر إلى روي) نعم جدي .

زنغ هاو: (يتكلم إلى الجيل الثالث من أسرة زنغ والأمل يحدوه) سأحتفظ بالتابوت هذه المرة ، ولن أبيع البيت أيضاً ، وفي ربيع السنة القادمة سوف أراكم وأنتم تركضون هنا وهناك ، وسوف أحمل أولادكم على ظهري! (يمسح عينيه) أه كل ما أرجوه من أجدادي أن أظل بصحة جيدة ، وتقدمون لي فروض الطاعة بنية صادقة . (يمشي باتجاه غرفة التربية)

ون تساي: (تسند زنغ هاو ، بفرح) صحيح ، في ربيع السنة القادمة ، تكون صحة أبي جيدة ، وتنجب روي تشن حفيداً لابنك ، ويكون أخي قد ...

(يفتح باب غرفة التريبة وتدخل صو فانغ . تبدو مثل وردة
زُرعت لتوها ، تمسك بيدها المبللة باقة من ورود الأقحوان المتبقية)
صو فانغ: (تمسح شعرها بخفة ، بلطف) هيا لتستريح في
غرفتكَ يا زوج خالتي ، غرفتكَ مرتبة .

زنغ هاو: (بفرح) حسناً ، حسناً (يمشي بينما يهز رأسه)
حسناً ، لنتنظر ربيع السنة القادمة ... ، ربيع السنة القادمة يا
روي تشن ، السنة القادمة ...

(تسندده روي تشن حتى باب غرفة التريبة ، تنظر إلى صو فانغ
وتشير لها بخفة إلى تينغ . تفهم صو الإشارة فتهمز رأسها ، تمسك
صو بيد زنغ هاو ، تسندده وتخرج به ، تتبعهما ون تساي)
(يبقى تينغ واقفاً في وسط المكان . تتأمله روي تشن ثم
تعود أدراجها بهدوء)

روي تشن: (بصوت منخفض) تينغ!

تينغ: (لا يجروء على النظر في وجهها ، بأسى) هل
سترحلين غداً؟

روي تشن: (هي الأخرى لا تجروء على النظر في وجهه ،
بصوت منخفض ومخنوق ، يبطء وتصميم) إي .

تينغ: سترحلين مع أسرة يوان؟

دوي تشن: إي، طريقنا واحدة.

تينغ: (يتلفت في جميع الاتجاهات، يخرج شيئاً من جيبه)
لقد كتبت لك الوثيقة

دوي تشن: (تحدق به) آ.

تينغ: (يخرج ورقة، يتلفت حوله ثم يقرأ بصوت منخفض)
«ورقة طلاق تينغ وروي تشن، تزوجنا في سن مبكر ولم نتفق،
ويصعب علينا الحياة معاً، يعتبر الاثنان مطلقان اعتباراً من اليوم...»
دوي تشن: (بحزن) توقف لا تكمل.

تينغ: (يتردد قليلاً إلا أنه يشعر بضرورة إكمال الإجراءات،
يتلعثم) والخاتم والتوقيع...

دوي تشن: سوف نكمل ذلك في الداخل.

تينغ: حسناً، حسناً.

دوي تشن: (بحزن وألم) تينغ، أنا آسفة لأنني طلبت منك
كتابة هذا التصريح.

تينغ: (لا يقوى على الكلام، لم يعز عليه الموضوع كما هو
اليوم) لا، لقد تحملت الكثير من المتاعب خلال السنتين اللتين
أقمت فيهما في هذا البيت (فجأة) هل أخبرت خالتي صوتك
لا تريد الجنين؟

روي تشن: (لا ترغب في ذكر ذلك) إي ، لقد أعدت له
ثياباً ، أفكر بإعادتها لها . ما رأيك؟

تينغ: أعتقد أنه من الأفضل أن يعرف ذلك أحد أفراد الأسرة .

روي تشن: (باهتمام) تينغ ، ماذا ستفعل بعد رحيلي؟
تينغ: (يهز رأسه) لا أعرف . (بوحشة) فأنا لن أستطيع
الالتحاق بالمدرسة .

روي تشن: (متعاطفة معه) لا تفقد الأمل .

تينغ: لا .

روي تشن: (مواسية) فيما بعد يمكن لنا أن نتبادل الرسائل .

تينغ: حسناً . (تنهمر دموعه)

[تنادي يوان من الخارج: «روي تشن»]

روي تشن: (بألم) لا تحزن ، المشاكل الكثيرة تكسب المرء
تجربة وقدرة على الفهم .

تينغ: الفهم شيء صعب!

(تدخل يوان من باب صالة الضيوف فرحة مصفرة . تلبس
تنورة صوفية من ثلاثة ألوان هي الرمادي والأزرق والأبيض ،
يصل طولها حتى الركبة ، وجلبياً هندياً قصيراً أحمر اللون

بقبعة ، ساقاها عاريتان ، تلبس حذاءً رياضياً أبيض اللون . تبدو
أنها كانت مشغولة بترتيب بعض الأشياء ، شعرها غير مرتب ،
خداها حمراوان ، مفعمة بالنشاط والحيوية . تحمل قفصاً بداخله
الحمامة «الوحيدة» بيد ، وطائرة ورق السمكة الذهبية بيدها
الثانية وقد مُزقت في عدة أماكن ، تضع تحت إبطها رسماً من
الورق المقوى لـ«إنسان بكين» يبلغ طوله ٧٠ سم تقريباً

يوان يوان: (تصرخ) روي تشن ، لقد بحث أي عنك طوال
اليوم ، وهو يسألك عن متاعك ...

روي تشن: (توقفها مبتسمة) تكلمي بصوت منخفض من
فضلك ، ممكن؟

يوان يوان: (باهتمام وفرح ، تدرك الموقف فجأة ، تتأمل
كليهما ، تمد لسانها ، تحبس صوتها ، لا تتمالك نفسها ، تبدو
مضحكة) أبي ... يسأل ... هل أعددت متاعكما ... أم لا؟
روي تشن: (تضحك من طريقة تعبيرها) أعددتته .

يوان يوان: (تستمر بنفس الطريقة) يقول أبي ... ربما ...
نرافقكم مسافة نصف الطريق ... وهو يسأل أيضاً ... (تطلق
زفرة كبيرة ثم تعود لصوتها الطبيعي) أكاد أختنق . تعالي معي ،
يريد أبي أن يطرح عليك كومة من الأسئلة .

روي تشن: (بارتياح) حسناً، هيا بنا .

يوان يوان: (تقرب من تينغ بهيبة ووقار) تينغ، أبوك ليس هنا، (ترفع يدها طائفة «السمة الذهبية» الممزقة) أعط هذه الطائفة لأمك! (تضعها على طرف الطاولة، ترفع القفص) أعط هذه الحمامة إلى الأنسة صو! (تضعه فوق الطاولة، ترفع النموذج الورقي لإنسان بكين ضاحكة) وإنسان بكين هذا أقدمه لك للذكرى، هل تريده أم لا؟

تينغ: (يبدو أنه نسي ما كان يكره لها من مشاعر منذ شهر مضى، يهز رأسه) حسناً .

يوان يوان: (تغمز بعينها، تبدو أنها تغيرت هي الأخرى) سوف نرحل غداً عند الفجر، ضع كل ما كان بيننا وراء هذا الباب (تشير إلى باب صالة الضيوف، إلى روي تشن) هيا بنا يا روي تشن .

(تأخذ يوان النموذج الورقي بيد، وتضع يدها الأخرى على ظهر روي، تمشيان باتجاه باب صالة الضيوف . تدخل صه بي من الباب نفسه، تلتقي بهما وجهاً لوجه . تنظر روي تشن إلى حماتها بحيرة، بينما تستعجلها يوان بقولها «هيا»، تخرجان . يراقب تينغ خروجهما ثم يطلق زفرة خفيفة)

صه يي: (تلفت إلى ابنها ثم تقترب منه) لقد تكرر غياب روي تشن عن البيت في الآونة الأخيرة، صار لها أصدقاء، هل تعرف أين وماذا تفعل؟

تينغ: (ينظر إلى أمه ثم يهز رأسه) لا أعرف.

صه يي: (ترتاب في قدرة ابنها على الفهم ولكن ما باليد حيلة، تفر متذمرة) آه، زوجتك لك، وابنك! أنا لا أحتمل الغضب. (فجأة) أين هم؟

تينغ: ذهبوا إلى غرفة جدي.

صه يي: (تشكو إليه) تينغ، لقد رأيت منذ لحظة كيف ظلموا أمك.

تينغ: (يتأمل أمه ثم يطأطئ رأسه)

صه يي: (تخرج محرمة) أمك مظلومة، أبوك تركنا ورحل، وأمك تحتمل غضبهم طوال اليوم، وهي تفعل ذلك من أجلكم (تمسح دموعها)

تينغ: أمي، لا تبكي.

صه يي: (تربت على تينغ) يجب أن تخبر أمك بكل شيء! (معاتبه) ألم تلاحظ أمك أن بطن روي تشن منتفخ منذ

الشهر الماضي ، وأنتم لم تخبراني حتى الآن (تربت عليه) ماذا تخفيان! (باهتمام) لقد طلبت من روي تشن أن تشرب دواء مثبتاً للحمل ، هل شربته أم لا؟

تينغ: لا .

صه يي: لا ، قلت أول أمس أنني أحضرت لها وصفة الطبيب لو تاي .

تينغ: (بألم وضجر) لم تشربه .

صه يي: (تتغير ملامحها) لماذا لم تشربه؟ (بقوة) نادها كي تشربه ، أريدها أن تشربه ، قل لي أنها لا تسمع الكلام ، انظر كيف سأجعلها تشربه! إن كانت تشعر أنها ليست فرداً من أسرة زنج فإن اللحم الذي في بطنها هو من أسرة زنج . يتلقى الجنين الذي في بطنها كل حاجاته منها ، لذا كلما تكلمت كلما كان أفضل للجنين . (بصوت منخفض) تينغ ، لا تكن غيباً ، روي تشن ليست على ما يرام في الآونة الأخيرة ، إنها تدبر أمراً ، وهي تختار أصدقاءها بشكل اعتباطي ... (بصوت منخفض) أخاف أن تسرق شيئاً وتهرب ، لقد أقفلت البابين الخلفي والأمامي ، اطمئن ، أنا ...

(تدخل صوفانغ من غرفة التريبة وهي تحمل جرة دواء)

صو فانغ: (بحرارة) لقد أعددت لك وصفة الطبيب لو تاي .

صه يي: (تأمل صو فانغ)

صو فانغ: (عندما لا تتلقى رداً) هل ستتناولين الدواء هنا؟

صه يي: (ببرودة) ضعيه في غرفتي فوق الموقد كي يبقى ساخناً .

(تمر صو من أمام تينغ في طريقها إلى غرفة صه يي)

تينغ: (ينظر إلى الدواء نظرة استغراب ودهشة) ما ، أنت أيضاً تتناولين وصفة لو تاي تلك؟

صه يي: (يتغير لون وجهها، محرجة قليلاً، تحافظ على رباطة جأشها ثم بغموض) عافية أمك ليست على ما يرام . (تبحث عن الكلمات) خالتك صو فانغ تهتم بي منذ عدة أيام ، ... (يتغير مزاجها ، تسعل) ليس إلا طفلاً ، (يكفهر وجهها مرة أخرى ، بصرامة) خالتك صو إنسان (تهز رأسها) إنها ، إنها ...

(تعود صو فانغ)

صو فانغ: زوج خالتي يدعوك يا زوجة أخي .

صه يي: (تومئ برأسها بخفة ، تلتفت إلى تينغ) تعال معي .

(يتبع تينغ أمه ويخرجان من غرفة الترية . تلف الظلمة المكان .

صياح إوز بري في الخارج ، يزداد المكان وحشة شيئاً فشيئاً)

صو فانغ: (تزفر زفرة خفيفة، تبدو متعبة. ترى القفص فجأة، ترفعه بشكل لا شعوري، تتأمل الحمامة البيضاء التي داخله... تسمى تلك الحمامة «الوحيدة»... مسحة حزن في عينيها، تبتسم بحزن بينما تنظر بحب إلى تلك الحمامة...)

(تدخل روي تشن وهي تحمل صندوق ملابس الطفل المصنوع من الخيزران تضع الصندوق فوق طاولة صغيرة، تقترب من صو فانغ بهدوء)

روي تشن: (بصوت منخفض) خالتي صو.

صو فانغ: (تلتفت مندهشة) أنت هنا (تضع القفص)

روي تشن: هل قرأت الرسالة التي تركتها لك في غرفتك؟

صو فانغ: (تومئ برأسها) إي.

روي تشن: ألم تستغربي؟

صو فانغ: (تبتسم بحزن وحنان) لا،... (فجأة) هل سترحلين حقاً؟

روي تشن: (مؤكدة) إي.

صو فانغ: (تزفر، لا تنصحها ولكن يعز عليها) لا ترحلي.

روي تشن: (منفصلة) خالتي صو، مازلت تنصحيني وأنا لا أحتمل البقاء؟

صو فانغ: (تذكر شيئاً فيشرق وجهها ، ببطء وتصميم)
أعرف ، ربما يمر على المرء وقت يفقد فيه قدرته على الاحتمال .
روي تشن: (بريق من الترقب في عينيها ، تمسك يدها
بحرارة) وأنت؟

صو فانغ: (يتلاشى بريق وجهها ، تتأمل روي تشن بحزن)
دعك مني يا روي تشن ، ارحلي أنت ، أما أنا فأحتمل الوحدة .
ربما لن أستغني عن الكلام لاحقاً ، إنني أستطيع أن ...
روي تشن: (تشد على يدها ، ثم تجلسها بهدوء) لا ، لا
يا خالتي صو ، لا يمكن أن تكوني هكذا ، لا يمكن أن تكوني
طوال حياتك هكذا (ترجوها بالحاح) إنني راحلة ، فلماذا لا
تتكلمين معي بشكل واضح؟ لماذا لا تبوحين ... (مكتئبة ، تلمح
بريقاً لدموع في عينيها فتصمت)

صو فانغ: (ببطء) عن ماذا تريديني أن أتكلم؟
روي تشن: (تتلعثم) عن نفسك ، أنت ، أنت ، ... (فجأة)
لماذا لا ترحلين؟

صو فانغ: (بلا مبالاة) إلى أين؟
روي تشن: (بانفعال) بلاد الله واسعة . أولاً يمكنك أن تأتي معنا .
صو فانغ: (تومئ برأسها) لا ، لا .

روي تشن: (تجلس إلى جانبها ، بشكل حميمي) هل قرات الكتاب الذي أعطيته لك؟
صو فانغ: قرأته .

روي تشن: وهل ما يطرحه الكتاب غير صحيح؟
صو فانغ: صحيح .

روي تشن: (تبتسم) إذا لم لا ترحلين معنا؟
صو فانغ: (بصوت منخفض ولكن بشكل صريح) أنا لا .
روي تشن: لماذا؟

صو فانغ: (تأمل روي بحزن) لا!
روي تشن: (بالحاح) ولكن لماذا؟

صو فانغ: (تهم بالكلام إلا أنها ... تكتفي بهز رأسها
بهدوء هذه المرة)

روي تشن: ينبغي أن تقولي ما هو السبب!
صو فانغ: (بصعوبة) أشعر أن ثمة أمور في هذا المكان لم
أنهها بعد .

روي تشن: لم أفهم .
صو فانغ: (تبتسم ، تقف) لم تفهمي ، ذلك لأن ما أقول
يصعب فهمه .

روي تشن: (تنهض ، وبشكل قطعي ...) إذا لم لا تذهبن
للبحث عنه؟

صو فانغ: (قلقة) تقصدين ...

روي تشن: (بصراحة) ابحثي عنه! ابحثي عنه!

صو فانغ: (تهداً قليلاً ، تفكر تارة ، وتبحث في أعماق
نفسها تارة أخرى ، تحديق بنظرة بلهاء) لماذا أبحث عنه؟
روي تشن: ألا تحيينه؟

صو فانغ: (تطأطأ رأسها)

روي تشن: (تؤكد على كل جملة) ولماذا لا تفكرين في
البحث عنه؟ لم لا؟ (بصراحة) خالتي صو ، انظري إلي فأنا لا
أشبه ما كنت عليه سابقاً . قبل شهر لم أكن أجروء على طرح مثل
هذه الأسئلة . أنت تعرفيني حق المعرفة . (بعبء) عندما أرحل
لن يبقى في هذا البيت إلا ثلاثة أشخاص ، هذا البيت الذي عشنا
فيه معاً . أخبريني ، لماذا لا تبحثين عنه؟ لم لا؟

صو فانغ: (تزفر) هل سأكون سعيدة برؤيته؟

روي تشن: (ترد بسؤال) وهل أنت سعيدة هنا؟

صو فانغ: أنا ، ربما أنوب عنه ... (يصعب عليها الكلام
فجأة فتصمت)

روي تشن: (بالحاح) تكلمي ، لقد وعدتني ان تتكلمي معي ذات مرة .

صو فانغ: أنا ، قلت ... (يزداد وجهها بريقاً وجمالاً شيئاً فشيئاً ، تحمر وجنتاها الشاحبتين . تبدأ كلامها بصعوبة ثم تزداد انطلاقاً ، يرتعش صوتها بسبب انفعالها الشديد والعميق) ... لقد ذهب ، ولهذا يمكن أن أهتم بأبيه نيابة عنه وأرعى ولده نيابة عنه ، أن أعنتي بمخطوطاته التي يحب ، وأطعم الحمامة التي يحب . حتى أولئك الذين لا يحبهم ينبغي علي أن أراعي شعورهم ، وأحبهم ، حتى ...

روي تشن: (مقاطعة) حتى؟

صو فانغ: (مرتعدة) حتى مَنْ لا يحب طالما يقربني منه! (فرحة ومندهشة من معنوياتها التي قالت فيها كلماتها تلك لدرجة لا يصعب عليها تصديقها)

روي تشن: (تزفر) وعليه فإنه ينبغي عليك العناية بأم تينغ ، حماتي .

صو فانغ: (تبتسم بمرارة) أليست جديرة بالشفقة وهو بعيد عنها؟

روي تشن: (تبتسم بينما تنهمر دموعها) حقاً يا خالتي صو ، لقد نسيت معاملتها لك في الماضي ، والآن ...

صو فانغ: (مشفقة) لماذا ينبغي تذكر الأشياء غير السعيدة ،
إن كان من أجله ، من أجله هو ، من أجله ...

روي تشن: (مقاطعة) آه يا خالتي صو ، كم تجهدين نفسك ،
لماذا لا تتحررين من هذا العبء؟ لماذا لا تنسينه؟ إنك تعلقين
عواطفك بشخص غير أهل لها ، شخص عاجز لا خير فيه ...
صو فانغ: (غريبة الأطوار مثل قلبها ، بحزن) لا تقولي
ذلك عن حماك .

روي تشن: (تدافع عن نفسها) ألا يقول أبوه عنه ذلك؟
صو فانغ: (بألم) لا ، لا تقولوا ذلك عنه ، لا أحد
منكم يفهمه .

روي تشن: (تنهد بحزن) وتفنين عمرك هكذا دون اللقاء به؟
صو فانغ: (تطأطئ رأسها بهدوء)

روي تشن: (بإخلاص) تكلمي يا خالتي صو!
صو فانغ: (شاردة لدرجة أنها لم تسمع) إي .

روي تشن: وإذا لم تركته يرحل؟
صو فانغ: (تسترجع ذكرياتها ، بصوت منخفض) أنا ،
رأيت أنه غير مرتاح هنا ، لهذا قررت أن أتحمل المعاناة عنه .

روي تشن: (ترد بسؤال) وهل أنت سعيدة بفراقه؟

صو فانغ: (بضعف) إي .

روي تشن: (تنهد) آه ، ما معنى حياة اثنين يعيشان على النحو؟

صو فانغ: (ظل ابتسامة على وجهها الحزين) عندما ترين أحداً سعيداً ، ألا تكونين أنت سعيدة أيضاً؟

روي تشن: (باهتمام وحب شديدين) أأست مشغولة

البال عليه؟

صو فانغ: (تطأطئ رأسها)

روي تشن: هل يفكر بك الآن؟

صو فانغ: (تسيل دموعها على خديها الشاحبين بهدوء)

روي تشن: تبقين وحيدة هكذا طوال عمرك ... تمضيان

حياتكما بشقاء على هذا النحو؟

صو فانغ: (بانتباه شديد) ربما أكون شقية ، لكنني لست وحيدة .

روي تشن: (بانفعال شديد) خالتي المسكينة ، أنا أفهم ،

أفهم ، أفهم ! لكنني خائفة أن يعود ذات يوم . يعود ، ويعود كل

شيء كما كان عليه في الماضي ، تتعذبان تحت أنظار الجميع ،

تبادلان النظرات ، يتأمل أحدهما الآخر ، لا تستطيعان

التنفس ، لا أحد ...

صو فانغ: (ترتجف ، تومئ برأسها فجأة) لا ، لا يمكن أن يعود .

روي تشن: (بإصرار) ولكن إن حدث أن ...

صو فانغ: (تمسح دموعها بخفة) لا يمكن ، يموت ولن يعود . (تطأطئ رأسها متألمة المنديل بيدها ، بصوت منخفض مليء بالحب) لقد عاد لرؤيتي .

روي تشن: (مندهشة) هل عاد بعد رحيله؟

صو فانغ: إي .

روي تشن: (متفاجئة) متى؟

صو فانغ: في اليوم الثاني بعد رحيله .

روي تشن: (لا تستطيع تخيل ذلك ، تفر) آه!

صو فانغ: (مشفقة عليه) مسكين ، لم يكن لديه نقود .

روي تشن: (مخمنة) فأسرعت وأعطيته كل ما تملكين من نقود؟

صو فانغ: لا ، أعطيته ما كنت أحمل حينذاك .

روي تشن: (باستخفاف) وأخذها .

صو فانغ: (بلطف) أنا طلبت منه أن يفعل . (تذكر) قال

إنه يريد أن يصبح رجلاً، وهو يفضل الموت على العودة. (لا تستطيع التوقف عن الكلام من شدة التأثر) قال إنه يعتذر من أبيه، ومن ابنه، حتى أنت ذكرك أكثر من مرة. وطلب مني أن أعتني بكم، أن أرعى أسرته، مخطوطاته، حمامته، لقد تكلم وتكلم حتى أجهش في البكاء، وقال إن ما يقلقه... (كانت دموعها قد سالت على خديها، وهي لا تقاوم ابتسامة بدت ترسم على وجهها) روي تشن، لقد بدا مثل طفل صغير، مثل الجنين التي تحملين!

روي تشن: (بصرامة) وقررت من الآن وصاعداً العناية بأسرته؟ (تطرح السؤال دون توقف)

صو فانغ: (بهدوء) إي .

روي تشن: (تلح بالسؤال) ترافقين السيد المحتضر؟

صو فانغ: (تومئ برأسها بهدوء) إي .

روي تشن: (تحاصرها بنظراتها) ترافقيه حتى الموت؟

صو فانغ: (تتوارى من نظرات روي) إي .

روي تشن: (عمداً) ثم تهتمين بأولاده؟

صو فانغ: (تنظر إلى روي مقطبة الحاجبين) إي .

روي تشن: تسهرين على راحة الكبير والصغير في الأسرة؟
صو فانغ: (بإصرار) إي .

روي تشن: (غاضبة) وجهك بوجه حماتي طوال اليوم؟
صو فانغ: (لا تقاوم رجفة خفيفة) أوه ، ... نعم .

روي تشن: (تغالب انفعالها) لا تخرجين أبداً؟
صو فانغ: (تهدأ مرة أخرى) إي .

روي تشن: لا تتزوجين؟
صو فانغ: إي .

روي تشن: (بالحاح) تتحملين المشاق؟
صو فانغ: (بصوت منخفض) إي .

روي تشن: (تقترب) تتحملين الظلم؟
صو فانغ: (محملة) إي .

روي تشن: (بحزم واهتمام) حتى الموت؟

صو فانغ: (تطأطئ رأسها ، تلمس جبينها ، بحب)
حتى ... الموت!

روي تشن: (غاضبة ومتأللة) ولكن لِمَ كل ذلك يا خالتي
وحبيبتي صو؟

صو فانغ: (ترفع رأسها) من أجل ...
روي تشن: (مستفسرة) إي ، من أجل ...
صو فانغ: (بصعوبة) من أجل ، لا أعرف ماذا أقول ، ... (ابتسامة خفيفة تظهر فجأة على وجهها) من أجل ، إنها الحياة!
روي تشن: (تفرض الجملة نفسها) هل تعتقدن أنه حقاً لن يعود؟

صو فانغ: (ظل ابتسامة) هل للسماء أن تنهار؟
روي تشن: أنت حقاً قد هيأت نفسك كي لا تغادري أسرة زنع طوال عمرك ، هذا السجن ! وكل ذلك من أجل حلم ، وهم ، إنسان ...

صو فانغ: (يرفق) ربما أغادر ذات يوم ...
روي تشن: (بلهفة) متى؟
صو فانغ: (تبتسم) في اليوم الذي تنهار فيه السماء وينطق فيه البكم!

روي تشن: (مشفقة) خالتي صو ، من الخطورة بمكان أن ترهني كل سعادتك بحياة شخص ، إنه لا ينبغي فعل ذلك . (تنهد) كنت حمقاء فيما مضى ، ومازلت الآن ...

(تلف الظلمة المكان شيئاً فشيئاً ، ينشق غراب على حافة
النافذة ثم يطير . يسمع نفير بوق وراء السور أثناء حديث روي
تشن ، يتردد صدى النفير في الفضاء الموحش ويستمر هكذا
حتى نهاية المشهد)

صوفانغ: اصمتي . (ترفع رأسها فجأة وتنظر باتجاه الخارج)
اسمعي ، ما هذا الصفير البعيد وما هو؟
روي تشن: (عندما ترى صوف قد توقفت عن الكلام تواصل
هي كلامها) إنه بوق البرج .

صوفانغ: (تصغي) كم هو موحش!
روي تشن: (تومئ برأسها) إي ، الظلام دامس ، عندما
أكون وحيدة في غرفتي أخاف سماع مثل هذا الصوت ، أرى
فيه نذير شؤم .

صوفانغ: (تنشق الدموع من عينيها) صحيح ، إنه صوت
موحش! (فجأة تمسك يد روي تشن بحرارة وبصوت منخفض)
لكنني أشعر في هذه اللحظة أنني سعيدة جداً! (تتحسس صدرها)
قلبي دافئ! كما لو أن الربيع عاد . (متأثرة) أليس هذا هو لحن الحياة؟
إننا نعيش حياة حلوة وموحشة! (تنهمر دموعها من شدة التأثر)
لدرجة ترغبين فيها بالبكاء دون توقف أو الضحك دون توقف!

روي تشن: (تأخذ محرمة وتمسح لها دموعها، بصوت منخفض) خالتي، أنت تبكين بحق؟ خالتي، أنت ...
صو فانغ: (تصغي إلى صوت البوق القادم من مكان بعيد) لا عليك، اتر كيني أبكي وأبكي! (تبتسم بلطف من بين الدموع) ولكن، أنا أضحك! روي ...

(تطأطي روي تشن رأسها حزينة، تضع المنديل على أنفها. تسند صو رأس روي وهي ضاحكة) ... لا تبكي يا روي تشن! (بلطف) مع أن فؤادي شديد الحزن، فإن دموعي تنهمر من شدة السعادة! ... (ترفع روي رأسها وتنظر إلى صو، تبلع ريقها. تلمس صو يد روي، تبدو صو كأنها سعيدة مطمئنة، تستأنف كلامها) ... لا تبك يا روي تشن، فمئذ سنوات لم أتحدث بهذا الشكل، كما لو أن قلبي انفتح فجأة اليوم، ويطلب من الشمس أن تشرق لتدفعه. أنت رائعة يا روي تشن! أنا التي لا أحتمل هذه السعادة لا أنت، أنا التي لا أستطيع أن أتحدث إليه لا أنت أتحدث وأتحدث، يا لروعة الحديث معه! (فجأة تزداد انفعالاً) روي تشن، إن كنت تعتقدين أن الحياة سعيدة هناك فاذهبي، اذهبي! أنا سعيدة هنا. لا تبك يا روي تشن، تقولين أن هذا البيت سجن؟ هذا غير صحيح، هذا غير صحيح ...

روي تشن: (تبلع ريقها) لا ، لا يا خالتي ، إنني أتألم بالنيابة عنك! أنا خائفة! لا تكوني سعيدة إلى هذه الدرجة ، وجهك ساخن ، أخاف ...

صو فانغ: (متوسلة) لا عليك يا روي تشن! فأنا لأول مرة أكون سعيدة إلى هذا الحد(تقرب من روي تشن وتضع صندوق الملابس على طاولة قرية) روي تشن خذي صندوق ملابس طفلك هذا معك أيضاً. (بشفقة) حاولي ما بوسعك مساعدة الناس هناك ، قدمي الجيد لهم ، واحتفظي بالسيئ لك . كل المساكين بحاجة للمساعدة ، فنحن لا نحيا بالخبز وحده(تفتح الصندوق) إن لم تستخدمي هذه الملابس فقدميها لمن يحتاجها من الأطفال . (تستخرج من الصندوق ثوباً صوفياً أبيض كالثلج) انظري إلى هذا هل هو جميل؟

روي تشن: جميل ، جميل جداً .

صو فانغ:(تناول قبة بيضاء وهي مزهوة) هل هذه حلوة؟

روي تشن: إي ، إنها رائعة حقاً!

صو فانغ: (تستخرج ثوباً حريراً أصفر اللون وهي فرحة) وهذا؟

روي تشن: (تصفق بفرح) هذا جميل جداً!

صو فانغ: (سعيدة جداً ، يبدو وجهها مشرقاً ولطيفاً

وأكثر جمالاً) لا ، لا يمكن اعتباره جميلاً ، مازال هناك أجمل منه(تضحك) ، تنظر داخل الصندوق) ...

(صوت بوق موحش مازال يتردد ، يُفتح في هذه اللحظة باب صالة الضيوف بهدوء ، يظهر ون تشينغ في العتمة . يبدو ضعيفاً وشاحباً ، يلبس عباءة واسعة ويضع تحت إبطه مخطوطة ، متجههم الوجه ، مرهقاً ، يدخل وحيداً مطأطئ الرأس)

(صو فانغ لا تراه وذلك لأنها تدير ظهرها له وهي منهمكة باستخراج الثياب من الصندوق . تنظر روي تشن باتجاه الباب ...)

روي تشن: (عندما ترى ون تشينغ ، تبدو كما لو كانت في كابوس ، تصرخ بصوت مكبوت) آ ، هذا ...

صو فانغ: (تحاول كبت سعادتها ، تحمل بين يديها لعبة جميلة ، شعرها أصفر ذهبي ، تلبس ثوباً قطنياً وردي اللون ، بسمة عريضة على وجهها ، تنظر إلى روي مترقبة) انظري! (ترتجف عندما ترى وجه روي شاحباً) من؟

روي تشن: (تحدق وبصوت منخفض) أرى ، أن السماء ، تنهار! (تلتفت جانباً تغطي وجهها)

صو فانغ: (تلتفت إلى حيث يقف ون تشينغ ، تراه وجهاً لوجه ، يبدو أنه لا يراها بوضوح) آ!

(بطأطئ ون تشينغ رأسه ، يدخل إلى غرفته بهدوء . تدخل
صه بي قادمة من غرفة التربية)

صه بي: (مندهشة) هل عاد ون تشينغ؟

صو فانغ: (بصوت مخنوق) عاد!

(تدخل صه بي إلى غرفتها بسرعة)

(تبقى صو فانغ واقفة بذهول)

(صوت بوق بعيد يتردد في الفضاء بشكل موحش)

----- تنزل الستارة ببطء

(يتم رفع الستارة مباشرة للمشاهد الثاني بشكل يتناسب
وزمن المشهد)

المشهد الثاني

بعد المشهد الأول بعشر ساعات تقريباً ، ما قبل الفجر بقليل ،
شعلة لمبة الغاز تضيء المكان بشكل جيد . طائرة السمكة
الذهبية الورقية اختفت . القفص مازال فوق الطاولة وفي داخله
الحمامة «الوحيدة» البيضاء تقف دون حراك ، تضع رأسها تحت
جناحها ، وهي تغط في نوم عميق . الطقس بارد في الداخل ،
وعلى المرء أن يرتدي ملابس سميكة كي تقيه برد أواخر الخريف
وأول الشتاء ، تلك الليالي التي تجعل المرء لا يتحكم بمشاعر
الحزن والوحشة . الريح تتسلل عبر ورق النافذة الممزق . دقائق
صنّج في مكان بعيد ، تتخلل صفير الرياح الغربية . صوت بائع
الكعك العجوز يتردد في الزقاق ، وهو يبدو واضحاً حين تهدأ
الريح ، ومبهماً حين تشتد .

لم ينم أفراد أسرة زنج في هذه الليلة الأكثر حزناً في تاريخ

الأسرة. سيد البيت المعجوز لم يغمض له جفن وهو يفكر في التابوت المدهون مئات المرات ، التابوت الذي يمتد عمره لسنوات طويلة والذي سوف يتخلى عنه بعد ساعات قليلة بخنوع بينما يتفطر قلبه من شدة الألم ، لم يفارق تفكيره طيلة النهار والليل .

قال رسول أسرة دو أنهم يفضلون «استلام التابوت» في «الهبزيع الأخير» ... أي قبل الساعة الخامسة صباحاً ، يجب أن يُحمل إلى بيت أسرة دو . أي أنه يمكن للمكلف بأخذ التابوت أن ينتظر إلى ما قبل الساعة الخامسة ، وأن جيانغ تاي قد خرج منذ منتصف الليل لاقتراض المال ولم يعد . ون تساي قلقة على زوجها من ناحية وعلى أبيها من ناحية ثانية . الفجر يقترب ، والأسئلة تُطرح ، هل تذهب للاتصال بجيانغ تاي الذي اختفى أثره هاتفياً أو ترسل أحداً في طلبه . ينظر الآخرون إلى السيد بينما هو ينتظر على أحر من الجمر ، ويشعرون أن ليس من اللائق تركه وحيداً ، فكان بينهم من يتأمل عودة جيانغ تاي بنية صادقة وقد جاء بالنقود ليمنع أسرة دو ، تلك النمر المتوحشة ، من أخذ التابوت . ومنهم من كان برّه بلسانه فقط وهو خائف من عودة جيانغ تاي بالنقود ليترك مجالاً للمساومة . ومنهم من كان في الليلة نفسها مشغولاً بحزم متاعه وعيناه تفيضان بالدمع

فرحاً أو حزناً أو أملاً بمستقبل مشرق، يحن لأيام مضت، ويتوق لمستقبل قادم، المستقبل الذي يخص «إنسان بكين» ولا علاقة له بمن يتمرغون في التوايت .

يجلس في هذا البيت الموحش والبارد ون تشينغ على الكنبة مذهولاً بلا حراك . وقد استبدل سترته المحشوة الرمادية القديمة، يضع يديه في كميته بدون حركة . يمتزج في عينيه الكسل والتعب واليأس ، مغضن الحاجبين والشفنتين ، يصغي بضيق وحذر إلى دقات صنج يأتي من مكان بعيد ، وإلى هبوب الريح وحفيف وأوراق الشجر ، تقف صه بي إلى جانبه وهي تتكلم دون توقف .

صه بي وقد استبدلت ثوبها الأزرق ، تبدو أنها قد تعبت من كثرة ما تكلمت ، تنتظر بترقب رد ون تشينغ . تحمل زبدية الدواء بيد وزبدية فارغة باليد الثانية ، تسكب الدواء من زبدية إلى أخرى بغية تبريده قليلاً كي تتمكن من شربه ، وبعد أن تشرب الدواء تتممضض بماء عادي .

صه بي: (تضع الزبدية، ثم تبدأ...) حسن أن عدت . أنا أيضاً لم أخيب أمل أفراد أسرة زنج بي . (ضحكة صفراء) على كل حال لم نترك لتخمين أحتك أن يتحقق ، وأني لم أضغط على أخيها لدرجة لا يعود فيها إلى البيت .

(يرفع ون تشينغ رأسه وينظر إليها بسأم)

صه يي: (تلقي نظرة على ون تشينغ ثم تبدو جدية للغاية) ما رأيك فيما قلت؟ ... لقد سبق وقلته . (تبدو أنها لم تفهم ردة فعله) آ، لم لا تتكلم؟ أنا لم أظلم أيك .

ون تشينغ: (يتنهد ، لا خيار أمامه) ما الذي تخططين له في نهاية الأمر؟

صه يي: (تجحظ عيناها ، تبدو كما لو أنها اتهمت ظلماً) غريب ، لقد استجبتُ لكل رغبات والدك ، ألا تعتبر هذا بالشيء الحسن . (لا تخلو من شراسة) قمتُ بكل ما تتطلبه الأسرة مني ، لقد انفجرت أحتك غضباً في وجهي اليوم وأمام الجميع ، وقد تحملت ذلك من أجلك . لقد تكلمت معها بهدوء منذ قليل وطلبت منها مناقشة الأمر ، على جميع أفراد الأسرة أن ...

ون تشينغ: (يرفع رأسه وقد نفذ صبره) مناقشة ماذا؟

صه يي: مناقشة مشاكلنا . (تقرر كشف نوايا ون تشينغ ، بسخرية) ليس هذا بالولد الذي يرى الحلوى فيتمناها في قلبه ويرفضها بلسانه . أنا أفضل أن يكون المرء صريحاً ، يفصح لسانه عما في قلبه . أنا لا أحب الإنسان الذي يحب أكل اللحم ويكره رائحته .

ون تشينغ: (ضجراً) طلع النهار ، اذهبي ونامي .
صه يي: (تتظاهر أنها لم تسمع ، تواصل حديثها) لقد
تكلمت بصراحة مع أختك منذ قليل ...

ون تشينغ: (مندهشاً) آ ، قلت لأختي كل شيء ...
صه يي: (مثرثرة) ماذا؟ ألا يمكن ذلك؟

(تدخل ون تساي من غرفة التريبة ، ما زالت تلبس ثوباً من
وبر الجمل ، مضافاً إليه كنزة صوفية بنية اللون . لم تنم الليل ،
شاحبة ، شعثناء الشعر .

ون تساي: (ترتب شعرها) أخي ، الساعة تقارب الخامسة
ولم تذهب للنوم بعد؟

ون تشينغ: (يبتسم بمرارة) لا .
ون تساي: (تلتفت إلى صه ، بقلق) هل عاد جيانغ تاي أم لا؟
صه يي: لم يعد .

ون تساي: سمعت منذ قليل كما لو أن الباب الأمامي قد فُتح .
صه يي: (بيرودة) كان هؤلاء هم حملة التابوت المرسلين
من قبل أسرة دو .

ون تساي: آه . (تفقد الأمل شيئاً فشيئاً ، ترتجف ، تجلس
متكورة على الكنية القديمة) آه ، البرد شديد!

صه يي: (تصغي ثم ينفذ صبرها) اسمعي ، لقد أقفل الآن . (تطرح سؤالاً) ما رأيك؟ (مع أنها طرحت السؤال بقسوة إلا أن البسمة على وجهها) أختي الصغيرة ، لقد تكلمت معك منذ قليل بشأن ...

ون تساي: (مشوشة ، ... بارتباك) ماذا؟

صه يي: (تنظر إلى ون تشينغ متعلقة) بشأن مشاكل زواج الأنسة صو .

ون تساي: (تحاول أن تخمن ما تضره صه يي من ملعوب جديد ، تبسم بمرارة) ليس من المناسب طرح مثل هذا الموضوع الآن .

صه يي: (بصراحة وشجاعة) لم هو غير مناسب؟ (بحرارة) أختي ، لا تنظري إلي كامرأة أخ (تجري مقارنة) ما ليس صغيراً فهو كبير ، أنا لست من النساء اللواتي يهتمن بالرجال طوال اليوم حتى يستطعن العيش . «الذكاء والفضيلة» كلمتان لا أستطيع تطبيقهما في هذه الحياة ، لكنني ما زلت متسامحة قليلاً . (بتواضع) وفوق ذلك فإن التسامح أو عدم التسامح خارج الموضوع ، ابنة الخالة تتزوج ابن خالتها ، حباً فوق حب ، ثم إنه سلوك صحيح وهو يحدث في أحسن العائلات .

ون تساي: (بصراحة) لا ، أنا قلت إنه ينبغي سماع رأي صو فانغ أيضاً .

صه يي: (تضحك ساخرة) آ، وهل ذلك بحاجة إلى سؤال؟ هل يمكن لها أن ترفض؟ لكنني جادة وصادقة، وأحب الكلام بصراحة، ثم إنني لست الوحيدة التي تعرف نوايا صو. ابنة الحالة طيبة، أنا لا أقول ما يعذب ضميري. إنما (إلى ون تشينغ، تتظاهر بالصدق) ألا ينبغي على «ابن الحالة» أن يقول كلمة؟ أختك هنا، قل لي على الأقل كلمة أفهمها أمام أختك الصغيرة.

ون تشينغ: (ينظر إلى ون تساي، يطأطي رأسه دون أن يجيب)

صه يي: (بالحاح) تكلم بوضوح حتى أسوي الأمر بالنيابة عنك.

ون تساي: (تخمن ما يدور في ذهن أخيها، تتكلم بالنيابة عنه) ومع ذلك أنا أرى أنه من غير المناسب طرح هذا الموضوع الآن.

صه يي: (تقلّب عينيها) ما هو الغير مناسب في ذلك؟ اطمئني فانا لن أظلم صو، إنها تزداد معزة عندي ولا يمكن لي فراقها. (تزداد حماساً) إنها الإنسان الذي أرتاح إليه، فتشت في منتصف الليل عن مجوهراتي التي أحضرتها معي عندما جئت إلى أسرة زنج، وفجأة، وجدت تلك اللؤلؤة التي أفضل، وقررت تقديمها إلى الآنسة صو بالنيابة عن ون تشينغ. (تتناول مشبك شعر من فوق طاولة صغيرة، تنتزع منه لؤلؤتين وتقدمهما إلى ون تساي) كيف ترييهما؟

ون تساي: (تأخذهما وتنظر إليهما ثم تثني عليهما) لا بأس بهما!
صه يي: (تزداد ابتهاجاً شيئاً فشيئاً) لكنني امرأة عملية، حتى
غرفة الزواج تدبرت أمرها بالنيابة عن ون تشينغ، سوف ترحل
أسرة يوان بعد قليل وتخلو الغرفة التي كانوا يسكنون، سوف
أطلب تلييسها بورق الجدران بسرعة. سوف يساعدني أفراد
الأسرة كلهم في تجهيز الغرفة، وخلال يومين أو ثلاثة سوف
تتناول أختي طعام العرس. لقد فكرت في كل شيء، ...
(تنظر إلى ون تشينغ ساخرة، بما يشبه المديح) ون تشينغ طيب
القلب، إنه يخشى أن تُعامل صو بشكل غير ودي، لقد فكرت
في ذلك أيضاً، لا ليس من اللائق قول ذلك، وبعدها (بارتياح)
سوف يكونان في الأسرة «رأسان في طربوش» (تضحك بشكل
سمج) لا أحد يجروء على الآخر .

ون تساي: (تستشيط غضباً ولكن لا تجد بُداً من الابتسامه)
صحيح، ومع هذا فأنا أخشى أن أسأل أيي إن عاجلاً أو آجلاً.
(يدخل تشانغ شون من باب غرفة التربية، يبدو وقد استيقظ
لتوه، عيناه ناعستان، وثيابه غير مرتبة.
تشانغ شون: (يفتح الباب وينادي) سيدتي .

صه يي: (لا تهتم ، تتظاهر أنها لم تسمع كلام ون تساي بوضوح) آ؟

ون تساي: قلت إنه ينبغي أن نسأل أبي .

صه يي: (مؤكد) آ ، وهل ينبغي سؤال أليك عن هذا الأمر؟ وهل لديه اعتراض على وجود كنة طيبة تسهر على خدمته؟ (كلامها يتضمن أكثر من معنى) ثم إن الأمر سيان ، سوف ندعوها كيفما تحب أن تُدعى . ولكن من الأفضل دعوتها بالآنسة صو أمام الآخرين ، وإلا سوف يثير الضحك دعوتها بـ مدام أو جدة (تلتفت وتلقي نظرة إلى ون تشينغ) حقاً أنا لا أكرث لذلك ، وهذه فكرة ون تشينغ أيضاً (عندما يهم ون تشينغ بالرد عليها تلتفت إلى تشانغ شون) ماذا هناك يا تشانغ شون؟

تشانغ شون: السيد يريدك .

صه يي: ألم ينم السيد بعد؟

تشانغ شون: نعم ، ...

صه يي: (إلى تشانغ) هيا ، هيا!

(تخرج صه يي على عجلة من باب غرفة التربة يتبعها تشانغ)

ون تساي: (تنتظر حتى خروج صه بي ثم تقف ، تقترب من
ون تشينغ ، بلطف وتعاطف) أخي ، لم تأكل شيئاً بعد؟
ون تشينغ: (ينظر إليها ثم يهز رأسه ، يبدو يائساً)
ون تساي: سوف أحضر لك قليلاً من المعمول .
ون تشينغ: (يشير بيده رافضاً ، باضطراب) لا ، لا ،
لا (بارهاق) لا أستطيع أن آكل شيئاً .
ون تساي: إذاً ، ما رأيك أن تدخل إلى غرفتك وتغسل
وجهك ثم تنام لبعض الوقت؟
ون تشينغ: (بفتور) لا ، لا أريد أن أنام .
ون تساي: (تردد ...) لماذا ، لماذا لم تسمح لك بالدخول
إلى الغرفة هذه الليلة؟
ون تشينغ: (يبتسم بمرارة) آه ، تريدني أن أعذر منها .
ون تساي: وأنت؟
ون تشينغ: (يأس ولكن بتصميم) طبعاً لن أفعل! (يغمض عينيه)
ون تساي: (متعاطفة جداً ، لا تجد بداً من الكلام) آ ، هل يحدث
مثل هذا تحت السماء ، يعود الزوج لتوه ، وبهذه الوقاحة ...
(تصفر الرياح في الخارج . تدخل المربية من باب غرفة

التربية، تبدو شاحبة الوجه، غائرة العينين . تلبس سترة محشوة بالقطن، تتأهب)

المربية: (تري ون تشينغ وقد طأطأ رأسه وأغمض عينيه فتظن أنه نائم، إلى ون تساي بصوت منخفض) كيف نام سيدي تشينغ؟

ون تساي: (بصوت منخفض) ليس بنائم .

المربية: (تقترب منه، يغمض عينيه غير راغب في الحديث . تهز رأسها مشفقة عليه، تبدو مغرمة به، تلتفت إلى ون تساي وبصوت مخنوق) يبدو نائماً (تتنهد، ثم تغطيه بسترته القطنية) ون تساي: (قلقة وبصوت منخفض) لا، لا، سوف تتجمدين هكذا، سوف أحضر غطاء له، (تمشي باتجاه غرفتها) ...

المربية: (تشير إلى ون تساي أن تتوقف، بعجلة وصوت مبحوح) لا عليك . اذهبي وألقي نظرة على أليك .

ون تساي: (بقلق) ما به؟

المربية: (بحزن) طلبت منه النوم فرفض، إنه يمكث في غرفته، يجلس تارة ويقف تارة وهو يسأل هل عاد صهري أم لا؟ هل عاد صهري أم لا؟

ون تساي: (وقد تنبهت لذلك) ما العمل؟ ما العمل؟ لا أثر لجيانغ تاي حتى الآن، وأنا لا أعرف أين مكانه ...

المريية: (تهز رأسها) آه، هذه جريمة . (تسحب ون تساي بعيداً عن ون تشينغ خشية أن توقفه) يا للمسكين! كان من السهل عليه أن يؤخذ التابوت منه في النهار؛ لقد انتصف الليل وهو يفكر كيف سيؤخذ منه هذا الذي اهتم به لسنوات بعد لحظات، ... كيف لا يقلق، كيف لا يقلق ...

(يدخل تشانغ شون من غرفة التريبة)

تشانغ شون: سيدة ون تساي .

المريية: (تلقت انتباهه إلى أن ون تشينغ نائم)

تشانغ شون: (يخفض صوته مباشرة) السيد يطلبك .

ون تساي: حاضر، (تمشي خطوتين ثم تلتفت) أين الأنسة صو؟

المريية: كانت تدلك قدمي السيدة منذ قليل ربما هي

ترتب غرفة السيد .

ون تساي: إي .

(تتبع ون تساي تشانغ شون ويخرجان من باب غرفة التريبة)

(يهدأ صوت الريح في الخارج، تتساقط أوراق الشجر في

البهو، تندرج، تصدر حفيفاً. دقائق صنج تأتي من مكان

بعيد وتكاد لا تسمع . تقترب المريية من ون تشينغ متثابثة)

المربية: (تنحني فوق ون تشينغ ، ترى فيما إذا كان ما زال نائماً ،
تناديه بصوت منخفض وحب شديد) يا سيدي ون تشينغ المسكين !
(يفتح ون تشينغ عينيه ، تبدو عيناه متعبتين كئيبتين ، يعدل
من جلسته)

المربية: (مندهشة) هل استيقظت يا سيدي؟
ون تشينغ: (يبدو أنه استيقظ من إغفاءة قصيرة ، يرفع رأسه
بهدهوء) هذه أنت يا جدتي

المربية: (تنظر إليه ، تمسح له عينيه) هذه أنا يا سيدي (تهز
رأسها بحنو) لقد هزلت كثيراً أيها المسكين ، وقد نمت هنا؟
ون تساي: (مشوش قليلاً) نعم يا جدتي .

المربية: آه يا سيدي ، لا بد أنك تعذبت كثيراً خلال الأيام
التي قضيتها في الخارج (تمسح دموعها) لم يمر يوم واحد لم تقلق
عليك به أنا والآنسة صو . حبيبي صو ...

ون تشينغ: (يمسك يد المربية فجأة) جدتي ، جدتي!
المربية: (لا تقاوم حزنها) سيدي وفلذة كبدي وحيي
تشينغ ، لم تر الآنسة صو بعد؟
ون تشينغ: (يمسك يد المربية الجافة وهو لا يقدر على الكلام)
جدتي ، جدتي!

المربية: (تهتم به بحنان) سوف أدعها لك .
ون تشينغ: (مذعوراً ومنفعلاً لدرجة كبيرة) لا ، لا يا جدتي .
المربية: ما ذنبك يا سيدي ، أنت تبدو كمن يحتضن حفيده!
ون تشينغ: (يقلق) لا ، لا تنادها ، لماذا تريدين ...
المربية: (تلاحظ أن باب غرفة التربة قد فُتح) لا بأس ،
لا بأس ، إنها قادمة!

(تدخل صوفانغ . ترتدي ثوباً مكرشاً أسود اللون ، شعرها
أسود طويل ، وجهها شاحب ، ملامحها هادئة ، عيناها حزيتان
ومرهقتان ، تدخل بهدوء مثل ملاك جميل . يقف ون تشينغ من
شدة التأثر)

صوفانغ: جدتي!
المربية: (تتعهد أن تكون طبيعية) ألم تنامي بعد يا آنسة صو؟
صوفانغ: إي ، (لا تسعفها الكلمات) جئت كي أرى
الحمامة . (تتجه إلى الطاولة التي عليها القفص)
المربية: (بنعومة) صحيح ، اهتمي بها إذاً! (يخطر ببالها
خاطر) وأنا أريد أن أذهب لأرى هل استيقظ حفيدي وزوجته
أم لا؟ لقد طلبت منهما السيدة مساعدة أسرة يوان في حزم
أمتعتهم . (تهم بالمغادرة)

ون تشينغ: (يرفع سترتها وبصوت منخفض) سترتك
يا جدتي .

المربية: آ ، سترتي (تبتسم لهما) يا لذاكرتي السيئة!

(تأخذ المربية سترتها وتخرج من باب غرفة التربة وهي تثرثر .

لم يطلع ضوء النهار بعد ، تهب الرياح شيئاً فشيئاً ، وأوراق
الصفصاف البيضاء تصدر حفيفاً أشبه بانهمار المطر ، تحمل
الرياح صياح ديك من مكان بعيد . فترة صمت طويلة ، يطأطئ
ون تشينغ رأسه خجلاً ، يمشي بهدوء باتجاه غرفته)

صو فانغ: (تلقي نظرة إليه من خلال القفص) ون تشينغ .

ون تشينغ: (يقف ولا يجروء على الالتفات)

صو فانغ: قالت المربية لي أنك طلبتني ...

ون تشينغ: (يلتفت ، يرفع رأسه ببطء وينظر إليها)

صو فانغ: (تطأطئ رأسها)

ون تشينغ: صو فانغ !

صو فانغ: (تأمل بشكل غير إرادي الحمامة داخل القفص)

ون تشينغ: (صمت ، ثم يئس) ما زالت الحمامة هنا .

صو فانغ: (تهز رأسها ، بحزن) إي ، ذلك لأنها لا

تستطيع الطيران!

ون تشينغ: (بذهول) أنا... (يدرك ما عنته ، يتلع ريقه)
صو فانغ: (بصوت مرتجف) لا ، لا ...
ون تشينغ: (ينفجر باكياً من شدة الحزن)
صو فانغ: (تقترب منه خطوة ، مواسية من ناحية وحزينة
من ناحية أخرى) لا ، ليس هكذا ، لماذا تبكي؟
ون تشينغ: (ينتحب ، يرتقي على الكنبه) لماذا رجعت ، لماذا
رجعت ، ما كان ينبغي أن أعود ، لماذا عدت!
صو فانغ: (بحزن) عدت لأنك لا تستطيع الطيران .
ون تشينغ: (يلع ريقه) لا ، أنت لا تعرفين ، ... لا تعرفين
مقدار الصعوبات التي في الخارج ...
صو فانغ: ون تشينغ (تستخرج مفتاحاً من جيبها وتقدمه
إليه) ...

ون تشينغ: آ!

صو فانغ: مفتاح ذلك الصندوق .

ون تشينغ: (لم يفهم) ماذا؟

صوفانغ: (بهدوء) كل مخطوطاتك داخل ذلك
الصندوق . (تضع المفتاح فوق الطاولة بهدوء)

ون تشينغ: (مندهباً) ما الذي تنوين فعله يا صو فانغ! ...

(فترة صمت . يسمع صوت الرياح وحفيف أوراق الشجر
في الخارج ...)

صو فانغ: اسمع .

ون تشينغ: آ؟

صو فانغ: تهب الرياح بقوة في الخارج!

[يسمع صوت يتخلل هبوب الرياح: «خالتي صو!

خالتي صو!»]

صو فانغ: (تصغي) من الذي ينادني؟

ون تشينغ: (يصغي ، لا يسمع بوضوح) لا أحد ، لا أحد .

صو فانغ: (مؤكدة ، بحزن) بلى ، بلى!

(تدخل صه بي من باب غرفة التريية)

صه بي: (إلى صو ، ساخرة وغير جدية) آ ، عرفت أنك

هنا! (بحرارة) أختي صو ، لقد عاودتني آلام الظهر مرة أخرى ،

هل لك أن تدلكي لي ظهري في أوقات فراغك؟ آه ، لقد نسيت

أن أخبرك أن أخيك الكبير عاد ، وأنه أحضر لك هدية رائعة .

ون تشينغ: (مخرجاً) أنت ...

صه بي: (لا تترك فرصة له للكلام ، تتناول اللؤلؤتين

من فوق الطاولة وتقدمهما إلى صو) انظري كم هما لؤلؤتان
كبيرتان وكرويتان!

ون تشينغ: (محذراً) صه يي!

(يدخل تشانغ شون من باب غرفة التريبة ، يتمهل عندما يرى
ون تشينغ يهم بالكلام)

صه يي: (في الوقت نفسه ... لا تكثرث لزوجها ، تضحك)
قال أخوك الكبير إنها هدية منه إليك لتكون ...

ون تشينغ: (يرتعش من شدة الانفعال ، يثور فجأة ، بغضب)
أي نوع من البشر أنت وأي قلب لك! (يتوجه إلى غرفته)

صه يي: ون تشينغ!

(يغلق الباب)

صه يي: (متجهمه الوجه ، يبرود) آ ، حقاً لا أعرف ما
ينبغي للزوجة فعله!

تشانغ شون: (يقترّب ، بصوت منخفض) سيدتي ، رسول
أسرة دو يقول إن الهزيع الأخير من الليل يكاد ينقضي ، ولا بد
من أخذ التابوت .

صه يي: حسناً ، أنا قادمة .

(يخرج تشانغ من باب صالة الضيوف)

صه يي: (فجأة) حسناً، سوف نكمل حديثنا بعد قليل. (تخطو خطوتين باتجاه غرفة التريية، تلتفت، تضحك بحرارة) أختي صو، أخاف أن يعاودني تشنج المعدة، هلا ذهبت إلى المطبخ وأعددت لي منقوع الأعشاب؟
صو فانغ: (تطأطئ رأسها)

(تخرج صه يي من باب غرفة التريية)

صو فانغ: (تبقى في مكانها تتأمل قفص الحمامة)

(تصفر الرياح في الخارج. تدخل روي تشن من باب صالة الضيوف)

روي تشن: خالتي صو!

صو فانغ: (لا تتحرك) إي.

روي تشن: (بعجلة) خالتي صو!

صو فانغ: (تلتفت إلى روي بهدوء، تشاركها حزنها) السعادة الحقيقية لا تدوم، حتى الحلم السعيد هو حلم قصير!
روي تشن: (متعاطفة معها) لم يعد الوقت مبكراً، هيا بنا يا خالتي صو.

صو فانغ: (مكفهرة) الباب مازال مقفلاً ، والمفتاح ...
وي تشن: (بثقة) لا تقلقي ، سوف يساعدنا «إنسان بكين» .
صو فانغ: (لم تفهم) إنسان بكين ...؟

(تنادي صه يي من الخارج)

[**صوت صه يي:** أختي صو! أختي صو!]

روي تشن: (تفتح باب صالة الضيوف على مصراعيه ، تشير إلى الداخل) هو ذاك!

(يقف «رجل بكين» وراء الباب شامخاً كالجبل ، يرتدي ملابس عمل متسخة بزيوت وشحم آلي ، وجهه أسود حديدي ، ذراعه فولاذيتان يمسك كمامة بيده ، عينان براقتان تحت حاجبين كثيفين ، يبدو منظره رهيباً ، ولكن بنظرة متأنية نجد أن في ابتسامته ملامح الهدوء والهيبة والوقار ، مما يجعله أكثر استئناساً)

[**صوت صه يي:** (من مكان قريب) يا أختي صو ، يا أختي صو!]

روي تشن: إنها قادمة!

(تختبئ وراء باب صالة الضيوف . يقف «رجل بكين» أمام الباب . تدخل صه يي من باب غرفة التريبة)

صه يي: آ، مازلت وحدك هنا! السيد يريد أن يشرب
الجنسنغ، اذهبي إليه.

صو فانغ: (تهز رأسها، تهتم بالمغادرة)

صه يي: (فجأة، بحرارة) آ، هل فكرت فيما قلته لك منذ
قليل يا أختي صو؟ (تذهب وتأخذ اللؤلؤتين من فوق الطاولة.
تري «رجل بكين» فتصعق لرؤيته) ها! أنت، ماذا تفعل هنا؟

رجل بكين: (ينظر إليها نظرة مخيفة)

صه يي: (مندهشة) إني أسألك، ماذا تفعل هنا؟

رجل بكين: (ترسم على محياه ابتسامة سخرية وازدراء)

صو فانغ: (بهدوء) إنه أخرس.

صه يي: (لا خيار أمامها، تنظر إليه باشمئزاز، إلى صو)
هيا بنا نتكلم خارجاً.

(تشد صه يي صو وتخرجان من باب غرفة التريية. تخرج

روي من وراء الباب بعد رحيلهما)

دوي تشن: ذهبتا؟ (تلتفت إلى «رجل بكين»، تشير له إلى

الخارج، تتكلم وتشير بيدها في الوقت نفسه) الباب، الباب،

الكبير، ... مقفل، ... لا يوجد مفتاح!

رجل بكين: (يرفع قبضته بلطف ، بشكل غير متوقع ،
بخشونة وقوة يردد) نحن ... نفتح ... الباب!
روي تشن: (مندهشة) أنت ، أنت ...

رجل بكين: (يتسم بلطف) تعالي ... معي! (يمشي
إلى الأمام)

روي تشن: (مندهشة) خالتي صو! خالتي صو! (تلتفت إلى
إنسان بكين ، بلطف) امش أماننا ونحن وراءك!
رجل بكين: (يهز رأسه)

(يشبه «رجل بكين» شبحاً ضخماً ، يتقدم باتجاه باب
الصالة. تدخل صو فانغ في الوقت نفسه من باب غرفة التريبة
شاحبة الوجه)

روي تشن: (تقفز فرحة) خالتي صو! خالتي صو! لقد ... (تلاحظ
شحوب وجهها) لم أنت شاحبة الوجه؟ لم؟ ماذا قال لك؟
صو فانغ: (تهز رأسها بلطف)

روي تشن: (لا تستطيع مقاومة فرحتها) خالتي صو ، سوف
أخبرك أمراً غريباً ، نطق الأبكم!
صو فانغ: (بآلم) إي ، وأنا يجب أن أرحل .

(يُسمع فجأة ضجيج في الخارج ، قرع طبول وصنوج يطغى
على صوت الرياح)

روي تشن: (تلتفت مندهشة) لم هذا العزف؟

صو فانغ: ربما هو من ضمن استعداد أسرة دو
لاستقبال التابوت؟

روي تشن: (تسأل مبتسمة) أين أغراضك؟

صو فانغ: في الغرفة الجانبية .

روي تشن: هاتها لترحل .

صو فانغ: (تومئ برأسها) إي .

روي تشن: خالتي صو ، هل ...

صو فانغ: (حزينة) لا ، اذهبي أنت أولاً!

روي تشن: (مندهشة) كيف ، مرة ثانية أنت ...

صو فانغ: (تومئ برأسها) لا ، سألق بك فوراً ، أريد أن
أودعه فقط .

روي تشن: (تحمن ... غاضبة) من؟

صو فانغ: (حزينة) زوج خالتي المسكين!

روي تشن: (وقد فهمت الآن) آآ (بحزن أيضاً) حسناً ،
سأذهب أولاً ، نلتقي في محطة القطار .

[صوت ون تساي من الخارج: «جيانغ تاي! جيانغ تاي!»]
(تخرج روي من باب الصلاة. تخطو صو خطوتين باتجاه
غرفة التريبة، تدخل ون تساي من باب غرفة التريبة والدموع
تبلى وجهها)

ون تساي: (مضطربة) ألم يرجع جيانغ تاي بعد؟
صو فانغ: لا.

ون تساي: كيف لم يرجع بعد؟ (ترتمي على الكنبه باكية) يا
لأبي، يا لأبي المسكين!
صو فانغ: (قلقة) ما به؟

ون تساي: (تمسح دموعها بمنديلها بينما هي تتكلم) يريد أفراد
أسرة دو حمل التابوت وأبي يمنعهم، المسكين، إنه يحتضن
التابوت مثل طفل صغير، يموت ولا يتخلى عنه. (تبلع ريقها) أنا
لا أستطيع رؤية والدي بتلك الحالة (ترفع رأسها وتنظر إلى صو
فانغ التي فاضت عيناها بالحزن) اذهبي وانصحيه بالمجيء يا أختي
صو، لا تتركيه يبقى بجانب التابوت هناك!

صو فانغ: (تمشي باتجاه غرفة التريبة. تخرج)
ون تساي: (تبقى بمفردها...) أبي، أبي، ماذا نريدنا أن
نفعل! (تقف، لا تتمالك نفسها) أخي! أخي! (تتجه إلى غرفة ون
تشينغ) نحن بشر لا فائدة فينا، لا نفع فينا.

(يسمع فجأة صوت مفرقات في الخارج)

ون تساي: (تقف دون أن تشعر ، تلتفت)

(يدخل تشانغ شون من غرفة التريبة عيناه محمرتان)

ون تساي: ما هذا؟

تشانغ شون: (بغضب وحزن) تطلق أسرة دو المفرقات النارية ترحيباً بالتابوت! لقد فتحنا الباب الخلفي ، وقد حمل التابوت .

(يُسمع خلال صوت المفرقات وقع خطوات منتظمة لحملة التابوت ، وهتاف «هيا هوب ، هيا هوب» يختلط في الوقت نفسه مع أصوات أفراد أسرة دو وهم يحثون العمال على العناية بالتابوت . يُرى من خلال نافذة غرفة التريبة ضوء فوانيس تتحرك بسرعة وراء مجموعة من الناس . تدخل في هذه الأثناء صو فانغ والمرية من باب غرفة التريبة تسندان زنج هاو . وجه زنج هاو يبدو شاحباً أبيض كالورق ، وعيناه محمرتان . متوتراً ومرتجفاً ، لا ينطق بكلمة . تمسح المرية دموعها ولا تتوقف عن مواساته بين شد ودفع . تنظر صو إلى زنج بحزن . تتبعهم صه يي ، وهي الأخرى تمسك بمحرمة وتمسح عينيها ، ولا يُعرف إن كانت تمسح الدموع أم الرمل)

المربية: (تردد) ادخل يا سيدي ، لا تنظر إلى وراء ،
ادخل ...

زنغ هاو: (يلتفت هاتفاً بصوت مخنوق) انتظروا ، انتظروا ،
اطلبوا منهم أن ينتظروا ، ليانتظروا! اطلبي منهم الانتظار!
صوفانغ: يا زوج خالتي ، لا عليك ...

(تلاحظ صو أن العجوز يلهث من شدة الانفعال ، فجأة
يخطر لها أن تحضر شيئاً له ، تخرج من باب غرفة التربة)
المربية: (لا تتوقف عن مواساته) دعك منهم يا سيدي
(بكرامية) دعهم يذهبون بتلك الجثة!

زنغ هاو: (متوسلاً) اذهبي وراءهم يا صه يي!
صه يي: (لا مناص لها من أن تشعر ببعض الحزن في هذه
اللحظة ، تحتال عليه كما لو أنه طفل) أبي! عندما تتوفر النقود
سوف نشترى واحداً أحسن منه .

زنغ هاو: (ناقم) ون تساي ، اذهبي أنت ، اذهبي (يدق
الأرض بقدميه) هل عاد جيانغ تاي أم لا؟ هل عاد أم لا؟
ون تساي: (بحزن ... وبصوت مخنوق) عاد ، عاد يا أبي!
(صوت المفرقات في الخارج ، وقع خطوات حملة الثابوت
يقترب شيئاً فشيئاً كما لو أنهم يعبرون أمام عينيه) .

زنغ هاو: (يصرخ دون أن يشعر) جيانغ تاي! جيانغ تاي! (يوجه السؤال إلى ون تساي وإلى نفسه) إلى أين ذهب؟ إلى أين ذهب؟

(يُفتح في هذه اللحظة باب الصلاة ويدخل جيانغ تاي مترنحاً أحمر الوجه، أشعث الشعر، أغبر الثياب. يتوقف صوت المفترقات تدريجياً).

نغ هاو: (لا يصدق ما يرى) جيانغ تاي، عدت أخيراً!
جيانغ تاي: (يبدو كالمهرج، ضاحكاً ولا يضحك، وباكياً ولا يبكي، لا يُعرف هل هو سعيد أم حزين، يومئ برأسه بشكل مبهم) أنا ... رجعت ...

زنغ هاو: (وقد نسي نفسه) حسناً، حسناً أن رجعت! تشانغ شون اطلب منهم أن ينتظروا، أعطهم النقود واطلب منهم الرحيل! اذهب يا تشانغ شون

(يخرج تشانغ من باب غرفة التربة)

ون تساي: (تتقدم في هذه اللحظة إلى أمام جيانغ تاي) هل اقترضت النقود! (تمد يدها)

جيانغ تاي: (يصفق بيديه وهو في غاية الفرح) هنا! (يعطيها لفافة من ورق التنظيف) هنا!

ون تساي: عدت مرة أخرى ...

جيانغ تاي: (يلتفت باتجاه الباب) ادخل! ادخل بسرعة!

(يدخل شرطي يتبعه تينغ وهو في غاية الحجل ، يحمل بيده

زجاجة براندي)

جيانغ تاي: (حركة رجله ويديه غير متوازنة ، إلا

أن صاحب الحق شجاع) إنه هو! (يدله ، بوضوح) هو ...

ذاك(يلتفت إلى أفراد الأسرة مدافعاً) لقد استأجرت غرفة في

فندق ، أقمّت ليلة واحدة ، وهو اليوم يتهمني بسرقة أغراض من

الفندق ، يتهمني بالسرقة ...

زنغ هاو: هذا ...

الشرطي: (بلطف) أنا آسف ، لقد تسبب هذا السيد بإثارة

الشغب في المخفر الليلة الماضية ...

جيانغ تاي: كلام فارغ ، أنا كنت في فندق بكين .

الشرطي: (بكثير من اللباقة) كنت في المخفر .

جيانغ تاي: (غاضباً) فندق بكين! (يشير إلى الشرطي) أنا

أعرف رئيسكم! (يتكلم وهو يترنح ، يستشيط غضباً) انظر

هذه زوجتي ، حمائي! (ينسى غضبه فجأة ، بزهو) حمائي السيد

زنغ هاو! (يرفع رأسه ضاحكاً) انظر(يشير إلى غرفته) هذه

غرفتي! (يضحك مرة متناسياً الشرطي ، ومرة بارتباك ، يبدو أنه يريد لفت انتباه الجميع) طاولتي! (أمام باب غرفته) بابي! (يدخل إلى غرفته وهو يتكلم) هذه ... (يُسمع صوت سقوط ...)

ون تساي: جيانغ ، ... (تدخل إلى غرفتها)

الشرطي: لقد رأيت كل شيء ، وقد شرحت الأمر لهذا السيد . (يرفع يده محيياً ، يخرج من باب الصالة)

[صوت من الخارج: (بفرح) «لُيحمل التابوت» (يلي ذلك

صوت وقع خطوات شديد)]

زنغ هاو: (يلتفت فجأة)

المربية: ماذا تريد أن تفعل؟

زنغ هاو: أرى ... أرى ...

المربية: حسناً يا سيدي ...

(يتقدم زنغ هاو إلى الأمام ، تسنده المربية ، تسارع صه يي لمساعدته أيضاً . يخرج والمربية من باب غرفة التربة . ضجيج في الخارج . وقع أقدام تباعد شيئاً فشيئاً)

صه يي: (ترافق زنغ هاو حتى الباب ثم تعود مستغربة)

تينغ ، ماذا قال الشرطي؟

تينغ: قال إن زوج عمتي دخل أمس متجراً لشراء بعض الحاجيات وهو سكران ، وسرق زجاجة مشروب .

صه يي: مما استدعى القبض عليه؟

تينغ: إي ، لا أعرف كيف أمضى زوج عمتي ليلته في المخفر وهو يشرب ، ولا أعرف ما أدلى من أقوال ، (يرفع الزجاجة بيده) هذا ما بقي من زجاجة الـ «براندي»! (يضع الزجاجة على الطاولة ثم يجلس على الكنبه مهموماً)

صه يي: (بشماتة) شيء جميل ، زوج عمتك يتعلم مهنة أخرى . (تمشي باتجاه غرفتها) ون تشينغ ، (قريباً من الباب) ون تشينغ ، لقد تكلمت منذ قليل مع صوفانغ ، وقد بدت سعيدة جداً . سوف يكون كل شيء على خير ما يرام بعد الآن ، سوف ترتاح أنت ، وأرتاح أنا . أنت ترتاح بصحبة صو ، وأنا أرتاح وهي تعتني بي أثناء شهر النفاس!

تينغ: (تخترق جملة أمه الأخيرة أذنيه كالرصاصة ، يرفع رأسه مصعوقاً) أمي ، ماذا قلت؟

صه يي: (لم تفهم) ماذا ...

تينغ: (يقف ببطء) قلت إنك أنت أيضاً ... ها ...

صه يي: (بخجل) نعم ...

تينغ: (بخوف) حامل؟

صه يي: (يعبر وجهها عن الحقيقة) ما بك؟

تينغ: (يرمق أمه بنظرة، فترة صمت طويلة، يكرر بصراصة) آ، حامل!

(يخرج من باب الصلاة مسرعاً)

صه يي: تينغ! (تلحق به) تينغ! (بحزن) ولدي تينغ!

(تخرج ون تساي من غرفتها)

ون تساي: ما حال أبي؟

صه يي: (تقف) سلم التابوت .

(تمشي ون تساي باتجاه غرفة التريبة، تدخل المربية وهي تسند السيد زنغ من الباب نفسه . يتوقف زنغ هاو عند الباب ويصرخ إلى الخارج، تقترب ون تساي منهما . يتلاشى ضوء الفوانيس في الخارج بينما يتعد حملة التابوت)

زنغ هاو: (يولي وجهه إلى الخارج وهو يصرخ مرتجفاً) لا

يمكن، لا يمكن! ما هكذا يُحمل التابوت!

المربية: (في الوقت نفسه) لا بأس عليك يا سيدي،

لا بأس عليك!

ون تساي: (بدون توقف) بابا! بابا!

زنغ هاو: (يتوجه إلى حيث حُمل التابوت وهو ينادي ويلوح بيديه) ما هكذا ، سوف يصدمونه بالحائط! (إلى المريية) نادهم كي لا يصدمونه بالحائط ، إنه مدهون بدهانات سيتشو! لا ينبغي كشطه ، لا ينبغي صدمه .

صه يي: دعك من ذلك يا أبي ، الحفاظ على التابوت هو من شأنهم .

زنغ هاو: (يحذرهما ، يهدأ وتلاشى عنه إمارات الذهول ، صمت ، ينتحب فجأة) يا زوجتي ، يا زوجتي ، حسن أن متّي ، الموت في سن مبكر ليس بموت ، حتي ، حتي تابوتك قد (يدق الأرض) ما فائدة الحياة مع هؤلاء الأبناء والأحفاد ، ما فائدة أبناء وأحفاد كمجموعة من الجرذان! (يرتمي على الكنبه)

(صوت انهيار جزء من الجدار . هدوء)

ون تساي: (بصوت منخفض) انهيار الجدار .

(يخرج جيانغ تاي مترنحاً من غرفته)

جيانغ تاي: (إلى صه يي بلطف ، وبنية طيبة) لقد سبق وأخبرتك ، في عيد الخريف الماضي من أن الجدار سينهار ، قلت لك سوف ينهار! انظري الآن ، ولكن لا ...

(تنظر صه يي إليه بتقزز ، تلتفت فجأة وتغادر عبر باب غرفة التريبة)

جيانغ تاي: (يهز رأسه) آه ، لا أحد يسمع كلامي! لا أحد
يكثر بي ، لا أحد يهتم بي! (يتناول أثناء كلامه السابق زجاجة
ال«براندي» من فوق الطاولة ثم يدخل إلى غرفته)

ون تساي: (قلقة) جيانغ تاي! (تلاحق به)

(صياح ديك في مكان بعيد)

المربية: آه!

(يُسمع في هذه اللحظة صوت بكاء امرأة في البيت
المجاور. تدخل صوفانغ من باب غرفة التريبة وهي ترتدي
كنزة صوفية رمادية اللون ، تحمل على يدها سجادة ، وفي
يدها الثانية زبدية دواء)

زنغ هاو: (يرفع رأسه) من يبكي هناك؟

المربية: يبدو أن عجوز أسرة دو قد فارق الحياة ، سوف
أذهب لأرى .

(يطأطي زنغ هاو رأسه . تخرج المربية بهدوء من باب غرفة
التريبة . صياح ديك)

صوفانغ: (تقترب من زنغ هاو ، بهدوء) زوج خالتي .

زنغ هاو: (يرفع رأسه) آ؟

صو فانغ: (بلطف) شراب الجنسغ الذي طلبت . (تقدمه له)

زنغ هاو: هل أنا طلبته؟

صو فانغ: إي ، (تضع زبدية الدواء بين يديه)

(تدخل يوان من باب الصالة وهي مازالت ترتدي نفس
ملابسها السابقة نفسها ، وقد زيد عليها معطف قصير من لون
التنورة ، وتضع حول عنقها منديلاً أسود بنقط بيضاء ، وتحمل
بيدها نموذجاً من الورق لـ«إنسان بكين»)

يوان يوان: (تقف في الباب ، بصوت منخفض ولكن
بسرعة) طلع النهار ، هيا بسرعة!

(تضحك يوان ، تعيد نموذج «إنسان بكين» إلى الداخل ثم
تعلق الباب)

زنغ هاو: (يشرب ثم يضع زبدية الدواء فوق طاولة قريبة
من الكنية ، يطلق تنهيدة طويلة وضعيفة) آه! (يطأطئ رأسه
ويغمض عينيه)

صو فانغ: (باهتمام) هل تحسنت قليلاً؟

زنغ هاو: (بلا اهتمام) إي ، إي ...

صو فانغ: (بحزن) أنا ذاهبة يا زوج خالتي .

زنغ هاو: (يهز رأسه) اذهبي واستريحي لبعض الوقت .
صو فانغ: إي ، (بلطف) أنا ذاهبة .
زنغ هاو: (متعب جداً ، كما لو أنه يريد أن ينام ،
بضعف) حسناً .
(تخطو صو فانغ خطوتين ثم تلتفت لتلقي نظرة على العجوز
المسكين ، تعود وتغطيه بالسجادة التي تحملها)
زنغ هاو: (فجأة وبلا مبالاة) عدت بسرعة .
صو فانغ: (تغورق عيناها بالدموع) عدت .
زنغ هاو: (يغمض عينيه) عدت لكي تدلكي لي ساقاي .
صو فانغ: (بينما هي تتكلم تتجمد الدموع في عينيها) إي ،
عدت كي أدلك لك ساقيك ، عدت كي أدلك لك ساقيك ،
عدت ... (تسمع أحدهم قادماً فتسرع بالمغادرة عبر باب
الصالة . تخرج ون تساي من غرفتها في اللحظة التي خرجت
فيها صو فانغ)
ون تساي: (ترى زنغ هاو وهو يغفو ، يهدوء) أي ، اشرب
الدواء ، لقد برد .
زنغ هاو: لا ، لا أريد أن أشربه .

ون تساي: (تواسيه بحزن) أبي ، هون عنك! ستمر الأيام
على أية حال . (تنهمر دموعها) انتظر يا أبي ، لنتظر حتى ربيع
السنة القادمة ، وسوف تتحسن صحة أبي ، وسوف يحتضن
حفيد ابنه ، كما ستتحسن أخلاق جيانغ تاي وسوف يعود أخي
وقد وجد ما يعمله ...

(يسمع صوت أنين داخل غرفة ون تشينغ وسقوط جسم من
فوق السرير)

ون تساي: (بصوت مخنوق) آ! (تلتفت إلى زنج) أبي ، سوف
أذهب لأرى .

(تدخل ون تساي إلى غرفة ون تشينغ راكضة . تعود المربية
من باب غرفة التربة)

زنج هاو: (بوهن) هل مات ... عجوز أسرة دو؟

المربية: مات ، انتهى .

زنج هاو: عيناى تؤلماننى! خففى ضوء القنديل قليلاً .

(تخفف المربية الضوء ، تزداد العتمة في الداخل ، يظهر
ظل «إنسان بكين» جاثماً هناك وراء باب الصلاة كما كان في
الفصل الثاني)

المربية: (ترفع رأسها وتكلم نفسها) هذا قرد الأنسة يوان ،
قبيل رحيلها ...

(تخرج ون تساي مذعورة)

ون تساي: (بصوت منخفض مضطرب) مريتي ، مريتي!
المربية: آآ

ون تساي: (خائفة ، بصوت منخفض) أولاً ، لا تصرخي ،
ثم اذهبي وأخبري زوجة أخي أن أخي ابتلع كمية من الأفيون
وقد توقف نبضه!

المربية: (مذعورة) آآ! (تريد أن تبكي ...)

ون تساي: (تدفعها) لا تبك ، اذهبي بسرعة .

(تخرج المربية من باب غرفة التريبة مسرعة)

ون تساي: (تتمالك نفسها ، تقترب من زنغ) أبي ، لقد طلع
النهار ، هيا معي إلى النوم .

زنغ هاو: (يقف ، يمشي خطوتين) أي صوت كان في
تلك الغرفة؟

ون تساي: (بحزن) جرد ، صوت جرد .

زنغ هاو: آه.

(تسندون تساي أبيها، تمشي معه بهدوء باتجاه غرفة التريبة،
صياح ديك في الخارج، يسطع ضوء النهار. صوت عربة يجرها
بغل في الزقاق. تُسمع صفارة قطار حادة من مكان بعيد)
... تنزل الستارة ببطء.

دمشق في ٢٥/١٠/٢٠٠٣

الطبعة الأولى / ٢٠٠٨

عدد الطبع ١٠٠٠ نسخة

تساويو Cao Yu

- ولد في مدينة تيان جينغ (١٩١٠) بالصين من أسرة ارسقراطية.
- كآب الشعر وهو في العاشرة من عمره.
- وقف مع الفقراء ضد الإمبريالية وأعوانها، وانعكس ذلك على أعماله المسرحية.
- قرأ روائع الأدب الصيني، واطلع على العديد من نتاجات الأدب العالمي.
- شارك بأعمال مسرحية في الفرقة التي أسسها عندما كان طالباً في الثانوية.
- كتب مسرحيته الأولى (العاصفة الرعدية) ١٩٣٣م التي صورت الصراع الطبقي في الصين آنذاك، ثم (شروق الشمس) التي تحكي عن معاناة الشعب الصيني من المستعمر، ثم مسرحية (البرية) عن موضوع الثأر في الريف الصيني وغيرها من الأعمال.
- شارك في مقاومة احتلال اليابان لبلاده (١٩٣٧-١٩٤٥م) عبر مسرحياته (التحول)، (أنا أفكر الآن) ثم (أهل بكين).
- آخر مسرحياته (أمير الانتقام) ١٩٦١م والجسر.
- تساويو يو: فنان شامل، وكاتب واسع المعرفة، ترجمت أعماله إلى العديد من لغات العالم، كما عرضت مسرحياته على الكثير من مسارحه.

أهل بكين عنوان بارز من أعمال تساو يو المسرحية،
تدور أحداث المسرحية في مدينة بكين، وهي عبارة
عن دراما ترصد التفاصيل اليومية في حياة أسرة
إقطاعية وصفها تساو يو بـ «أسرة فئران في مجتمع
فئران، يقتاتون على كل شيء، ويتلفون كل شيء، ولا
يعملون أي شيء»!

تمثل المسرحية المحطة الأكثر نضجاً وحكمة في
حياة تساو يو. كتبها في أثناء حرب بلاده مع اليابان
انطلاقاً من أن معرفة المجتمع داخلياً، وفضح
مظاهر تخلفه والفساد فيه يجعلان الانتصار في
المعركة الخارجية مع العدو ممكناً وحتمياً.

علي مولا



في الأقطار العربية ما يعادل ٣٣٠ ل.س

سعر النسخة داخل القطر ١٦٠ ل.س

٢٠٠٨